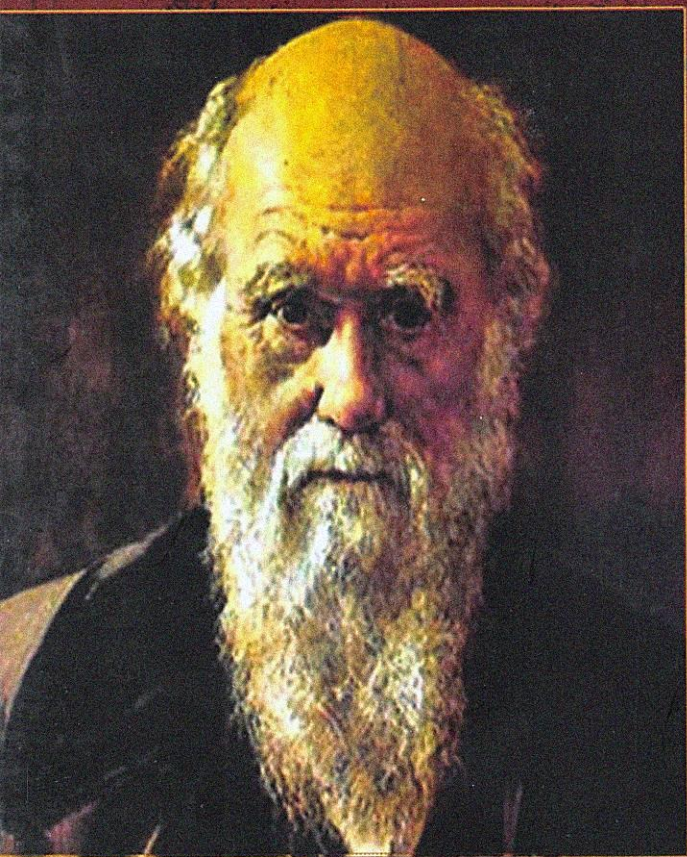


قصة حياة تشارلس داروين



تحرير: فرانسيس داروين
ترجمة وتقديم: مجدى محمود المليجى

170



المشروع القومي للتوثيق

المركز القومي للتوثيق

قصة حياة

تشارلس داروين

المركز القومي للترجمة

تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ بإشراف: جابر عصفور

إشراف: فصل يونس

- العدد: 1703
- قصة حياة تشارلس داروين
- فرانسيس داروين
- مجدى محمود المليجى
- الطبعة الأولى 2011

هذه ترجمة كتاب:

Life and Letters of Charles Darwin

Edited by Francis Darwin

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. , Opera House, El Gezira, Cairo

Tel.: 27354524 – 27354526 Fax: 27354554

E-mail: egyptcouncil @ yahoo. com

قصة حياة تشارلس داروين

تحرير

فرانسيس داروين

1888

ترجمة وتقديم

مجدى محمود المليجى



2011

بطاقة الفهرسة إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية	
داروين، فرانسيس، ١٨٤٨ - ١٩٢٥. قصة حياة تشارلس داروين / تحرير: فرانسيس داروين، ترجمة وتقديم: مجدى محمود المليجى ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١١ ٤١٢ ص ، ٢٤ سم ١ - العلماء الإنجليز ٢ - داروين، تشارلس روبرت، ١٨٠٩ - ١٨٨٢ (أ) المليجى، مجدى محمود (مترجم ومقدم) ٩٢٥	(ب) العنوان
رقم الإيداع ١٦٥٦٧ / ٢٠١٠ التقييم الدولى : 9-249-7(04-977-978-I.S.B.N طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية	

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

13	تقديم الكتاب
----	--------------------

الجزء الأول: عائلة داروين

	أصل العائلة - القرن السابع عشر - القرن الثامن عشر - إراسموس
25	داروين - دكتور ر.و. داروين - إراسموس داروين الصغير

الجزء الثاني: سرد داروين الذاتى لحياته

	مقدمة فرانسيس داروين - مرحلة الطفولة - إدنبرة - الرماية - كامبريدج
	- علم طبقات الأرض - رحلة البيجل - لندن - المنشورات - هدايات
	الأقدام - أصل الأنواع - باقى المنشورات - أسلوب الكتابة - الخواص
73	الذهنية

الجزء الثالث: استرجاعات حياة والدى اليومية

	العادات والمظاهر - الكلاب - المسيرات - ركوب الخيل - المراسلات -
	الأعمال - الموسيقى - الصور - القراءة - الرحلات - مع أطفاله -
211	الزوار - السلوك - الأصدقاء - العمل - الأسلوب - اعتلال الصحة
305	حواشى
325	تأبين تشارلز داروين ت.هـ. هوكسلى
331	مسرد بالمصطلحات والألفاظ الواردة بالكتاب

389 العلماء والنقات الوارد ذكرهم بالكتاب

401 مراجع الترجمة

قائمة اللوحات

اللوحات

23	داروين فى العقد الخامس	١
35	شجرة العائلة	٢
37	إراسموس داروين — الجد	٣
43	عائلة ويدجود ، بها والدته وجدّه جوشوا	٤
45	منزل الـ "ماونت" الذى ولد فيه داروين	٥
48	الدكتور روبرت وارينج داروين — والده	٦
62	إراسموس داروين الصغير — الأخ الأكبر	٧
71	غلاف " السرد الذاتى لحياة تشارلس داروين "	٨
76	داروين فى السابعة مع أخته " كاثرين " — عام ١٨١٦	٩
80	داروين طفلا يحتضن نباتات مزروعة	١٠
83	مدرسة شروزبرى	١١
88	ضفة النهر المجاور للمنزل — مراتع الطفولة	١٢
100	طائر من طرائد الصيد البريطانية	١٣
104	جامعة كامبريدج	١٤

120	جوشوا ويدجوود — خاله	١٥
123	السفينة البيجل على الشاطئ (للصيانة)	١٦
126	خط إبحار البيجل حول العالم (١٨٣١ — ١٨٣٦)	١٧
128	راقعة أرضية بيضاء " سانت جاجو " — جزر الرأس الأخضر	١٨
131	خريطة أرخبيل جالاپاجوس	١٩
134	خريطة أرض النار	٢٠
136	السفينة البيجل فى مضائق ماجيلان	٢١
139	إيما ويدجوود داروين — زوجته	٢٢
142	داروين فى ريعان الشباب	٢٣
144	الحيتود البحرية المرجانية — جزيرة إيميو	٢٤
146	تشارلس لايل	٢٥
150	جوزيف هوكر	٢٦
157	منزل داروين فى بلدة " داون "	٢٧
160	كتاب " رحلة البيجل "	٢٨
161	كتاب رحلة البيجل — الترجمة العربية	٢٩
163	حيوان هدايى	٣٠
166	أول رسم تخطيطى لداروين لشجرة التطور	٣١
170	ألفريد راسيل والاس ، فى سنغافورة	٣٢

172	٣٣ جوزيف هوكر (فى شيخوخته)
174	٣٤ كتاب " أصل الأنواع "
175	٣٥ كتاب " أصل الأنواع " — الترجمة العربية
180	٣٦ كتاب " تمايز الحيوانات والنباتات تحت تأثير التدجين "
184	٣٧ آسا جرای
187	٣٨ كتاب " نشأة الإنسان والانتقاء الجنسى "
188	٣٩ كتاب " نشأة الإنسان والانتقاء الجنسى " — الترجمة العربية
190	٤٠ كتاب " التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات "
191	٤١ كتاب " التعبير عن الانفعالات " — الترجمة العربية
193	٤٢ داروين فى منتصف العمر
202	٤٣ ثوماس هوكسلى (فى شبابه)
209	٤٤ داروين فى العقد السادس
218	٤٥ داروين عندما بدأ فى إطلاق لحيته
221	٤٦ داروين مرتدياً قبعته
224	٤٧ أحد الكلاب التى كان داروين مشغولاً بها
227	٤٨ مستنداً النباتات الزجاجة الملحق بمنزل داروين
231	٤٩ منظر شامل لمنزل داروين فى " داون "
250	٥٠ تشارلس فى شيخوخته

259	٥١ " أنى " ابنته التى توفيت فى عام ١٨٥١
263	٥٢ داروين مع أحد أبنائه
276	٥٣ هيربت سينسر
284	٥٤ . غرفة المكتب بمنزل " داون "
303	٥٥ داروين فى العام السابق لوفاته
324	٥٦ هوكسلى — عند تأبينه لداروين
329	٥٧ الإله الفرعونى " تحوتى " — المسجل (المخطاط)

إلى أولادى

لقد سعدت بكم .. فاسعدوا معى بهذا الكتاب..

واجعلوه نبراسا لكم...

مجدى

تقديم الكتاب

• عندما تصدّيت لترجمة أهم كتاب لـ"تشارلس داروين"، "نشأة الأنواع الحية" The Origin of Species، المشهور تحت عنوان "أصل الأنواع"، لم يكن يدور في خلدى مقدار عظمة هذا الإنسان، ولا الكم الكبير من الكتب التى قام بنشرها. وعندما انتيّبت من ترجمة ذلك الكتاب، الذى استغرق منى حوالى خمسة آلاف ساعة، على مدى ما يزيد على العامين من العمل المتواصل، شعرت بفراغ شديد، ولم أجد ما يملؤه، إلا البدء على الفور بترجمة الكتاب الثانى فى الأهمية بالنسبة لمنشوراته، وهو ما يعتبر تكملة أو جزءا ثانيا من كتابه الخالد، ألا وهو كتاب "نشأة الإنسان والانتقاء الجنىسى Descent of Man, and Sexual Selection"، وقد استغرق بدوره حوالى خمسة آلاف ساعة، على مدى العشرين شهرا، ويبدو بعد ذلك أننى أصبت بداء الإدمان على كتابات "داروين"، وما تلقّيه محاولات ترجمة تعبيراته والمصطلحات الواردة بها، من تحديات أمام ذهنى، وحيث إن هذه التحديات والأحاجى قد كانت هى هدفى الأساسى، لمحاولة المحافظة على سلامة ذهنى من الخرف لأطول وقت ممكن، لم يعد أمامى مناص من الاستمرار فى تتبّع كتبه، ومحاولة استكمال ترجمة المهم منها، لكى تتضم كوحدة متكاملة، إلى مكنتبات المستخدمين للغة العربية.

• أتبعته بناء على ذلك الكتابين الأولين، بكتاب ثالث من أعظم أعماله، خاص بموضوع مختلف لكنه تابع لنفس المسيرة، وهو كتاب "التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات" The Expression of Emotions in Man and Animals، وعند انتهائى منه، وجدت أننى قد انغمست تماما فى تلافيف ذهن "داروين"، وما أنتجته قريحته، وأصبحت متشوقا للتعرف على كل ما يدور حوله،

وعلى شخصيته، وتصرفاته، والمقومات التي أدت إلى نبوغه، وإلى تلك الغزارة في الإنتاج العلمي الرصين.

• تصادف في ذلك الوقت أن تقابلت مع شخص عظيم، من كبار المترجمين وأفضلهم خلقا، وهو الأستاذ "شوقي جلال"، الذي نصحتني بالاستمرار في هذا المسعى، والقيام بترجمة القصة الحياتية لشارلس داروين، رغم أنه كان قد قام بالتحضير في وقت مبكر لعرض مختصر عنها، ولم يعتبر قيامي بذلك تقويضا لما سبق له القيام به، لكنه استكمال قام هو نفسه بالمطالبة به.

• بدأت بناء على ذلك ، في البحث عن مصدر للحصول على نص للسرد الذاتي لقصة حياة داروين، وعندما عثرت على الكتاب الأصلي المحتوى على ذلك، تبين أنه يمثل الباب الثاني من كتاب تم إصداره في عام ١٨٨٨، أي بعد وفاته بخمس سنوات، بواسطة ابنه "فرانسيس داروين". وهذا الكتاب مكون من ثلاثة مجلدات، تبلغ في مجموعها ما يزيد عن الألف صفحة، وتحت عنوان "حياة ورسائل تشارلس داروين" Life and Letters of Charles Darwin.

• وجدت أن من المهم للقارئ المهتم بداروين، الاطلاع على الأبواب الثلاثة الأولى الموجودة في المجلد الأول، حيث إنها تتناول في الباب الأول التاريخ العائلي، وفترة تكوين " تشارلس داروين " والقرابات الحميمة له، التي كان لها اتصال به أو تأثير عليه. أما الباب الثاني فهو خاص بسرده الذاتي لقصة حياته، الذي قام بتحريره في السنوات الأخيرة من عمره، كسجل متروك لأولاده، وليس بغرض النشر. وكان الباب الثالث ينصب على استرجاعات ابنه "فرانسيس" ، التي تلقى الضوء على حياته من وجهة نظر أكثر الأقرباء المحترفين به، على مدى العديد من السنين.

• يصبح لدينا على هذا الأساس المدار الكبير المحيط بحياة داروين، ثم بؤرة حياته المكتوبة بخط يده، وأخيرا الرؤية من أحد التوابع التي كانت تدور في فلكه،

وتلك الثلاثية كفيّلة بتقديم صورة تفصيلية ومتكاملة عن هذا الرجل، والظروف التي قام فيها بإنجاز أعماله، التي تمثل إحدى علامات الطريق المهمة على درب التقدم الإنساني، والتي لا تحدث إلا على مسافات زمنية متباعدة، تقدّر بعدة قرون.

• أما بالنسبة للجزء الخاص بالرسائل، فقد وجدت أنه ضخّم جداً، ولا يحتوى على إضافات مهمة بالنسبة لحياة "داروين"، ولو أنها تلقى الضوء على ما كان يدور في محيط الحياة العلمية والثقافية لتلك الحقبة. ولهذا قصرت هذا المجلد على الأبواب الثلاثة الأساسية الأولى من الكتاب الأصلي - حتى يمكن إصداره بحجم مناسب، وهو يحتوى على الأشياء المهمة التي أرمى إلى إظهارها، المتعلقة بشخصيته، وطريقة معيشته والمنهاج الذي كان يتبعه .

• لدينا في هذا الكتاب صورة شاملة لقصة تفوق ونبوغ علمي، ودأب على العمل ونجاح شخصي، وسمو أخلاقي، منذ بدايتها وتطوراتها ومصادقاتها من الممكن اتخاذها نبراسا ومصدرا لدروس مستفادة، بالنسبة للأجيال الموجودة والقادمة ، من شعوب هذه المنطقة متحدة اللسان، ومتقاربة الثقافة، لعلها تكون حافزا لهم لاتباع نفس هذا السراج والمنهاج في الحياة، والدقة في إنجاز الأعمال، والمثابرة في أدائها، واتباع النظام والترتيب، وهي الأشياء التي تمثل حجر الأساس، في نجاح أى عمل يقوم به الإنسان.

• نجد هذه القصة الحيائية من الدروس ما يكفي لبث الطمأنينة في قلوب الشباب وأولياء أمورهم، التي تفيد بأن الإنسان ينبغي، عندما يعثر على ما يناسب أهواءه وسجاياه من نشاط، وما يكفي لإثارة اهتمامه، وقد تثبت الأيام أن من يتم اعتباره فاشلا في مرحلة مبكرة من حياته، من الممكن أن يتحول عند سنوح الفرص الملائمة، إلى أحد النوابغ المعطائين، عندما يجد المتنفّس الصحيح لطاقاته ومواهبه. وقد يكون في ذلك رد على ما استحدثته المؤسسات التعليمية من أنظمة "المجموع التراكمي" و"مرتبة الشرف".

قمت بترجمة هذا الكتاب طبقا لإصداره الأول عام ١٨٨٧ ، من قبل ابنه "فرانسيس داروين" Francis Darwin ، مع المحافظة على الإغفالات المذكورة في مقدمته، ليتمكن الجميع من قراءتها، في صورة بعيدة عن إثارة الحساسيات والاعتراضات، التي قد تثور في أذهان البعض، وتجنباً لإثارة مشاعرهم وإحجامهم، عن قراءة هذا النموذج من الحياة الجادة الساعية إلى التقدم العلمي الأمين والجاد. ثم قمت بالحاق ترجمة الفقرات المسقطّة، في حاشية تالية لترجمة السيرة والاسترجاعات، حتى تكون في متناول يد من تتطلع نفسه، إلى الإمام بجميع الجوانب الموجودة في شخصية داروين، وذلك انطلاقاً من التزام الأمانة التامة، في الترجمة التي أضعتها دائماً نصب عيني، مع التجاهل التام لأي مشاعر شخصية أو تحفظات اجتماعية، من شأنها تشويه النص الأصلي الذي تصديت لترجمته، ولإيماني بأن أي تصرف من جانب المترجم، من شأنه أن يحدث تحريفاً في الصورة الكاملة الدقيقة للعمل، وما يترتب على ذلك من زيغ أثناء استعراضه، أو القيام بنقده نقداً موضوعياً أميناً - تاركاً حرية الإغفال لجزء دون المساس بالمضمون الأصلي، لمن لا يستسيغه.

تلى تلك الحاشية المحتوية على الإسقاطات، ترجمة خطاب التآبين الذي ألقاه "الأستاذ هوكسلي" Prof. Huxley في ٢٧/٤/١٨٨٢، وتم اختتام الترجمة بمسرد للمصطلحات والألفاظ الواردة بالكتاب، وذلك لما أرجو من أن يكون فيه فائدة للمطلع على الترجمة من جهة المصطلحات العلمية أو الألفاظ غير شائعة الاستخدام، في كل من اللغتين الإنجليزية والعربية. وقد قمت كما اعتدت في جميع أعمالي السابقة في الترجمة، التي كان معظمها لأعمال "تشارلس داروين"، باستخدام حق الاجتهاد ، في نحت وتصويب وتعديل بعض المصطلحات التي أعتقد أنها زائغة، مع تحمل مسئولية هذه الاجتهادات والتصرفات، والإقرار بأنها شخصية، وقمت بوضع علامة نجمة (*) أمام كل منها، مع وضع علامة (#) أمام أي مصطلح غامض، فشلت كل جهودي في ترجمته، للفت نظر أي شخص أكثر

منى كفاءة، لمحاولة القيام بما عجزت عن تحقيقه. وكل ما أرجوه من المختصين والعلماء، تقليب الفكر فيما ذهبت إليه من اجتهادات، فإن أصبت فيما ذهبت إليه، نلت عن ذلك ثوابين، أما لو كنت مخطئاً، فيتوجب على الاعتذار، لكن يبقى لى ثواب واحد، وهو المحاولة.

مجدى المليجى

قائمة بالكتب التى أصدرها " داروين "

- ١٨٣٦ : "خطاب"، A Letter ، يحتوى على ملحوظات عن الحالة الأخلاقية الموجودة فى "تاهيتى"، ونيوزيلاندا، وخلافهما - بواسطة "القبطان فيتزروى" وشارلس داروين .

- ١٨٣٩ : يوميات وتعليقات (رحلة السفينة البيجل البحرية)

Journal and Remarks(The voyage of the Beagle).

- ١٨٣٩ - ١٨٤٣ : حيوانات رحلة البيجل البحرية - ٥ أجزاء

Zoology of H.m.s. Beagle .

- ١٨٤٢ : التركيب والتوزيع للحيدود المرجانية

The Structure and Distribution of Coral Reefs.

- ١٨٤٤ : ملاحظات جيولوجية حول الجزر البركانية

Geological Observations of Volcanic Islands.

- ١٨٤٦ : ملاحظات جيولوجية حول أمريكا الجنوبية

Geological Observations on South America .

- ١٨٤٩ : الطبقات الأرضية، من كتيب خاص بالاستفسار العلمى، معد لاستخدام رجال بحرية جلالة الملكة، ومعد للرحالة بوجه عام

Geology from a Manual of Scientific enquiry,Prepared for the use of her Majesty`s Navy;and Adapted for Travelers in General .

- ١٨٥١ : دراسة مفردة عن الطائفة الفرعية للهدايات، مع تصاوير لجميع الأنواع . فهديات الأهاب *، أو الهدايات المسوقة *

A Monograph of the Sub-class Cirrepedia with Figures of all the Species. The Lepadidae, or pedunculated Cirripedes.

- ١٨٥١ : دراسة مفردة عن فهديات الأهاب الأحفورية، أو الهدايات المسوقة الأحفورية الخاصة ببريطانيا العظمى

A Monograph on the Fossil Lepadidae, or Pedunculated Cirripedes of Great Britain.

- ١٨٤٥ : دراسة مفردة عن الطائفة الفرعية للهدايات، مع تصاوير لجميع الأنواع. الحشفيات البحرية* (أو الهدايات الجالسة)، المثالات*، وخلافها

A Monograph of the Sub-class Cirrepedia with Figures of all the Species. The Balanidae (or Sessile Cirripedes), the Verrucidae, etc.

- ١٨٤٥ : دراسة مفردة عن الحشفيات* والمثالات* الأحفورية، الخاصة ببريطانيا العظمى

A Monograph on the Fossil Balanidae and Verrucidae of Great Britain.

- ١٨٥٨ : حول استدامة الضروب والأنواع، عن طريق الوسائل الطبيعية للانتقاء

On the Perpetuayion of Varieties and Species by Natural Means of Selection.

١٨٥٩ : " حول نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتقاء الطبيعي، أو انحفاظ على الأعراق المفضلة، أثناء الصراع من أجل الحياة

On the Origin of species by means os Natural Selection. or the Preservation of favoured Races in the Struggle for Life.

• ١٨٦٢ : حول الوسائل المستتبطة المختلفة التى يتم بواسطتها، تلقيح السحليات البريطانية والأجنبية، عن طريق الحشرات

On the Various Contrivances by Which British and Foreign orchids are Fertilized by Insects .

• ١٨٦٨ : تمايز النباتات والحيوانات تحت تأثير التدجين (جزئين)

Variation of Plants and Animals under Domestication .

• ١٨٧١ : نشأة الإنسان وعلاقة الانتقاء بالجنس

The Descent of Man, and Selection in Relation to Sex .

• ١٨٧٢ : التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات

The Expression of Emotions in Man and Animals .

• ١٨٧٥ : حركة وسلوكيات النباتات المتسلقة

Movements and Habits of Climbing Plants .

• ١٨٥٧ : النباتات الآكلة للحشرات

.Insectivorous Plants .

- ١٨٧٦ : تأثير التلقيح التهجيني والذاتي في المملكة النباتية

The Effects of Cross and Self-Fertilisation in the Vegetable Kingdom .

- ١٨٧٧ : الأشكال المختلفة من الزهور الموجودة على النباتات التابعة لنفس النوع

The Different forms of Flowers on Plants of the Same Species .

- ١٨٧٩ : فاتحة وملحوظة ابتدائية، "في كتاب" إرنست كراوس، عن "إرسموس داروين"

"Preface and a Preliminary Notice" in Ernst Krause's Erasmus Darwin .

- ١٨٨٠ : القدرة على الحركة الموجودة في النباتات

The Power of movement in Plants .

- ١٨٨١ : التكوين للتربة النباتية من خلال مفعول الديدان

The Formation of Vegetable Mould Through the Action of Worms .

- القصة الذاتية لتشارلس داروين (تم إصداره بواسطة ابنه فرانسيس داروين)

Autobiography of Charles Darwin (Edited by Francis Darwin)



لوحة (٢)
داروين فى العقد الخامس

الجزء الأول

عائلة داروين

أصل العائلة - القرن السابع عشر - القرن الثامن عشر - إراسموس داروين -
دكتور ر.و. داروين - إراسموس داروين الصغير

نبين أكثر سجلات العائلة إيفالا في القدم، أن التابعين لعائلة "داروين"، كانوا من الملاك الموسرين للأرض، المقيمين على الحدود الشمالية من "لينكولنشير" Lincolnshire، بالقرب من "يوركشير" Yorkshire. ورغم أن الاسم غير معتاد حاليا في إنجلترا، فإنني أعتقد أنه ليس مجهولا في المناطق المجاورة لـ "شيفيلد" Sheffield وفي "لانكشاير" Lancashire. ونجد بالرجوع إلى عام ١٦٠٠ أنه يتم هجاء^(١) الاسم بطرق متنوعة "ديرونت"، و"دارون" Darwen، و"داروين" Darwyne، وخلافه. ومن المحتمل بناء على ذلك، أن العائلة قد ارتحلت^(٢) في تاريخ غير معلوم من "يوركشير"، أو "كامبرلاند" Camberland، أو "دربيشير" Derbyshire، حيث يوجد "ديرونت" Derwent كاسم لأحد الأنهر.

يدعى أول جد أعلى لدينا علم به، "وليام داروين" William Darwin، الذي عاش حوالي عام ١٥٠٠ في "مارتون" Marton، بالقرب من "جينزبره" Gainsborough. وقد ورث ابن حفيده^(٣)، "ريتشارد داروين" Richard Darwyn أرضا في "مارتون" ولماكن أخرى، وقام في وصيته المؤرخة في ١٥٨٤ "بتخصيص"^(٤) مبلغ ثلاثة شلنات وأربع

Spell

Migrate

Great grandson

Bequeath

(١) هجاء = تهجئة

(٢) يرتحل

(٣) ابن الحفيد

(٤) يورث (يخصص) بوصية

بنسات، لصالح إقامة لافتة بشعار جلالة الملكة، فوق الباب الخاص بجوقة المنشدين^(١)، الموجودين في أبرشية "مارتون"^(٢) [1]

يبدو أن ابن هذا الـ"ريتشارد"، المدعو "وليام داروين" William Darwin -والذى كان يوصف على أساس أنه "رجل محترم"-(٣)، قد كان رجلاً ناجحاً. حيث قام علاوة على احتفاظه بأرض أسلافه^(٤) في "مارتون"، بالاكْتِسَاب من خلال زواجه، وعن طريق الشراء، لعزبة^(٥) في "كليثام"، الموجودة في أبرشية "مانتون" Manton، بالقرب من "كيرتون ليندس" Kirton Lindsey، وقام بتوطيد إقامته هناك. وقد ظلت هذه العزبة من ممتلكات العائلة إلى عام ١٧٦٠. ولا يوجد منها الآن سوى بيت ريفي^(٦) بحوائط سميكة، والبعض من برك الأسماك^(٧) والأشجار القديمة، التي تبين أين كان "القصر العتيق" Old Hall ينتصب في يوم من الأيام، وحقل مازال يعرف محلياً، على أساس أنه "حقل داروين الخيري" Darwin Charity، نتيجة لأنه كان خاضعاً لتعليمات، في صالح فقراء "مارتون". ولابد أن "وليام داروين" كان مديناً، على الأقل بشكل جزئي، في ارتفاع منزلته، إلى تعيينه في عام ١٦١٣ عن طريق الملك جيمس الأول James I، في منصب القيم^(٨) على دار السلاح^(٩) الملكية في "جرينتش" Greenwich. ويبدو أن المنصب كان يساوي ٣٣ جنيهًا فقط في العام، ومن المحتمل أن الواجبات كانت اسمية^(١٠) تقريباً، وقد احتفظ بهذا المنصب إلى وقت مماته أثناء الحروب الأهلية^(١١).

Choir	(١) جوقة المنشدين
Parish church	(٢) أبرشية كنسية
Gentleman	(٣) رجل محترم •
Ancestor	(٤) سلف = جد أعلى
Estate	(٥) عزبة
Cottage	(٦) بيت ريفي
Fish-Pond	(٧) بركة أسماك
Yeoman	(٨) قيم •
Armoury	(٩) دار السلاح •
Nominal	(١٠) اسمي
Civilwar	(١١) حرب أهلية

قد تقوم الحقيقة بأن هذا الـ"وليام" كان خادما ملكيا، بتفسير لماذا التحق ابنه- وكان يسمى أيضا "وليام"- بخدمة الملك عندما كان صبيا تقريبا، كقائد ملازم^(١) في فرقة خيالة "السير ويليام بيلهام" Sir William Pelham. وقد تمت عند التسريح^(٢) الجزئي للجيش الملكية، والانسحاب للباقي إلى "إسكتلندة" Scotland، مصادرة^(٣) ممتلكات الصبي بواسطة البرلمان^(٤)، لكنه استردها عند توقيعه على تحالف الخضوع والاتفاق Solemn League and Covenant، وبعد قيامه بتسديد غرامة^(٥)، لابد أنها أثرت على تدابير المالية بشدة، حيث يتحدث في التماس مرفوع إلى الملك "تشارلس الثاني"، عن خرابه التام تقريبا، لتمسكه بالقضية الملكية.

أصبح "وليام داروين" في غضون فترة "الاشتراك في اليسر"^(٦)، محاميا، أمام المحكمة العليا^(٧) في "لينكولن"، ومن المحتمل أن ظروفه أدت إلى زواجه من ابنة "إراسموس إيرل" Erasmus Earle، المحامي من الطراز الأول^(٨)، ولذا السبب استمد ابن حفيده، "إراسموس داروين" Erasmus Darwin الشاعر، هذا الاسم المعمداني^(٩). وقد أصبح في آخر الأمر، المسجل^(١٠) لمدينة "لينكولن".

ولد الابن الأكبر لهذا المسجل، ويدعى أيضا "وليام"، في عام ١٦٥٥، وتزوج وريثة "روبرت وارينج" Robert Waring، التي تنتمي إلى عائلة محترمة

-
- | | |
|--------------------|---|
| Captain-Lieutenant | (١) قائد ملازم * |
| Dispersion | (٢) تسريح (من الجيش) |
| Sequester | (٣) يصادر |
| Parliament | (٤) البرلمان = مجلس نواب الأمة |
| Fine | (٥) غرامة |
| Commonwealth | (٦) الاشتراك في اليسر * (جمهورية كرومويل) |
| Barrister | (٧) محامى أمام المحكمة العليا |
| Serjeant-at-law | (٨) محامى من الطراز الأول |
| Christian name | (٩) الاسم المعمداني * |
| Recorder | (١٠) مسجل |

في "ستافوردشير" Staffordshire. وقد ورثت هذه السيدة من عائلة "لاسيلس" Lassells أو Laseelles، العزبة^(١) والقصر^(٢) الموجودين في "إلستون" Elston، بالقرب من "نيو أرك" Newark والذي بقي منذ ذلك الحين من ممتلكات الأسرة [2]. وهناك صورة مرسومة لوجه^(٣) هذا الـ"ويليام داروين" موجودة في "إلستون"، تبينه على أساس أنه رجل حسن الطلعة، بشعر مستعار^(٤) مكتمل التتلي^(٥).

رزق هذا الـ"ويليام" الثالث بولدين، هما "ويليام"، و"روبرت" الذي تلقى التعليم ليصبح محامياً. وقد تركت ممتلكات "كليثام" Cleatham، لـ"ويليام"، ولكنها بانتهاك خط الأسرة ببنات، عادت إلى الأخ الأصغر، الذي تسلم "إلستون". وقام "روبرت" عند وفاة والدته بالتخلي عن مهنته، وأقام بعد ذلك إلى آخر عمره في "قصر إلستون". وقد كتب "تشارلس داروين" عن هذا الـ"روبرت" [3] ما يلي:-

"يبدو أنه كان يتمتع ببعض التنوق للعلم، لأنه كان أحد الأعضاء المبكرين في "منتدى سبالدينج" Spalding Club المشهور، وقد قام "الدكتور ستوكيلي" Dr. Stukeley، الجامع والدارس المشهور للأشياء العتيقة^(٦)، في مقالته العلمية "تقرير عن هيكل عظمي مكتمل تقريبا لحيوان ضخم، إلى آخره" An Account of the almost entire skeleton of a Large Animal & C. المنشور في "محاضر الجلسات الفلسفية" Philosophical Transactions، في أبريل ١٧١٩، باستهلال مقاله بما يلي: "تلقيت من صديقي "روبرت داروين" المحترم^(٧)، من "لينكولن إن"، وهو

Manor

Hall

Portrait

Wig

Full-bottomed

Antiquary

Esq.

(١) عزبة

(٢) قصر

(٣) صورة مرسومة لوجه

(٤) شعر مستعار

(٥) مكتمل التتلي *

(٦) جامع أودارس للأشياء العتيقة

(٧) المحترم

شخص ذو فضول^(١)، تقريراً خاصاً بهيكل عظمي^(٢) بشري^(٣) مطبوع^(٤) في الصخر، تم العثور عليه مؤخراً بواسطة كبير "إلستون"، إلى آخره". ويتحدث "ستوكيلي" بعد ذلك عن هذا الاكتشاف، على أساس أنه نادر جداً، "ولم تتم ملاحظة مثل هذا من قبل، طبقاً لمعلوماتي في هذه الجزيرة". وانطلاقاً من نوعية الابتهالات^(٥) المكتوبة بواسطة "روبرت"، وتوارثتها العائلة، فإنه كان منادياً^(٦) قوياً بكبح الشهوات^(٧)، وكان ابنه ينادي دائماً فيما بعد بشكل قوى بما يلي:-

من نهار لا يشرق،

من صبي يشرب الخمر،

من زوجة تتكلم اللاتينية،

يا مولاي الكريم أنقذني!

"من المحتمل أن يتم تفسير خط الأنساب الثالث عن طريق زوجته، وهي أم "إراسموس"، التي كانت سيدة مثقفة جداً. فقد ورث الابن الأكبر لـ"روبرت" إقطاعية "إلستون"، وتوفي هناك عند عمر اثنين وتسعين عاماً، وهو مازال أعزب. وكان يتمتع بتذوق شديد للشعر، مثل أصغر إخوته "إراسموس". وقد قام "روبرت" بالتنقيب أيضاً في علم النبات، وعندما كان رجلاً عجوزاً، قام بنشر كتابه "أساسيات علم النبات" Principia Botanica. وهذا الكتاب كمخطوط يدوي محرر بشكل جميل، وقد صرح والدي (الدكتور ر.و. داروين "Dr. R.W. Darwin") بأنه يعتقد أنه نشر،

Curiosity

Skeleton = Skeleton

Human

Impressed

Litany

Advocate

Temperance

(١) فضول - حب استطلاع

(٢) هيكل عظمي

(٣) بشري

(٤) مطبوع

(٥) ابتهال

(٦) منادى - مدافع

(٧) كبح الشهوات

لأن عمه العجوز لم يستطع تحمل أن يكون من شأن مثل تلك الرسومات الطباشيرية^(١) أن يتم إهدارها، لكن من الصعب أن يكون هذا عادلاً، لأن الكتاب يحتوى على الكثير من الملحوظات اللافتة للنظر عن الأحيائيات^(٢)، وهو موضوع كان مهماً بشكل تام فى إنجلترا فى القرن الماضى. والأكثر من ذلك، أن العامة شعروا بالتقدير للكتاب، حيث إن النسخة التى فى حوزتى، تابعة للإصدار الثالث.

ترتيب القرابة الخاصة بـ "تشارلس داروين"

"رزق روبرت داروين" من "إليستون" Robert Darwin of Elston ١٦٨٢ - ١٧٥٤، بثلاثة أولاد:

"وليام ألفي داروين" William Alvey Darwin (١٧٢٦-١٧٨٣)، الذي رزق بولد هو "وليام براون داروين" William Brow Darwin (١٧٧٤-١٨٤١)، وابنة هي "آن داروين" Anne Darwin، التي تزوجت "صامويل فوكس" Samuel Fox، وأنجبا ولدا هو "وليام داروين فوكس" William Darwin Fox.

"وليام براون داروين" William Brawn Darwin (١٧٧٤ - ١٨٤١)، الذي رزق بابنتين هما "تشارلوت داروين" Charloote Darwin، التي تزوجت "فرانسيس رودس" Francis Rhodes الذي أصبح "فرانسيس داروين" Francis Darwin الخاص بـ "كريسكلد" Kreskeld و"إليستون" Elston - والابنة الثانية هي "سارة داروين" Sarah Darwin التي تزوجت "إدوارد نويل" Edward Noel.

- "إراسموس داروين" Erasmus Darwin (١٧٣١ - ١٨٠٢) الذي تزوج مرتين:-

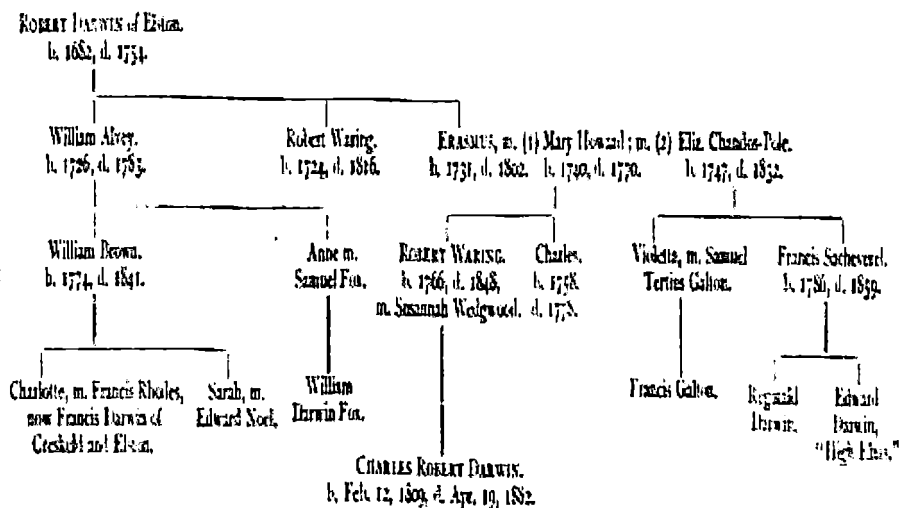
"ماري هوارد" Mary Howard (١٧٤٠ - ١٧٧٠) وكان له منها ولدان :
"تشارلس داروين" Charles Darwin (١٧٥٨ - ١٧٧٨) و"روبرت وراينج داروين" Robert Waring Darwin

"إليزابيث تشاندوس - بول" Eliz. Chandos-Pole (١٧٤٧ - ١٨٣٢) التي كان له منها ابنة وابن، والابنة اسمها "فيوليتا داروين" Violetta Darwin، التي تزوجت "صامويل تيرتيوس جالتون" Samuel Tertius Galton، وأنجبا ولدا هو

"فرانسیس جالتون" Francis Galton - أما الابن فهو "فرانسیس ستشیفریل داروین" Francis Sacheverel Darwin (۱۷۸۶ - ۱۸۵۹) الذي أنجب ولدين هما "ریچنالد داروین" Reginald Darwin و"إدوارد داروین" Edward Darwin (الدردار العالی High Elms).

* "روبرت وارینج داروین" (۱۷۶۷ - ۱۸۴۸) تزوج "سوزانه ویدجوود" Susannah Wedgwood ورزقَ بـ "تشارلس روبرت داروین" فی ۱۲ فبرایر ۱۸۰۹ الذي توفي فی ۱۹ إبریل ۱۸۸۲.

TABLE OF RELATIONSHIP.



لوحة (٣)

شجرة العائلة

قام الابن الثاني، "وليام ألڤي" William Alvey، بنقل "إلستون" إلى حفيدته، "الراحلة السيدة داروين" Late Mrs. Darwin، صاحبة "إلستون" و"كريسكيلد" Creskeld. وأصبح الابن الثالث مديرا لشئون "إلستون"، حيث كانت المعيشة فيه منحة خاصة بالعائلة. أما الابن الرابع، وهو الطفل الأصغر، فكان "إراسموس داروين"، الشاعر الفيلسوف.

يوضح الجدول المرفق انحدار "تشارلس داروين" عن "روبرت"، وعلاقته مع بعض الأعضاء الآخرين من العائلة، الذين وردت أسماؤهم في سيرة حياته ومراسلاته. وقد قمت بضم "ويليام داروين فوكس" William Darwin Fox إليهم، وهو واحد من أوئل المتراسلين معه، و"فرانسيس جالتون" Francis Galton، الذي ظل على صداقة حميمة معه لأعوام كثيرة. ويوجد هناك أيضا، اسم "فرانسيس سانتشيفريل داروين" Francis Socheverel Darwin، الذي ورث الحب للتاريخ الطبيعى عن "إراسموس"، وقام بنقله إلى ابنه "إدوارد داروين" Edward Darwin، المؤلف (تحت اسم "الرددار السامق" High Elms) لكتاب "كتيب حارس الطرائد" Gamekeeper's Manual (الإصدار الرابع، عام ١٨٦٣) الذى يقوم بتوضيح ملاحظات دقيقة، عن السلوكيات الخاصة بحيوانات مختلفة.

من المشوق دائما، مشاهدة إلى أى مدى من الممكن تتبع المميزات الشخصية لأى إنسان، الموجودة فى آبائه الأعلين^(١). وقد ورث "تشارلس داروين" قامة^(٢) "إراسموس" الطويلة، لكن ليس قوامه^(٣) لكن لا يوجد فى ملامحه أى تماثل من الممكن تتبّعه، لتلك الملامح الخاصة بجده. وكما يبدو، لم يكن لدى "إراسموس" أيضا، ولع بالرياضة البدنية والرياضات الميدانية، التى كانت من الصفات المميزة بشكل خاص لـ "تشارلس داروين" عندما كان رجلا يافعا، رغم أنه كان حائزا مثل حفيده،

Fore father

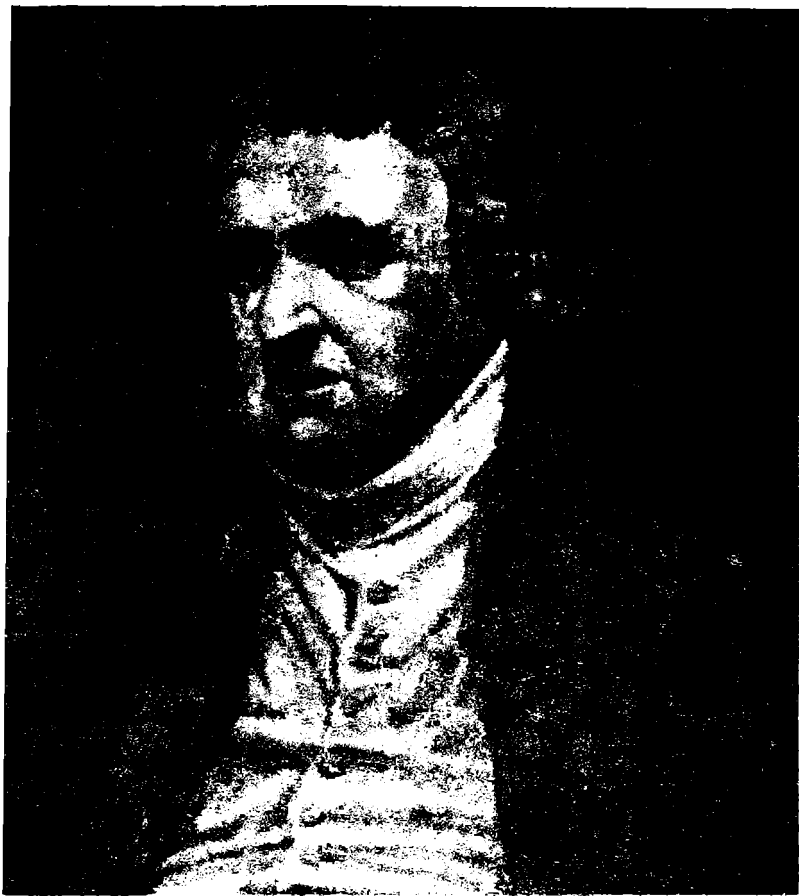
Stature

Figure

(١) الأب الأعلى = السلف

(٢) قامة

(٣) قوام



لوحة (٤)

إراسموس داروين - جد "تشارلس"

على ولع لا يقهر^(١) بالعمل الذهني الشاق. وكانت النزعة الخيرية والتعاطف مع الآخرين، والجاذبية الشخصية العظيمة من السمات الشائعة في كل منهما. وكان "تشارلس داروين" حائزاً بأعلى درجة، على ذلك "الخيال الخصب" الذي يتحدث عنه، على أساس أنه كان من المميزات القوية لدى "إراسموس"، وعلى أساس أنه يؤدي إلى نزعته التي لا تقاوم، لوضع النظريات^(٢) والتعميم^(٣). وقد كانت هذه النزعة الموجودة في "تشارلس داروين" مكبوحة بشكل كامل، عن طريق التصميم على وضع نظرياته تحت الاختبار إلى أقصى حد. وكان لدى "إراسموس" ولع شديد بجميع الأصناف من الآليات، وهو الشيء الذي لم يكن "تشارلس داروين" يستسيغه على الإطلاق. ولم يكن لدى "تشارلس داروين" المزاج الأدبي، الذي جعل "إراسموس" شاعراً، علاوة على كونه فيلسوفاً. وهو يكتب عن "إراسموس" قائلاً [4]:- "لقد صدمت عند استعراض جميع خطاياه، بعدم اهتمامه بالشهرة، والغياب التام لجميع العلامات الدالة على المغالاة في تقدير قدراته الشخصية، أو في النجاح لأعماله". ويبدو بالفعل، أن تلك الصفات تشير إلى السمات البارزة بشكل لافت للنظر، الموجودة في طابعه الشخصي. إلا أننا لا نجد عند "إراسموس" أى دليل يشير إلى التواضع والبساطة، اللذين شابا طبيعة "تشارلس داروين" الكاملة. إلا أن التفجر السريع للغضب، الذي يتم استثارته في "إراسموس"، عند رؤيته لأى عمل وحشى أو انعدام للعدالة، يعيدنا إلى تذكر تصرفات "تشارلس".

يبدو لى فى مجمل الأمر، أننا لا نعرف القدر الكافى عن المزاج الشخصى الجوهري، لطابع "إراسموس داروين"، لكى نحاول القيام بأكثر من المقارنة السطحية، وقد تخلف لدى انطباع، بأنه بالرغم من التماثلات الكثيرة الموجودة بين الرجلين، فإنهما كانا تابعين لنمطين مختلفين. وقد اتضح أن "الآنسة سيوارد" Miss

Seward و "السيدة سكميلبيننك" Mrs. Schimmelpenninck قامتا بتحريف طابع "إراسموس داروين" [5]. إلا أنه من المحتمل إلى أقصى حد، أن الأخطاء التي قامتا بتضخيمها، قد كانت إلى حد ما من مميزات الرجل، وهذا ما يقودني إلى الاعتقاد، بأن "إراسموس" كان يتمتع بقدر معين من الفظاظ^(١)، أو الصرامة في المزاج، وهو الشيء الذي لم يكن موجودا في حفيده.

ورث أولاد "إراسموس داروين" بدرجة ما، بعضا من تذوقاته الفكرية^(٢)، حيث يقوم "تشارلس داروين" بالكتابة عنهم على أساس أنهم كالتالي [6]:-

"كان الابن الأكبر، تشارلس" (ولد في ٣ سبتمبر ١٧٥٨)، شابا واعداد بشكل غير عادي، ولكنه توفي (في ١٥ مايو ١٧٧٨) قبل أن يبلغ الواحد والعشرين من العمر، نتيجة لتأثيرات جرح تلقاه، أثناء قيامه بتشريح دماغ طفل. وكان قد ورث عن والده تذوقا قويا لفروع العلم المختلفة، ولكتابة الأشعار، والآليات.. وورث أيضا التمتة^(٣). وأملا في شفاثه من ذلك، قام والده بإرساله إلى "فرنسا"، عند بلوغه ثماني سنوات من العمر (١٧٦٦-١٧٦٧) بصحبة مدرس خصوصي، ظانا أنه، إذا لم يسمح له بالتحدث باللغة الإنجليزية لبعض الوقت، فمن الممكن لعادة التمتة أن تختفي، وقد كان من الغريب أنه بعد مضي سنوات على ذلك، لم يعد يتمم على الإطلاق عندما يتحدث باللغة الفرنسية. وكان يقوم عند عمر مبكر جدا، بجمع العينات من جميع الأصناف. ثم أرسل عند بلوغه السادسة عشرة، لمدة عام إلى كلية "كنيسة المسيح" Christ Church — "أوكسفورد" Oxford، ولكن المكان لم يرق له، ودار في ذهنه (طبقا لكلمات والده) أن: "عنقوان^(٤) ذهنه قد فتر^(٥) في متابعة^(٦) الروائع التقليدية^(٧) مثل "هرقل" Hercules، وهو يعمل على فكرة

Acerbity

Intellectual

Stammering

Vigour = Vigor

Languish

Pursuit

Classical elegance

(١) فظاظ

(٢) فكري

(٣) تممة

(٤) عنقوان

(٥) يفتر = يهن = يضعف

(٦) يتابع = يتبع

(٧) رواائع تقليدية *

المغزل^(١)، وكان متلهفاً للانتقال إلى الممارسة الأكثر مشقة^(٢)، والالتحاق بكلية الطب التابعة لـ "إدنبره" Edinburgh. وقد أمضى ثلاثة أعوام في "إدنبره" وهو يعمل جاهداً على دراساته الطبية، ويوالى باجتهاد^(٣)، جميع المرضى التابعين لأبرشية "واترليث" Waterleith، ويقوم بتزويدهم بالعقاقير اللازمة^(٤) وقد قامت "الجمعية الطبية" Aesculapian Society بمنحه أول وسام^(٥) ذهبي في تاريخها، لاستقصائه التجريبي حول الصديد^(٦) والمخاط^(٧). وظهرت ملاحظات عنه في مختلف الجرائد، وأجمع كل المحررين على نشاطه وقدراته غير العادية. ويبدو أنه كان يقوم مثل والده، باستثارة المودة الدافئة في أصدقائه. وتحدث عنه "الأستاذ دونكان" Prof. Duncan بمودة دافئة إلى أقصى حد، بعد مرور سبعة وأربعين عاماً على وفاته، عندما كنت طالبا يافعا في كلية الطب بـ "إدنبره".

"ليس لدى فيما يتعلق بالطابع الخاص بابنه الثاني "إراسموس" (ولد في ١٧٥٩)، سوى القليل الذي من الممكن أن يقال، حيث يبدو رغم قيامه بكتابه الشعر، أنه لم يكن حائزاً على أى من تدفقات والده الأخرى. ومع ذلك، كانت له تدفقاته الخصوصية الأخرى، مثل علم الأنساب^(٨)، وجمع العملات النقدية، والإحصائيات^(٩). وقد قام في صباه بإحصاء جميع المنازل الموجودة في مدينة "ليثفيلد" Lichfield، وتحقق من أعداد القاطنين في أكبر عدد كان في استطاعته منها، وتوصل بهذا الشكل إلى حصر للسكان^(٩)، وعندما تم القيام بأول حصر حقيقي

Distaff	(١) فلكة المغزل
Robust	(٢) شاق = قوى
Diligence	(٣) اجتهاد
Medal	(٤) وسام = نوط
Pus	(٥) صديد
Mucus	(٦) مخاط
Genealogy	(٧) علم الأنساب
Statistics	(٨) إحصائيات
Census	(٩) حصر السكان

للسكان، تبين أن تقديره كان مضبوطاً تقريباً. وقد كان مزاجه^(١) هادئاً ومنطوياً^(٢). وكان لدى والدى إيمان قوي بقدراته، ومن المحتمل أن ذلك كان رأياً منصفاً، حيث لم يكن من شأنه لو لم يكن الأمر كذلك، أن تتم دعوته للقيام برحلات معه، وأن تتم دعوته للزيارة لمدد طويلة، من قبل رجال متميزين بطرق مختلفة، مثل "بولتون" Boulton المهندس، و"داى" Day المتخصص فى علم الأخلاق^(٣) والروائى^(٤). ويبدو أن وفاته عن طريق الانتحار^(٥) فى عام ١٧٩٩، قد حدثت وهو فى حالة من فقدان العقل^(٦) الابتدائى^(٧).

ولد "روبرت وارينج"، والد "تشارلس داروين" فى ٣٠ مايو ١٧٦٦، ودخل فى سلك مهنة الطب مثل والده. وقام بالدراسة لعدة أشهر فى "ليندن" Leyden، وحصل على شهادة "دكتور طبيب" M.D. [7] من هذه الجامعة فى ٢٦ فبراير ١٧٨٥. وقام والده (إراسموس) باستدعائه [8] إلى "شروزبرى" Shrewsbury، قبل أن يبلغ الواحد والعشرين عاماً من العمر (١٧٨٧) وترك له عشرين جنيتها، قائلاً "أخبرنى عندما تريد المزيد، وسوف أرسله إليك". وأرسل إليه أيضاً عمه المدير لشتون "إلستون" فيما بعد، عشرين جنيتها أخرى، وقد كان ذلك مجموع المساعدة المالية^(٨) التى تلقاها [9] على الإطلاق. وقد قال "إراسموس" لـ "السيد إدجورث" Mr. Edgeworth، إن ابنه "روبرت"، بعد مرور سنة أشهر فقط على استقراره فى "شروزبرى"، كان لديه بالفعل ما بين الأربعين والخمسين مريضاً. وأصبح لديه

Disposition

(١) مزاج - نزعة - ميل

Retiring

(٢) منطوى

Moralist

(٣) متخصص فى علم الأخلاق

Novelist

(٤) روائى - قصصى

Suicide

(٥) انتحار

Insanity

(٦) فقدان العقل - الخبل

Incipient

(٧) ابتدائى

Pecuniary

(٨) مالى

بحلول العام التالي، عدد له اعتباره من المرضى، وظل يتعامل دائماً بعد ذلك، مع عدد كبير منهم.

اقترن "روبرت وارينج داروين" (فى ١٨ إبريل ١٧٩٦) بـ"سوزانه" Susannah، ابنة صديق والده "جوسيا ويدجود" Josiah Wedgwood، من "إتروريا" Etruria، وكانت عندئذ فى الثانية والثلاثين من العمر. ولدينا صورة مرسومة صغيرة جداً^(١) لها، بوجه بشوش وسعيد بشكل ملحوظ، يحمل بعضاً من التشابه مع صورة مرسومة^(٢) بواسطة السير جوشوا رينولدز "Sir Joshua Renolds لوالدها، سيماء^(٣) معبرة عن الطبيعة الرقيقة والمتعاطفة، التى تعزوها "الآنسة ميتيارد" Miss Meteyard إليها [10]. وقد توفيت فى ١٥ يوليو ١٨١٧، أى قبل زوجها الذى توفى فى ١٣ نوفمبر ١٨٤٨ باثنتين وثلاثين عاماً. وقد أقام "الدكتور داروين" قبل زواجه لمدة عامين أو ثلاثة أعوام، فوق "تل سانت جون" St. John's Hill، ثم انتقل بعد ذلك إلى "كريسنت" (الهلال) Crescent، وهو المكان الذى ولدت فيه ابنته الكبرى "ماريان" Marianne، واستقر فى آخر الأمر فى الـ"ماونت" Mount، فى الجزء المعروف فى "شروزبرى" Shrewsbury بـ "فرانكويل" Frankwell، حيث ولد الأطفال الآخرون. وقد تم بناء هذا المنزل بواسطة "الدكتور داروين"، حوالى عام ١٨٠٠، وهو الآن فى حوزة "السيد سبنسر فيليبس" Mr. Spencer Phillips، ولم يحدث به إلا القليل من التعديلات. وهو منزل ضخم، غير مزخرف، مربع، من الحجر الأحمر، والشئ الأكثر جاذبية فى معالمه، بيت النباتات الزجاجى^(٤) الجميل، الذى يفتح على الغرفة الصباحية.

Miniature

Portrait

Counenance

Green house

(١) صورة مرسومة صغيرة جداً (على عاج) - منمنمة

(٢) صورة مرسومة لشخص

(٣) سيماء

(٤) بيت النباتات الزجاجى *



لوحة (٥)

عائلة ويد جورد

جوشوا ويد جورد، جد "تشارلس" داروين، إلى أقصى اليمين سوزانة
ويدجورد التي أصبحت والدّة "تشارلس" على الجواد في المنتصف

يقع المنزل فى مكان فائن، على قمة جرف شديد الانحدار^(١) يودى إلى الـ "سيغرن" Severn. ويخترق الجرف المقسم إلى مصاطب، ممشى طويل، يصل فيما بين النهايتين، ومازال يسمى إلى الآن "ممشى الدكتور". وتنمو على نقطة من هذا الممشى، شجرة كستناء إسباني^(٢)، تنثنى فروعها إلى الخلف متوازية مع بعضها بطريقة غريبة، وكانت الشجرة المفضلة لـ "تشارلس داروين"، عندما كان صبيا، حيث كان له ولاخته "كاثرين" Catherine مقعد خاص بكل منهما.

كان الدكتور يستمد الكثير من المتعة من حديقته، وكان يزرعها بالأشجار والشجيرات الزينية، وكان ناجحا بشكل خاص فى زراعة أشجار الفواكه، وأعتقد أن ولعه بالنباتات كان تذوقا مشثقا^(٣) عن الوله الذى كان لديه للتاريخ الطبيعى. أما بالنسبة لحضانة الحمام Mount Pigeons التى قامت "الآنسة ميتيارد" Miss Meteyard بوصفها، فلم أسمع عنها من أكثر الناس معرفة به، فلم يكن تقرير "الآنسة ميتيارد" دقيقا بشكل تام، فى الكثير من النقاط. وعلى سبيل المثال، فلا يصح وصف "الدكتور داروين"، بأنه يملك ذهنا فلسفيا حيث كان ذهنه متجها بشكل خاص إلى التفصيل، وليس إلى التعميم. علاوة على أن الذين يعرفونه بشكل حميم، يصفونه بأنه كان قليل الأكل بشكل ملحوظ، وهكذا فإنه لم يكن "من الأكولين العظام، يأكل إوزة على العشاء، بنفس السهولة التى يأكل فيها الآخرون طائر حجل" [11]. أما فيما يتعلق بأمور الملابس، فإنه كان محافظا، وكان يرتدى إلى نهاية حياته، بنظالا يصل إلى الركب^(٤) وطماقا^(٥) من قماش رمادى مسمر^(٦)،

Steep

Spanish Chestnut

Kindred

Knee-breeches

Gaiters

Drab

(١) شديد الانحدار

(٢) شجرة كستناء إسباني

(٣) مشثق

(٤) بنظال يصل إلى الركب

(٥) طماق = غطاء للحذاء

(٦) قماش رمادى مسمر



لوحة (٦)

منزل الـ"ماونت" - شيد عام ١٨٠٠ - حيث ولد "تشارلس داروين"

وهذا مخالف بالتأكيد، لما قالته "الآنسة ميتيارد"، عن التزور^(١) فوق الركبة - وهو نوع من الزى معروف لنا بشكل رئيسي، في رماة الرمانات^(٢)، في أيام "الملكة آن" Queen Anne، وفي قاطعي الأخشاب^(٣) وصبية الحرث^(٤) المعاصرين^(٥).

كان "تشارلس داروين" يحمل أقوى مشاعر الحب والاحترام لذكرى والده، وكان تذكره^(٦) لكل شيء يتعلق به واضحا بشكل غريب، وكان يتحدث عنه كثيرا، وعادة ما يفتتح أى نادرة^(٧) بعبارة على شاكلة: "والدى، الذى كان أكثر الرجال الذين عرفتهم حكمة، إلى آخره". وكان من المثير للدهشة مدى وضوح تذكره لأراء والده، إلى درجة أنه كان يستطيع الاستشهاد^(٨) ببعض الأمثال السارية^(٩) أو تلميحاته، فى معظم حالات الأمراض. وكان - كقاعدة عامة - قليل الإيمان بالأطباء، ولهذا كان إيمانه المطلق بغريزة "الدكتور داروين" الطبية وطرقه فى العلاج، لافتنا للنظر بشكل أكبر.

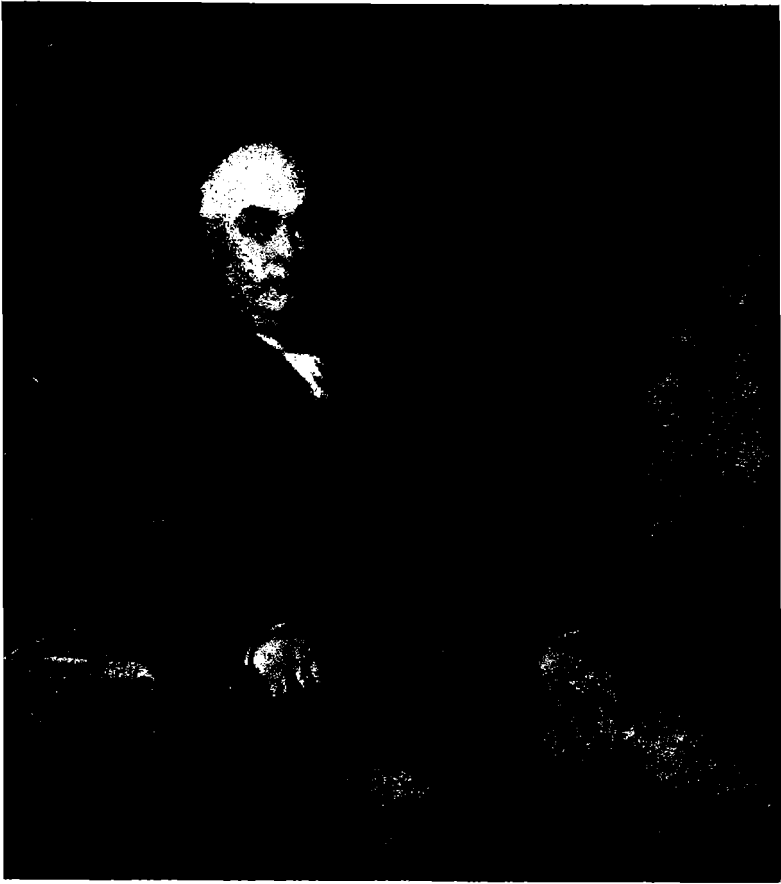
كان تبجيل "داروين" لوالده بدون حدود، ومثيرا للعواطف. وكان يميل إلى إصدار الأحكام على كل شيء فى العالم، بشكل مجرد من الأهواء^(١٠)، لكنه كان يتلقى كل ما يقوله والده بإيمان مطلق. ويتذكر ابنته "السيدة ليتشفيلد" Mrs. Litchfield قوله، إنه يأمل فى ألا يكون من شأن أى واحد من أولاده، الإيمان بأى شيء لأنه قاله، إلا إذا كانوا هم أنفسهم مقتنعين بصدقه، وهو شعور على النقيض تماما من طريقته فى الإيمان.

Button	(١) يتزور
Grenadiers	(٢) رماة الرمانات
Wood-cutter	(٣) قاطع الأخشاب = الحطاب
Ploughboy	(٤) صبي الحرث
Modern	(٥) عصري
Recollection	(٦) تذكر
Anecdote	(٧) نادرة = قصة لطيفة
Quote	(٨) استشهاد = اقتباس
Maxim	(٩) مثل سائر
Dispassionate	(١٠) مجرد من الأهواء *

تركت زيارة قام بها "تشارلس داروين" إلى "شروزبرى" فى عام ١٨٦٩، انطباعاً قوياً على ذهن ابنته التى كانت ترافقه، عن الحب الذى يكنه لموطنه القديم. فقد صاحبهم المقيمون فى ذلك الحين بالمنزل، فى جولة بين أرجائه ومتعلقاته، وقاموا بكرم ضيافة لم يكن فى موضعه، بالبقاء مع المجموعة على مدى الجولة كلها. وعندما كانوا على أهبة الرحيل، قال "تشارلس داروين" بنظرة ندم مثيرة للحرز، "أنا على يقين لو سمح لى بالبقاء بمفردى، فى ذلك البيت الزجاجى للنباتات لمدة خمس دقائق، لكان فى استطاعتى رؤية والدى فى كرسيه ذى العجلات^(١)، بنفس الوضوح كما لو كان هناك أمامى".

قد توضح تلك الحادثة صدق ما أذهب إليه، من أن ذكرى والده، الذى أحبه بشكل أكبر من أى شىء آخر، قد كانت تلك الخاصة به عندما أصبح رجلاً عجوزاً. وقد دونت "السيدة ليتشفيلد" Mrs Litchfield، القليل من الكلمات، التى توضح بشكل جيد، شعوره تجاه والده، حيث قامت بوصفه على أساس، أنه يقول بأقصى درجات الاحترام الرقيق: "أعتقد أن والدى كان قليل الإنصاف معى، عندما كنت يافعا، ولكننى أصبحت فيما بعد شاكراً لشعورى، بأننى أصبحت موضع تفضيله الأساسى". وكان لديها ذكرى حية، للتعبير عن الخيال الحالماً^(٢) السعيد، الذى كان مصاحباً لتلك الكلمات، وكأنه كان يقوم باستعراض كل العلاقة، وأن الذكرى تركت لديه إحساساً عميقاً بالسكينة والعرفان بالجميل.

قام "تشارلس داروين" بإضافة التالى إلى استجماعات^(٣) سرده الذاتى لقصة حياته، وقد تمت كتابتها حوالى عام ١٨٧٧ أو ١٨٧٨.



لوحة (٧)

الدكتور روبرت وارينج داروين

والد "تشارلس داروين"

"يعن لى أن أضيف فى هذا المكان صفحات قليلة تدور حول والدى، الذى كان بطرق كثيرة، رجلا جديرا بالاعتبار. فإنه كان يبلغ حوالى ستة الأقدام والبوصتين فى الطول، مع أكتاف عريضة، وكان غاية فى البدانة^(١)، إلى درجة أنه كان أضخم رجل شاهدته فى حياتى. وقد بلغ عند قيامه بوزن نفسه فى آخر مرة ٢٤ حجرا، لكنه زاد بعد ذلك فى الوزن بشكل كبير. وقد كانت مميزاته الذهنية الرئيسية، تتمثل فى قدراته على الملاحظة وتعاطفه، اللذين لم أشاهد فى حياتى من يفوقه فى أى منهما، أو حتى يساويه فيهما. ولم يكن تعاطفه مقصورا على مصائب الآخرين، ولكن بدرجة كبيرة تجاه العمل على بث السرور فى جميع المحيطين به. وقد قاده ذلك إلى القيام دائما بالتخطيط، لمنح السرور للآخرين، ورغم كراهيته للتبذير^(٢)، إلى القيام بالكثير من الأفعال السخية^(٣). وعلى سبيل المثال، جاء إليه "السيد ب. -"، وهو صانع متواضع موجود فى "شروزبرى"، فى أحد الأيام، وقال له إنه على وشك إعلان إفلاسه^(٤)، إلا إذا استطاع على الفور اقتراض^(٥) عشرة آلاف جنيه، لكن لم يكن فى استطاعته تقديم أى ضمان^(٦) قانونى لهذا القرض. وقد استمع أبى إلى الأسباب التى تدعو إلى تصديق أن فى استطاعته القيام فى آخر الأمر بتسديد المبلغ، وشعر نتيجة لإدراكه الحسى^(٧) البديهى^(٨) للطابع بشكل أكيد بأن من الممكن الوثوق به. وقام على هذا الأساس بتقديم هذا المبلغ إليه، رغم أنه كان مبلغا كبيرا بالنسبة له فى شبابه، وقد استعاد هذا المبلغ، بعد مرور بعض الوقت.

Corpulent	(١) بدين
Extravagance	(٢) تبذير
Generous	(٣) سخى
Bankrupt	(٤) إفلاس
Borrow	(٥) يقتراض
Security	(٦) ضمان
Perception	(٧) الإدراك الحسى
Intuitive	(٨) بديهى

أظن أن تعاطفه هو الذى منحه قدرة غير محدودة على اكتساب الثقة، وقام ذلك بالتالى بجعله غاية فى النجاح فى مهنته كطبيب. فقد بدأ الممارسة للطب قبل أن يبلغ الواحد والعشرين من العمر، وكانت أتعابه فى غضون العام الأول كافية، لتسديد مصاريف جوادين وخادم. وأصبحت عيادته فى السنة التالية، ضخمة واستمر الحال على ذلك لمدة تقرب من الستين عاما، ثم توقف بعدها عن التردد على أى عيادة. وقد كان نجاحه كطبيب جديرا بالملاحظة بشكل أكبر، حيث أخبرنى، أنه شعر فى بداية الأمر بالكراهية لمهنته، إلى درجة أنه لو كان متأكدا، من أن لديه حد الكفاف^(١) أو لو كان والده قد أعطاه حق الاختيار، لما كان من الممكن لأى شىء، أن يغريه باتباع هذه المهنة. وكان التفكير حتى نهاية حياته فى إجراء أى عملية جراحية، يصيبه بالغثيان تقريبا، وكان من الصعب عليه أن يحتمل رؤية أى شخص ينزف دما - وهو ذعر قام بنقله لى - وأتذكر الرعب الذى شعرت به عندما كنت صبيا فى المدرسة، عند قراءتى ما حدث لـ "بلىنى" Pliny، من أنه نزف حتى الموت، وهو مستلق فى حمام دافئ.

"نتيجة لقدرة والدى على اكتساب الثقة، كان الكثير من المرضى - وخاصة السيدات - يستشيرونه عند المعاناة من أى مكربة، كنوع من أنواع الاعتراف الكنسى. وقد قال لى إنهم كانوا يبدعون دائما بالشكوى بطريقة مبهمة حول صحتهم، وبالتجربة، كان سريعا ما يخمن حقيقة الأمر. وكان يقوم عندئذ باقتراح، أن المعاناة ناتجة عن أذهانهم، وعندئذ كان من شأنهم الإدلاء بجميع متاعبهم، ولم يكن يسمع أى شىء بعد ذلك يتعلق بأجسادهم .. وقد تلقى والدى نتيجة لمهارته فى اكتساب الثقة، الكثير من الاعترافات الغريبة، المتعلقة بالشعور بالكرب والإثم. وكان يقوم بالتعليق فى كثير من الأحيان، على العدد الكبير من الزوجات التعيسات، اللاتى قابلهن. وتبين فى حالات عديدة أن الأزواج والزوجات عاشوا بشكل حسن مع بعضهم البعض، لمدة تتراوح ما بين عشرين وثلاثين عاما، ثم

شعروا بعد ذلك بكراهية بعضهم للبعض الآخر بشكل مرير، وهو يعزو ذلك إلى فقدانهم للرابطه المشتركة بينهم، نتيجة لاكتمال نمو أطفالهم.

إلا أن القدرة الملحوظة إلى أقصى حد- التي كان والدى يتمتع بها- كانت النفاذ إلى الطابع، وحتى إلى أفكار الذين يراهم، حتى لبرهة قصيرة. وكانت هناك أمثلة كثيرة على هذه القدرة، ويبدو البعض منها وكأنه خارق للطبيعة^(١). وقد أنقذت تلك المقدره والدى من عقد صداقات، مع أناس لا يستحقونها (مع استثناء واحد، لكن سريعا ما تم اكتشاف طابع هذا الرجل). فقد حضر أحد رجال الدين إلى "شروزبرى"، وبدا على أساس أنه رجل ثرى؛ وقام كل شخص بالتردد عليه، ودعى إلى عدد كبير من المنازل. وقد قام والدى بزيارته، وعند عودته إلى المنزل، طلب من أخواتى بدون إبداء تفسير، أن يقمن بدعوته أو دعوة عائلته إلى منزلنا، وذلك لأنه شعر بشكل مؤكد، بأن الرجل ليس محلا للثقة. وقد لاذ الرجل بعد مرور شهر قليل بالفرار^(٢) فجأة، لأنه كان غارقا فى الديون، وتبين أنه لا يتعدى أن يكون محتالا^(٣) معتادا. ونجد هنا حالة من الثقة، التى ليس من شأن الكثيرين من الناس المغامرة بها. وقام أحد "الأيرلنديين" المحترمين، بزيارة والدى فى أحد الأيام، مع أنه غريب تماما عنه، وقال إنه فقد كيس نقوده^(٤) وأنه من المزعج له بشكل شديد، الاضطراب إلى البقاء فى "شروزبرى"، الى أن يصل إليه تحويل مالى^(٥) من "أيرلنده". وطلب من والدى إقراضه عشرين جنيها، وقد قام والدى على الفور بذلك، لأنه شعر بأنه متأكد من أن القصة حقيقية. وبمجرد انقضاء المدة التى من الممكن خلالها ورود خطاب من "أيرلنده"، جاء خطاب مملوء بالتشكرات الغامرة، ومتضمنا -حسب قوله- ورقة نقدية من بنك إنجلترا

Super-natural

(١) خارق للطبيعة

Bolt

(٢) يفر

Swindler

(٣) محتال

Purse

(٤) كيس النقود

Remittance

(٥) تحويل مالى

بمبلغ عشرين جنيهًا، لكن لم يكن هناك أى ورقة مالية داخل المظروف. وسألت والدى إن لم يكن ذلك قد أذهله، ولكنه أجاب: لا على الإطلاق.. وفى اليوم التالى وصل خطاب آخر، متضمناً الكثير من الاعتذارات، لإغفاله (مثل أى "أيرلندى" حقيقى) وضع الورقة المالية، داخل خطاب اليوم السابق. وقام أحد الرجال المحترمين بإحضار ابن أخيه إلى والدى، والذى كان مخبولا، إلا أنه كان رقيقا جدا، وقد دفع خبال الرجل اليافع، إلى اتهام نفسه بجميع الجرائم التى تحت القبة السماوية. وعندما تحدث والدى بعد ذلك مع العم، قال له "أنا متأكد من أن ابن أخيك مذنب حقيقة بـ .. (وهو جرم شنيع)". وعندها قال العم "يا إلهى الكريم، من أخبرك بذلك يا دكتور داروين، لقد كنا نظن أنه ليس فى استطاعة أحد معرفة هذه الحقيقة عدانا". وعندما أخبرنى والدى بهذه القصة بعد مرور سنوات طويلة، وسألته كيف استطاع أن يميز بين الاتهام الحقيقى، من ضمن باقى الاتهامات الشخصية الزائفة، وكان رد والدى متطابقا جدا مع خصائصه المميزة، حيث قال إنه لا يستطيع تفسير كيفية حدوث ذلك.

"توضح القصة التالية مدى صحة التخمينات التى كان فى استطاعة والدى القيام بها. فقد كان "اللورد شيلبورن" Lord Shelburne، الذى أصبح فيما بعد "ماركيز لاندساون" Marquis of Lansdowne، مشهورا (طبقا للتعليق الذى أدلى به "ماكولاي" Macaulay فى موضع ما) لمعرفته بالشئون الأوروبية، وهو الأمر الذى كان يزدهو به بشكل كبير. وبعد أن استشار والدى فى أمر طبي، بدأ يحاضره^(١) حول الأحوال فى "هولندة" Holland. وكان والدى قد درس الطب فى جامعة "لیدن" Leyden، وذهب فى أحد الأيام التى كان فيها هناك، فى مسيرة طويلة فى الريف مع أحد الأصدقاء، الذى اصطحبه إلى منزل أحد رجال الدين (ونقل إنه المبجل السيد أ. -، وذلك لأننى نسيت اسمه)، الذى كان مقترنا بسيدة إنجليزية. وكان والدى فى غاية الجوع، وكان هناك القليل من الأكل باستثناء الجبن، الذى لم يستطع

والدى على الإطلاق تناوله. وقد أصيبت السيدة العجوز بالدهشة، وشعرت بالأسى نتيجة لذلك، وقامت بالتأكد لوالدى أنه جين ممتاز، أرسل إليها من "بوود" Bowood، مقر "اللورد شيلبورن"، وتعجب أبى من سبب إرسال الجين إليها من "بوود"، ولم يدر بخلده شيء عن ذلك، إلى أن لمع الخاطر فى ذهنه بعد مرور سنوات كثيرة، عندما كان "اللورد شيلبورن" يتحدث عن "هولنده". وعند ذلك قال: من شأنى الاعتقاد نتيجة لما شاهدته من أمر "المبجل السيد أ. -"، أنه رجل قدير جدًا، وعلى علم جيد بأحوال "هولنده". وقد لاحظ والدى أن النبيل^(١)، قام على الفور بتغيير موضوع المحادثة، وظهر عليه الانزعاج^(٢). وفى صباح اليوم التالى، تلقى والدى مذكرة من النبيل، قائلًا إنه قام بتأجيل البدء فى رحلته، وأنه يرغب بشكل خاص فى رؤية والدى. وعندما ذهب إليه، قال النبيل "دكتور داروين، إنه أمر فى غاية الأهمية لى وللمبجل السيد أ. -، أن نعلم كيف اكتشفت أنه مصدر معلوماتى حول هولنده". وهكذا كان على والدى شرح ملابسات الأمر، وهو يعتقد أن "اللورد شيلبورن" كان مبهوتا بشدة، من مهارته اللبقة فى التخمين، لأنه ظل يتلقى على مدى العديد من السنوات التالية، الكثير من الرسائل اللطيفة الصادرة عنه، من خلال العديد من الأصدقاء. وأعتقد أنه قد أخبر أولاده بهذه القصة، وذلك لأن "السير س. لايل" Sir C. Lyell سألنى منذ عدة سنوات ماضية، عن سبب شعور "الماركيز لانسداون" (وهو الابن أو الحفيد للماركيز الأول) بالاهتمام الشديد تجاهى، رغم عدم رؤيتى أو رؤية عائلتى على الإطلاق. وعند إضافة أربعين عضوا جديدا (والذين كان يطلق عليهم فى ذلك الحين الأربعون لصا) إلى "النابى الأثينى" Athenaeum Club، كان هناك الكثير من التدقيق^(٣) للانضمام إليهم، وبدون أن أقوم بالاتصال مع أى شخص، رشحتى "اللورد لانسدون"، وتوصل إلى انتخابى^(٤).

Earl	(١) نبيل (لقب)
Startle	(٢) يزعج - يجفل - يروع
Canvassing	(٣) تدقيق
Elect	(٤) ينتخب

ولو صحت فرضياتي، فقد كانت تلك أحداثاً غريبة^(١) ومتسلسلة^(٢)، تبدأ من أن والدي لم يستطع أكل الجبن منذ نصف قرن مضى في هولندا، وقادتها إلى انتخابي كعضو في النادي الأثيني.

"قادته حدة قوة ملاحظته، إلى التوقع بمهارة ملحوظة، لمسار مرضي، وقام باقتراح تفصيلات صغيرة لا نهاية لها لجلب الارتياح. وقيل لي إن طبيباً يافعا في "شروزبري"، يكن الكراهية لوالدي، كان معتادا على التصريح، بأنه لم يكن رجلا علميا بشكل كامل، إلا أن قدرته على التوقع لنهاية أي مرض، كانت لا تجارى. وعندما كان يفكر فيما مضى، بأن من شأنى أن أصبح طبيبا، كان يتحدث معي كثيرا حول مرضاه. وكانت ممارسة الاستنزاف الدموي للمرضى شائعة بوجه عام، لكن أبى كان مصراً على أن ذلك يسبب شرا، أكبر بكثير من النفع الذي يعود به، ونصحني إذا ما أصبت أنا شخصياً بمرض، ألا أسمح لأى طبيب بأن يأخذ مني إلا كمية بسيطة إلى أقصى حد من الدم. وقبل أن يتم التعرف على مرض التيفود^(٣)، على أساس أنه مرض واضح المعالم، أخبرني والدي بأن نوعين متباينين تماما من الأمراض، يتم خلطهما تحت مسمى الحمى التيفوسية^(٤). وكان معارضا عنيفاً^(٥) لشرب الخمر، ومقتنعا بكل من تأثيرات الكحول الشريرة المباشرة والموروثة، عند تعاطيه باعتياد، حتى لو كان ذلك بكمية معتدلة، فى الأغلبية العظمى من الحالات. إلا أنه قام بالاعتراف والتقديم لحالات بعض الأشخاص، الذين استطاعوا شرب الخمر بكميات ضخمة طوال حياتهم، دون المعاناة بشكل واضح، من أى تأثيرات ضارة، وكان يعتقد بأن فى استطاعته فى كثير من الأحيان، التنبؤ بمن لن يعانى بهذا الشكل. ولم يقم شخصيا بشرب قطرة من أى شراب كحولى على الإطلاق. وتذكرنى هذه الملحوظة بحالة توضح، كيف يمكن

Queer

(١) غريب

Concatenation

(٢) تسلسل

Typhoid

(٣) مرض التيفود

Typhus Fever

(٤) الحمى التيفوسية

Vehement

(٥) عنيف - متطرف

لأى شاهد تحت تأثير أكثر الملابس ملائمة، أن يكون مخطئاً بشكل تام. حيث دار جدل قوى بين والدى وأحد المزارعين المحترمين، لمنعه من شرب الخمر، وتشجع بأن قال له، إنه شخصياً لم يلمس على الإطلاق أى مشروب روحى. وعندها قال الرجل: "هيا، هيا، يا دكتور، هذا لن يفيد - رغم أنه من الرقيق جداً منك أن تقول ذلك لمصلحتى - ولكننى أعلم أنك تتناول كوباً كبيراً دافئاً من "الـجـين" Gin والماء كل ليلة بعد العشاء [12]. وبناء عليه سأله والدى، عن كيفية علمه بذلك. فأجاب الرجل: " كانت طاهيتى خادمة المطبخ لديك لمدة عامين أو ثلاثة أعوام، وقد شاهدت كبير الخدم وهو يقوم كل يوم بإعداد الـجـين والماء لك". وكان تفسير ذلك، أن والدى كانت لديه عادة قديمة بشرب ماء دافئ فى كوب طويل وكبير جداً بعد عشاءه، وكان كبير الخدم معتاداً على وضع بعض الماء البارد أولاً فى الكوب، الذى ظنت الفتاة بشكل خاطئ أنه جين، ثم يقوم بعد ذلك بملء الكوب بالماء المغلى، من غلاية^(١) المطبخ.

كان والدى معتاداً على التصريح لى بالكثير من الأشياء الصغيرة، التى وجدها مفيدة فى ممارسته الطبية. ومنها قيام السيدات فى كثير من الأحيان بالبكاء، أثناء التصريح له بمشاكلهن، ويتسببن بهذا الشكل فى فقدان الكثير من وقته الثمين. وسريعا ما وجد أن رجاءه بالضبط والكبح لأنفسهن، دائماً ما يجعلهن يمعن فى البكاء، ولذلك كان يقوم فيما بعد دائماً، بتشجيعهن على الاستمرار فى البكاء، قائلاً إن من شأن ذلك التفريغ عنهن، أكثر من أى شئ آخر، ومع النتيجة الثابتة بأنهن سريعا ما يتوقفن عن البكاء، ويصبح فى استطاعته سماع ما يردن قوله، وإعطاهن نصيحته. وعندما كان المرضى المعلنون بشكل شديد جداً، يرغبون بشدة^(٢) فى تناول طعام غريب أو غير طبيعى، كان والدى يسألهم، عن قام بوضع تلك الفكرة فى رؤوسهم، وعندما كانوا يجيبون بأنهم لا يعرفون كان من شأنه السماح لهم بتجربة الطعام، وكثيراً ما كان ذلك يتم بنجاح، على أساس أنه كان

واقفا من أن لديهم نوعا من الرغبة الغريزية، لكن إذا أجابوا بأنهم سمعوا أن الطعام المذكور قام بمفعول جيد مع شخص آخر، فإنه كان يرفض الموافقة على ذلك بشكل صارم.

" قام فى أحد الأيام بتقديم عينة صغيرة غريبة من الطبيعة البشرية. فعندما كان رجلا يافعا جدا، تم استدعاؤه للتشاور مع طبيب العائلة، فى حالة خاصة برجل محترم ذى مكانة عالية فى "شروپشير" Shropshire. وكان الطبيب العجوز قد أخبر الزوجة، أن العلة ذات طبيعة من شأنها أن تنتهى بالوفاة. واتخذ والدى وجهة نظر مختلفة، وأصر أن من شأن الرجل أن يشفى من مرضه: وقد ثبت أنه كان مخطئا تماما فى جميع الاعتبارات (وأعتقد أن ذلك تم عند تشريح الجثة^(١)) وكان عليه تحمّل خطئه. وأصبح عندئذ مقتنعا بأنه لن يتم بعد ذلك استشارته عن طريق هذه العائلة، ولكن بعد مرور أشهر قليلة، أرسلت الأرملة فى طلبه، بعد أن قامت بالاستغناء عن طبيب العائلة العجوز. وبوغت والدى بشكل كبير من هذا، إلى درجة أنه سأل أحد أصدقاء الأرملة، لكى يعرف سبب العودة إلى استشارته. وأجابت الأرملة هذا الصديق: "بأنها لن تعود إلى رؤية هذا الطبيب العجوز الكريه، الذى قال منذ البداية إن من شأن زوجها أن يموت، بينما كان الدكتور داروين يصر دائما، أن من شأنه أن يشفى!". وفى حالة أخرى قال والدى لسيده، إن من شأن زوجها أن يتوفى بشكل مؤكد. وبعد مرور بضعة أشهر شاهد الأرملة، التى كانت امرأة متعلقة^(٢) جدا، وقالت له: "أنت رجل صغير السن جدا، وأرجو أن تسمح لى بأن أنصحك بالقيام دائما بإعطاء الأمل لأطول مدة ممكنة، لأى قريب حميم، يتولى العناية بأى مريض. لقد جعلتلى أشعر بالقنوط^(٣)، وفقدت قوتى منذ تلك اللحظة ". وقال والدى إنه شاهد فى كثير من الأحيان، الأهمية العظمى للاحتفاظ بالأمل

لصالح المريض ولقوة من يقوم بتمريضه. وقد وجد من الصعب فى بعض الأحيان، تماشي ذلك مع الحقيقة. إلا أن رجلاً محترماً متقدماً فى العمر، لم يسبب له مثل هذا الارتباك. فقد تم استدعاؤه بواسطة "السيد ب. -" الذى قال "نتيجة لكل ما شاهدته وسمعتة عنك، أعتقد أنك نوع من الرجال، الذى من شأنه أن يتكلم بصدق، ولو قمت بسؤالك، فسوف تخبرنى عن الوقت المتوقع لوفاتى. وأنا أربح حالياً بشدة فى أن تقوم بالعناية بى، إذا كان لك أن تعدنى، مهما قلت لك، بأن تقوم بشكل دائم بالتصريح لى، بأننى لن أموت". وقد أذعن^(١) والذى بناء على التفاهم الضمنى، بأن كلماته لن يكون لها فى الحقيقة أى معنى.

"كان والذى يتمتع بذاكرة تفوق المعتاد، وخاصة بالنسبة للتواريخ، وبهذا الشكل كان يعرف يوم الولادة، والزواج، والوفاة الخاصين بعدد كبير من الأشخاص الموجودين فى "شروزبرى"، وقد أخبرنى فى إحدى المرات، بأن هذه القدرة قد أزعجته، لأنه إذا سمع تاريخاً فى أى وقت، لا يستطيع نسيانه، وبهذا الشكل كان كثيراً ما يتم استرجاع وفاة العديد من الأصدقاء إلى ذهنه. وكان على علم- بناء على ذاكرته القوية- بعدد خارج عن المعتاد من القصص الغريبة، التى كان يحب سردها، لأنه كان من كبار المتحدثين. وكان بشكل عام، ذا روح معنوية مرتفعة، ويقوم بالضحك والدعابة مع كل شخص وفى كثير من الأحيان مع القائمين بخدمته بأقصى درجة من الحرية، إلا أنه كان يتمتع بمهارة جعل كل شخص يطيعه حرفياً. وكان الكثير من الأشخاص يهابونه. وأتذكر والذى وهو يقول لنا بابتسامة فى أحد الأيام، قيام العديد من الأشخاص بسؤاله عما إذا كانت "الآنسة وهى سيدة متقدمة جداً فى العمر موجودة فى "شروزبرى"-، قد ترددت عليه، إلى درجة أنه قام فى آخر الأمر، بالاستفسار عن سبب سؤالهم إياه، وعند ذلك قيل له إن "الآنسة -"، التى أغضبها والذى إلى حد بعيد، كانت تقول لكل شخص، بأنها سوف تزوره، وتخبر "هذا الطبيب البدين العجوز بوضوح تام، برأيها فيه". وقد قامت بزيارته بالفعل، لكن شجاعتها خانتها، ولم يكن فى استطاعة أحد أن يكون مهذباً وودوداً،

بشكل أكبر مما قامت به. وذهبت عندما كنت صبيا، للإقامة في منزل "-، وكانت زوجته مخبولة، وبمجرد مشاهدتي، دخلت المسكينة في أقصى حالة من الذعر رأيتها في حياتي، وكانت تبكي بشكل مرير، وتسالني مرارا وتكرارا، هل سيأتي والدك؟" لكن سريعا ما تم تسكين روعها. وعند عودتي إلى منزلي، سألت والدي عن سبب خوفها إلى هذه الدرجة، فأجاب بأنه سعيد جدا لسماع ذلك، لأنه قام بإخافتها عامدا، شاعرا بشكل مؤكد، بأن من شأنها أن يتم الحفاظ عليها بشكل آمن وأكثر سعادة، بدون أي تقييد، إذا كان في استطاعة زوجها أن يقوم بالتأثير عليها، في أي وقت تصبح فيه شديدة الانفعال والتهيج، عن طريق اقتراح القيام باستدعاء "الدكتور داروين"، وقد نجحت تلك الكلمات بشكل كامل معها، طوال البقية الباقية من عمرها.

"كان والدي حساسا جدا، إلى درجة أن الكثير من الأحداث الصغيرة، كانت تضايقه أو تؤلمه بشكل كبير. ولقد قمت بسؤاله في إحدى المرات، عندما تقدم في العمر ولم يكن يستطيع المشي، لماذا لا يقوم بالخروج بالعربة للتريض، فأجابني "كل طريق موجود في "شروزبري" مرتبط في ذهني، بحدث مؤلم ما". إلا أنه كان يتمتع بشكل عام بروح معنوية مرتفعة. وكان من السهل جدا إغضابه بشكل شديد، لكن سماحته كانت بلا حدود. وكان محبوبا على نطاق واسع، وبشكل عميق.

"كان والدي حريصا ورجل أعمال جيدا، وبهذا الشكل، نادرا ما فقد أية أموال عن طريق أي استثمار، وترك لأطفاله ممتلكات ضخمة جدا. وأتذكر قصة توضح كيف يكون من السهل للمعتقدات الزائفة تماما، أن تنشأ وتنتشر. فقد قام "السيد إ. -"، وهو شخص محترم تابع لواحدة من أقدم العائلات الموجودة في "شرو پشير"، والشريك الرئيسي في أحد المصارف^(١)، - بالانتحار. وتم استدعاء والدي كإجراء شكلي، ووجده متوفيا. ومن الممكن لي أن أذكر في سياق الموضوع، لتوضيح كيف كان يتم التصرف في الأمور في تلك الأيام الخوالي، أنه نتيجة لأن "السيد إ. -" كان رجلا عظيما بالفعل، ومحترما بشكل عام، لم يتم القيام

بأى تحقيق^(١) حول جثمانه. وظن والدى أثناء عودته إلى المنزل، أن من الواجب عليه المرور على المصرف (الذى كان له حساب فيه)، لكى يبلغ الشركاء فى إدارته بالحدث، ولم يكن من البعيد عن الاحتمال، أن يكون من شأن ذلك أن يتسبب، فى تسارع الناس على المصرف. وانتشرت القصة بالفعل بشكل بعيد وواسع، بأن والدى ذهب إلى المصرف، وقام بسحب جميع أمواله، ثم غادره، وعاد إليه مرة أخرى، وقال "يعن لى أن أخبركم، بأن "السيد إ. - قام بقتل نفسه"، ثم انصرف. ويبدو أنه كان من المعتقدات الشائعة، أن النقود التى يتم سحبها من أى مصرف، لا تكون فى أمان، إلى أن يمر الشخص خارجا من باب المصرف. ولم يسمع أبى هذه القصة، إلا بعد مرور بعض الوقت، عندما صرح الشريك القائم بالإدارة، بأنه قد تخلى عن قاعدته المستديمة، التى لا تسمح على الإطلاق لأى شخص، بالاطلاع على حساب إنسان آخر، بقيامه بعرض السجل^(٢) الخاص بحساب والدى، على العديد من الأشخاص، على أساس أن ذلك يثبت، أن والدى لم يقم بسحب بنس واحد فى ذلك اليوم. فقد كان من المشين لوالدى، أن يكون قد قام باستخدام معلوماته المهنية، من أجل الحصول على ميزة شخصية. وبالرغم من ذلك، نال هذا التصرف المزعوم الإعجاب، من قبل بعض الأشخاص، وبعد مرور عدة سنوات، علق أحد الرجال المحترمين قائلا: "آه، يا طيب، إنك رجل أعمال رائع، لقد كنت غاية فى البراعة، فى إخراج أموالك سالمة من ذلك المصرف".

لم يكن ذهن والدى علميا، ولم يحاول القيام بتعميم معلوماته تحت قوانين عامة، إلا أنه قام بتأليف نظرية لكل شىء يحدث تقريبا. ولا أعتقد أنني اكتسبت الكثير من طريقته فى التفكير، لكن من الواجب أن تكون أمثولته ذات قيمة أخلاقية عالية لجميع أبنائه. وقد كانت واحدة من قواعده الذهبية (وهى صعبة الاتباع)، "لا تتصادق على الإطلاق مع أى شخص، لا تستطيع أن تحترمه".

رزق "الدكتور داروين" بستة أطفال [13]: "ماريان" Marianne، التي تزوجت "الدكتور هنري باركر" Dr. Henry Parker، و"كارولين" Caroline، التي تزوجت "جوسيا ويدجود" Josiah Wedgwood، و"إراسموس ألفي" Erasmus Alvey، و"سوزان" Susan، التي توفيت بدون زواج، و"تشارلس داروين"، و"كاترين" Catherine، التي تزوجت "المبجل تشارلس لانجتون" Rev. Charles Langton.

ولد الابن الأكبر "إراسموس"، في عام ١٨٠٤، وتوفي بدون زواج عن عمر سبعة وسبعين عاما.

وقد تلقى التعليم، مثل أخيه في مدرسة "شروزبرى"، وفي "كلية المسيح" بـ"كامبريدج". ثم درس الطب في "إننبرة" وفي "لندن"، وحاز على شهادة الطب من "كامبريدج". ولم يقدم على أى خطوة، تجاه التظاهر بالعمل كطبيب، وعاش بعد تركه "كامبريدج" حياة هادئة في "لندن".

كان هناك شيء مؤسف في شعور "تشارلس داروين" بالمودّة تجاه أخيه "إراسموس"، وكأنه كان يتذكر دائما حياة الوحدة، والصبر المحرك للعواطف، والطف، الخاصين بطبيعته. وكان كثيرا ما يتحدث عنه على أساس "العجوز المسكين راس" Ras، أو "العجوز العزيز المسكين فيلوس" "Philos" - وأظن أن لقب "فيلوس" (الفيلسوف) قد كان تذكارا^(١)، من الأيام التي عملوا فيها بالكيمياء، في بيت الأدوات الموجود في "شروزبرى" - وهو زمن كان يحتفظ دائما بذكرى سارة له. وكان "إراسموس" في الواقع، أكبر من "تشارلس داروين" بأكثر من أربع سنوات، ولذلك لم يظلا معا لمدة طويلة في "كامبريدج"، ولكنهما عاشا معا في وقت سابق في "إننبرة"، في نفس الغرف المستأجرة^(٢)، ثم عاشا بعد رحلة البيجل، مع بعضهما

لفترة من الزمن، فى منزل "إراسموس" الواقع فى شارع "جريت مارلبورو" Great Marlborough Street. وكان كثيرًا ما يتحدث بمودة شديدة عن "إراسموس" فى ذلك الوقت أيضا، فى خطاباته إلى "فوكس" Fox، مستخدما كلمات مثل "أخى العجوز العزيز الفاضل". وكان "إراسموس" يأتى فى السنوات الأخيرة إلى "داون" أحيانا، أو كان يشارك عائلة أخيه فى إجازة صيفية. ولكنه وصل بالتدريج لعدم استطاعته، من خلال اعتلال صحته، العزم على مغادرة "لندن"، وكانا يقومان فى ذلك الوقت برؤية أحدهما الآخر، عند ذهاب "تشارلس داروين" لمدة أسبوع فى أى مرة، إلى منزل أخيه الموجود فى شارع الملكة آن "Queen Anne Street".

تمت كتابة الحاشية التالية عن طابع أخيه، بواسطة "تشارلس داروين"، حوالى نفس الوقت، الذى تمت فيه إضافة المسودة التى كتبها عن والده، فى "الذكريات".



لوحة (٨)

إراسموس داروين الصغير

(الأخ الأكبر)

كان أخى "إراسموس" حائزا على ذهن صاف بشكل ملحوظ، بالإضافة إلى تدوقات ومعرفة شاملة ومتنوعة فى الأدب^(١)، والفن، وحتى فى العلم. وقام لوقت قصير، بجمع وتجفيف النباتات، وقام على مدى وقت أطول بعض الشيء، بالتجارب الكيميائية. وقد كان مقبولا إلى أقصى حد، وكانت فطنته كثيرا ما تذكرنى بذلك الموجود فى خطابات وأعمال "تشارلس لامب" Charles Lamb. وكان غاية فى رقة القلب. وقد كانت صحته منذ صباه ضعيفة، ونتيجة لذلك، كان قليل النشاط. ولم تكن معنوياته مرتفعة، وكانت منخفضة فى بعض الأحيان، وبشكل أكثر خصوصية، فى غضون أدوار الرجولة المبكرة، والمتوسطة. وكان كثير القراءة، حتى عندما كان ضيقا، وقام بتشجيعى على القراءة، أثناء ترددى على المدرسة، وكان يعيرنى بعض الكتب. إلا أن أذهاننا وأذواقنا كانت غاية فى الاختلاف، إلى درجة اعتقادى، أننى لست مدينا له بالكثير من الناحية الفكرية. وكنت أميل إلى الموافقة مع "فرانسيس جالتون" Francis Galton، فى الإيمان بأن التعليم والظروف المحيطة، لا تنتج إلا تأثيرا ضئيلا، على ذهن أى شخص، وأن معظم خلائنا، فى الواقع فطرية^(٢).

رغم أن اسم "إراسموس داروين"، غير معروف لعامة الشعب، لكن من الممكن تذكره، من خلال التّصور الذى تم رسمه لطابعه، الموجود فى كتاب "استرجاعات" Reminiscences لـ "كارليل" Carlyle، الذى أعيد ذكره هنا بشكل جزئى:

"جاء "إراسموس داروين" - وهو نوعية مختلفة إلى أقصى حد من البشر^(٣) - للبحث عنا حديثا جدا (كان قد سمع عن وجود "كارليل" فى ألمانيا، إلى آخره) واستمر منذ ذلك الوقت، صديقا منزليا هادئا، ومرتبطا بنا بإخلاص، برغم أن

زياراته أصبحت فيما بعد، أكثر فأكثر ندرة، نتيجة لاعتلال الصحة، وزيادة المشغوليات... إلى آخره. وكان يتمتع بشيء من النبوغ الأصيل، وبشكل ساخر، وهو واحد من أكثر الرجال إخلاصاً، وصدقاً طبيعياً، وأكثرهم تواضعاً. وهو الأخ الأكبر لـ"تشارلس داروين" (داروين المشهور "بالأنواع الحية" فى تلك الأيام) الذى أشعر بالتفضيل له لبصيرته، لو لم تحكم عليه صحته، بالصمت والتثاقل الصبور فى الحركة. وقد كان لهذا الداروين الأمين حظوة خاصة، لدى زوجتى العزيزة، وكثيراً ما كان يصطحبها فى عربته، خلال الكثير من الطرق، إلى المتاجر وما شابه ذلك، فى تلك الأيام المبكرة، التى كانت فيها تكلفة المواصلات العامة، تمثل عبئاً مالياً له اعتباره، وكان تقوّه النادر بالكلام، الذى كثيراً ما كان ساخراً، مثيراً للتسلية الكبيرة بالنسبة لها. "رجل محترم بشكل تام"، هذا ما رأيته فيه على الفور، إنه ذو حكم صائب، وحنان غير متكلف إلى أقصى حد [14].

لم يكن "تشارلس داروين" شديد الإعجاب بتصوير أخيه بهذا الشكل، وكان يظن أن "كارليل" فاته الجوهر الموجود فى طبيعته المحبة إلى أقصى حد.

تدفعنى الرغبة إلى الزيادة فى توضيح طابع الشخص المحبوب لدرجة كبيرة من جميع أطفال "تشارلس داروين"، إلى الاستخراج لخطاب محرر إلى مجلة "المشاهد" Spectator (فى ٣ سبتمبر، ١٨٨١)، من ابنه خاله "الآنسة جوليا ويجوود" Miss Julia Wedgwood:-

"تقوم بالتأكيد إحدى الصور الشخصية المأخوذة من ملف "السيد كارليل"، التى لا ينكرها أى شخص شعر بالحب للأصل، بالحث على تقديم البعض القليل من الكلمات كملاحظات، عندما يكون الطابع الذى تقوم بتصويره، منقوصاً من الجهة الإنسانية. فقد ترك "إراسموس"، الأخ الوحيد لـ"تشارلس داروين"، والصديق القديم المخلص والمحب لكل من "كارليل" وزوجته، دائرة من الحزاني، غير المحتاجين

لأى مساعدة، من قلم مشهور للقيام بتحنيط^(١) الذكرى العزيزة بهذا الشكل إلى قلوبهم، ولكن لابد أن دائرة أوسع قد شعرت ببعض الاهتمام، الذى أثاره هذا التشاء، ومن الممكن أن تتلقى باهتمام مؤكد، التسجيل لانطباع فريد ولا يمحي، حتى لو كان ذلك مقصورا على القلوب التى لا تستطيع القيام بمنحه، ومع هؤلاء الذين لابد، بناء على ذلك، أن يموت لديهم هذا الانطباع بشكل سريع. إلا أنهم يتذكرونه بنفس الوضوح، كما يتذكرون أى ابتداء عبقري، وقد قام بنفس الطريقة بالإثراء والتجميل للحياة، وشكل نقطة التقاء مشتركة، لهؤلاء الذين ليس لديهم أى نقطة التقاء أخرى، وقام بعطر شخصيته^(٢)، القوى بفرض هذا الاحترام، لخصوصيات^(٣) الطابع البشرى، التى بدونها يكون القرار الأخلاقى^(٤) دائما، قرارا صعبا وضحلا، وفى كثير من الأحيان غير عادل. وقد كان "كارليل" الشخص الذى وجد متعة فريدة، فى الجمع بين الحيوية^(٥) والاستكانة^(٦)، التى منحت لمجتمع صديقه، تأثيرا منبها ومريحا، وعدم إعلان الدفء النابع من تقديره لأول مرة، فى حفل تأبينه، وما زالت خطاباته التى تتم عن القلق، التى كتبها منذ ما يقرب من الثلاثين عاما، عندما تم تهديد حياته الواهنة، التى امتدت إلى الشيخوخة، عن طريق مرض خطير، يافعة فى ذاكرتى. وقد كانت الصداقة دافئة بشكل متساو، مع كل من الزوج والزوجة. وأتذكر جيدا احتجاجا^(٧) صغيرا محزنا لها، أثير^(٨) عن طريق إقرار^(٩) صادر عن "إراسموس داروين"، بأنه يفضل القطط على الكلاب، وشعرت بأنه قذف فى حق^(١)

Embalm	(١) يحنط
Individuality	(٢) الفردية = شخصية
Idiosyncrasy	(٣) خصوصية
Moral Judgement	(٤) قرار أخلاقى *
Liveliness	(٥) حيوية
Repose	(٦) استكانة
Remonstrance	(٧) احتجاج
Elicit	(٨) يستثير - يبعث
Avowal	(٩) إقرار

حق^(١) كلبها الصغير "نيرو" Nero، وكانت نبرات الصوت التى قالت بها. "ياه، ولكنك مغرم بالكلاب! فأنت رقيق جدا لدرجة تمنعك من ألا تكون كذلك"، تتحدث عن مجاز^(٢) طويل من الرقة اللطيفة، التى تظل فى الذاكرة، فى صورة تقدير رقيق. وقد كان حميم الصلة أيضا بشخصية، لم يكن دائما لدى أصدقائها- مثل أصدقاء "السيد كارليل"- من الأسباب ما يجعلهم يهنتون أنفسهم على تواجدهم فى معيبتها، وهى "هاربيت مارتنينو" Harriet Martineau. ولقد سمعته لأكثر من مرة وهو يدعوها: صديقتى المخلصة، وبدا لى دائما، أن ذلك يمثل إتاوة غريبة، يقوم وحده بتقديمها، فى سبيل تلك الصداقة .. وأعتقد بالنسبة لى، أن مجتمع "إراسموس داروين"، كان يتمتع بنفس جاذبية كتابات "تشارلس لامب"، فقد كان هناك نفس النوعية من اللهو، ونفس الخفة فى تحريك المشاعر، ونفس الرقة، وربما نفس القيود. وعلى جانب آخر من طبيعته، فإننى كثيرا ما أذكره، عن طريق حس الدعابة الطريف والرقيق، والتعصب^(٣) السطحى، والانبثاقات العميقة من الرحمة^(٤)، والمزيج الفريد من شىء محزن، مع نوع من الازدراء^(٥) المرح، البعيد تماما عن الاحتقار^(٦)، الذى يميز محاورات^(٧) "السير آرثر هيليس" Sir Arthur Helps المبكرة، فى "إليسمير" Ellesmere .. ومن المحتمل أننا نستطيع تذكر هذه الطباع بشكل واضح إلى أقصى حد، عندما تكون الذكرى هى الشىء الوحيد الباقى من الأشخاص. فالطابع ليس مندمجا فى الابتداع، ويبدو أن ما نفقده من القدرة على توصيل انطباعنا، نجنيه من حيويته. لقد توفى "إراسموس داروين" فى سن متأخر، إلا أن ذاكرته مازالت تحتفظ بشىء من الأريج الغض. وقد قام تأثيره بمنح الكثير

-
- (١) قذف فى حق
 (٢) مجاز (الذى يرى المشهد من خلاله)
 (٣) تعصب = عدم التقبل
 (٤) رحمة = شفقة
 (٥) ازدراء
 (٦) احتقار
 (٧) محاوره = محادثة ثنائية
- Slur
 Vista
 Intolerance
 Pitty
 Scorn
 Contempt
 Dialogue

من السعادة، من النوعية المرتبطة عادة مع الشباب، إلى الكثير من الناس، بالإضافة إلى المشهورين منهم، الذين تكفى سجلاتهم، لتحقيق الرغبة في وضع هذا الإكليل^(١) ذاوى^(٢) على قبره".

تقوم الصفحات السابقة، بالتقديم بطريقة منقطعة، لكل ما هناك حاجة إلى سرده بقدر المستطاع، عن العائلة التي جاء منها "تشارلس داروين"، ومن الممكن أن تفيد كمقدمة للباب القادم، الخاص بسرده الذاتى لقصة حياته.

الهوامش

١- نحن مدينون فى معرفتنا بهؤلاء المبكرين للعائلة، إلى البحث فى غضون الوصايا = Wills، الموجودة فى "لينكولن" lincoln، الذى قام به الخبير فى علم الأنساب = Genealogist المشهور "الكولونيل تشستر" Colonel Chester.

٢- كان "الكابتن لاسيلز" Captain Lassells, or Lascelles من "إليستون" الأمين العسكرى = Military Secretary الخاص بـ "مونك" Monk، "دوق ألبيمارل" Duke of Albemarle، فى غضون الحرب الأهلية. وهناك كمية ضخمة من التقارير، الموقعة فى العديد من المواقع بواسطة "مونك"، موجودة حاليا فى حوزة ابن عمى "فرانسيس داروين". ومن الممكن أن تكون تلك التقارير مشوقة، لهواة جمع الأشياء العتيقة أو المؤرخين. وهناك صورة شخصية مرسومة = Portrait خاصة "بالكابتن لاسيلز" مرتديا دروعه، التى رغم استخدامها فى وقت من الأوقات، كهدف لتسديد السهام، عن طريق بعض الصبية الصغار الحاملين لاسمنا، لم تتلف إلى حد عدم إمكانية استعادتها.

٣- تم اقتباس ما يتلو ذلك، عن سرد "شارلس داروين" لقصة حياة جده، الذى قام بالتشكيل للملاحظة الابتدائية، لمقالة "إيرنست كراوس" Ernst Krause المشوقة، عن "إراسموس داروين"، لندن، عام ١٨٧٩، صفحة ٤.

٤- انظر "Life of Erasmus Darwin"، صفحة ٦٨.

٥- انظر نفس المرجع، صفحات ٧٧، ٧٩ وغيرهما.

٦- انظر نفس المرجع، صفحة ٨٠.

٧- أنا مدين بهذه المعلومات إلى لطف "الأستاذ راونهوف" Prof. Rouwenhoff مدير السجلات بجامعة "لیدن". الذي اقتبس من سجل الأطباء، أن "روبرت وارينج داروين، الأنجلو بريطاني" Anglo-britannus، قدم في المجلس الأعلى للجامعة = Senate (في ٢٦ فبراير ١٧٨٥) رسالة = Dissertation حول الصور الملونة التي تتم رؤيتها، بعد التطلع إلى أحد المصادر ساطعة الإنارة، و "Paradijs". والسجلات الخاصة بجامعة "لیدن" مكتملة، إلى درجة أن "الأستاذ راونهوف" كان قادرا على إخباري، بأن جدى أقام مع شخص يدعى "پتروس كرمپتون، الإنجليزى" Petrus Crompton, Anglus، في غرف مفروشة مستأجرة lodgings، موجودة في "أپوتيكرسديجك" Apothekersdijk. وقد تم نشر رسالة "الدكتور داروين" المقدمة في "لیدن"، في Philosophical Transactions، وكان أبى معتادا القول بأن العمل يرجع في الحقيقة إلى "إراسموس داروين". - [F.D.]

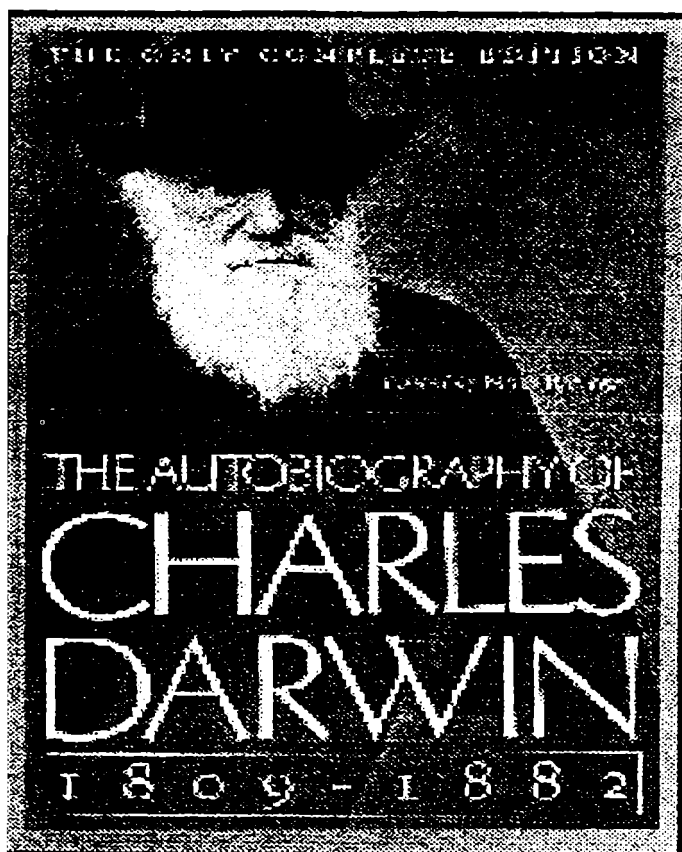
٨- انظر Life of Erasmus Darwin، صفحة ٨٥.

٩- التصريح بأن "الدكتور ر.و. داروين" لم يتسلم أى مساعدة مالية من والده تزيد عن العشرين جنيها، ومثل هذا المبلغ من عمه، ليس صحيحا. حيث يبدو من الأوراق الموجودة في حوزة "السيد ريجينالد داروين" Reginald Darwin، أنه حصل على ١٠٠٠ جنيه عند تصفية تركة والدته، و ٤٠٠ جنيه من عمته "سوزانه داروين" Susannah Darwin.

١٠- انظر "A Group of Englishmen" بواسطة "الآنسة ميتيارد" Miss Meteyard عام ١٨٧١.

١١- انظر "A Group of Englishmen"، صفحة ٢٦٣.

- ١٢- مازال هذا الاعتقاد باقيا، وقد تم ذكره لأخى فى عام ١٨٨٤، عن طريق أحد القاطنين القدامى فى "شروزبرى". - [F.D.]
- ١٣- من بين هؤلاء، فإن "السيدة ويدجوود" Mrs. Wedgwood، هى الوحيدة التى مازالت على قيد الحياة حاليا.
- ١٤- انظر كتاب "كارليل" Carlyle بعنوان "استرجاعات" Reminiscences، الجزء الثانى، صفحة ٢٠٨.



لوحة (٩)

كتاب "السرد الذاتى لحياة تشارلس داروين"

الجزء الثانى

سرد داروين الذاتى لحياته

مقدمة فرانسيس داروين — مرحلة الطفولة — إدنبرة — الرماية — كامبريدج —
علم طبقات الأرض — رحلة البيجل — لندن — المنشورات — هدايات الأقدام
— أصل الأنواع — باقى المنشورات — أسلوب الكتابة — الخواص الذهنية.

مقدمة:

قام والدى بتدوين الاستجماعات^(١) المتعلقة بقصة حياته، التى يتم تقديمها فى هذا الجزء من أجل أولاده — وقد تمت كتابتها دون تفكير فيما سوف يكون من شأنها أن تنشر. وقد يبدو للكثيرين أن ذاك شيء مستحيل، لكن سوف يستوعب الذين كانوا على صلة بوالدى، أن هذا لا يقتصر على كونه ممكنا، لكنه الشيء الطبيعى.

تحمل هذه القصة الحياتية الذاتية عنوان: "استجماعات خاصة بتطور ذهنى^(٢) وشخصيتى^(٣)" وتنتهى بالملاحظة التالية "٣ أغسطس، ١٨٧٦. بدأت هذه المسودة الخاصة بحياتى يوم ٢٨ مايو تقريبا فى "هو بيدين Hopedene"^[1]، وداومت منذ ذلك الحين، على الكتابة لما يقرب من الساعة، من أصيل معظم الأيام". وسوف يكون من السهل استيعاب، أن قصة^(٤) ذات نوعية شخصية وحميمية، تمت

Recollections

Mind

Character

Narrative

(١) استجماعات

(٢) ذهنى

(٣) شخصية = طابع

(٤) قصة = حكاية

كتابتها من أجل زوجته وأطفاله، لابد أن تحتوى على مقاطع، لابد من استبعادها في السياق الحالى، ولم أعتقد أنه من الضرورى تحديد مواقع تلك الاستبعادات. وقد وجدت من الضرورى القيام بقليل من التصويبات للهفوات اللفظية الواضحة، لكن تم حصر تلك التعديلات، فى أضيق حيز ممكن.



لوحة (١٠)

"تشارلس داروين" (٧ سنوات) عام ١٨١٦

مع أخته "كاثرين"

مرحلة الطفولة

عندما راسلنى أحد الناشرين الألمان، طالبا منى وصفا توضيحيا، عن تطور ذهنى وشخصيتى، مع مسودة عن قصة حياتى الذاتية، رأيت أن المحاولة، من شأنها أن تكون شيئا مثيرا للتسلية بالنسبة لى، ومن الممكن أن تكون مثار اهتمام الأطفال ولأطفالهم. وأعلم كم كان من الممكن إثارة اهتمامى إذا ما كان قد أتيح لى أن أقوم بقراءة، حتى ولو مسودة سريعة ومملة، تتعلق بذهن جدى، قام هو نفسه بكتابتها، وكانت تحتوى على ما كان يدور فى ذهنه، وما الذى قام به، وكيف كان يمارس أعماله. ولقد قمت بمحاولة كتابة التقرير التالى عن نفسى، كما لو كنت رجلا متوفيا، موجودا فى عالم آخر، وأنطلع إلى الخلف على حياتى. ولم أجد صعوبة فى ذلك، حيث انتهى مدى العمر تقريبا بالنسبة لى. ولم أحمل نفسى أى جهود كبيرة، تجاه أسلوب الكتابة.

ولدت فى "شروز برى" Shrewsbury، فى ١٢ فبراير عام ١٨٠٩، ولا تعود أكثر استرجاعاتى تذكيرا، إلا إلى الوقت الذى جاوزت فيه عامى الرابع بشهور قليلة، عندما ذهبنا إلى مكان قريب من "أبيرجيل" Abergele للاستحمام فى البحر، وأستطيع أن أتذكر بعضا من الأحداث والأماكن هناك، بشيء قليل من الوضوح.

توفيت والدتى فى يوليو، عام ١٨١٧، عندما جاوز عمرى ثمانى السنوات بقليل، ومن الغريب أنه من الصعب على تذكر أى شيء يتعلق بها، عدا سرير وفاتها، وعباعتها المنزلية المخملية السوداء، وطاولة عملها المشيدة بشكل غريب. وأرسلت فى ربيع نفس العام إلى مدرسة نهائية (خارجية) فى "شروز برى"، وظللت فيها لمدة عام. ولقد تم إخبارى، بأننى أكثر بطناً بكثير فى التعليم، عن أختى الأصغر منى "كاترين" Catherine، وأعتقد أننى كنت -بطرق كثيرة- صبيبا غير مطيع.

ظهر وقت ذهابى إلى هذه المدرسة النهارية، [2]، تذوقى للتاريخ الطبيعى^(١)، وبشكل أكثر خصوصية، إلى القيام بجمع العينات، بشكل واضح. وحاولت اكتشاف أسماء النباتات [3] وقمت بجمع جميع الأصناف من الأشياء، والأصداف^(٢)، والأختام^(٣)، والدمغات^(٤)، والعملات النقدية^(٥)، والمعادن^(٦). وكانت شهوة الجمع، التى تقود أى إنسان، إلى أن يصبح عالماً تصنيفياً^(٧) فى التاريخ الطبيعى، أو باحثاً مدققاً^(٨)، أو بخيلاً^(٩)، شديدة القوة بداخلى، ومن الواضح أنها كانت متأصلة بشكل فطرى، لأن جميع إخوتى وأخواتى، لم يكن لديهم هذا التذوق على الإطلاق.

قامت حادثة واحدة صغيرة، حدثت فى غضون تلك السنة، بتثبيت نفسها بشكل وطيء جداً فى ذهنى، وأنا سعيد بأنها قامت بذلك، لأن ضميرى أصبح مضطرباً بها بشكل مؤلم فيما بعد! وهى حادثة مثيرة للدهشة، على أساس أنها تبين، أنه يبدو أننى كنت مهتماً فى هذا العمر المبكر، بالقابلية للتغيير^(١٠) فى النباتات! فلقد أخبرت صبياً آخر (أعتقد أنه "ليتون" Leighton، الذى أصبح العالم المشهور فى علم الحشائش البحرية^(١١)) وعلم النبات^(١٢)، بأننى أستطيع القيام بإنتاج نرجسيات^(١٣)، وزهور ربيع مختلفة^(١٤) الألوان، عن طريق سقايتها بسوائل ملونة

Natural history	(١) التاريخ الطبيعى
Shells	(٢) أصداف
Seals	(٣) أختام
Frank	(٤) دمغة
Coin	(٥) عملة (نقدية)
Minerals	(٦) معادن
Systematic	(٧) تصنيفى = ترتيبى
Virtuoso	(٨) باحث مدقق
Miser	(٩) بخل
Variability	(١٠) القابلية للتغيير
Lichenologist	(١١) عالم فى علم حشائش البحر (الأشنة)
Botanist	(١٢) عالم فى النبات
Polyanthus	(١٣) نرجس (نبات)
Primrose	(١٤) زهرة الربيع (نبات)

معينة، وهو الشيء الذى كان بالطبع بهتاناً^(١) هائلاً، ولم يسبق لى أن قمت بتجربته. ويعن لى أيضا فى هذا المقام أن أعترف، بأننى كنت منذ حدثتى، أميل إلى اختلاق الأكاذيب^(٢) المتعمدة، وكان ذلك يتم دائما، من أجل التسبب فى الإثارة، حيث قمت فى إحدى المرات، بجمع ثمار قيمة جدا من أشجار والدى، وقمت بإخفائها بين الشجيرات^(٣)، ثم عدت بعجالة وأنا متقطع الأنفاس، لكى أنشر الأخبار، بأننى اكتشفت مخزونا من الثمار المسروقة.

Fable

Falschood

Shrubbery

(١) بهتان = خرافة

(٢) أكذوبة

(٣) شجيرات



لوحة (١١)

تشارلس داروين (٧ سنوات) يحتضن نباتات مزروعة.

من المؤكد أنني كنت صبيًا صغيرًا غابة في البساطة، عندما ذهبت لأول مرة إلى المدرسة. حيث قام صبي يدعى "جارنيت" Garnett، في يوم من الأيام، باصطحابي إلى حانوت كعك، وقام بشراء بعض من الكعك، الذي لم يدفع ثمنه، على أساس أن صاحب الحانوت يَدَّ به. وعندما سألته بعد خروجنا عن، لماذا لم يدفع الثمن، أجاب على الفور: "لماذا، ألا تعلم أن عمي قام بترك مبلغ كبير من المال للمدينة، على شريطة أنه يتحتم على كل حرفي، تقديم أى شيء مطلوب بدون تسديد ثمنه، إلى أى شخص يريد قبعته القديمة، ويقوم بتحريكها بطريقة معينة؟"، وقام بعد ذلك بتوضيح كيف يتم تحريكها. ثم ذهب بعد ذلك إلى حانوت آخر، كان فيه موضع الثقة، وطلب شيئًا ضئيلًا ما، قائمًا بتحريك قبعته بالطريقة الصحيحة، وحصل بالطبع عليه دون مقابل. ثم قال بعد خروجنا: "والآن، إذا أردت الذهاب بنفسك، إلى ذلك الحانوت للحصول على كعك (ومن العجيب أنني أذكر تمامًا موقعه بالضبط)، فسوف أقرضك قبعتي، وباستطاعتك الحصول على أى شيء تحبه، إذا قمت بتحريك القبعة على رأسك بشكل صحيح.". ولقد قبلت بسرور هذا العرض الكريم، ودخلت إلى الحانوت وطلبت بعض الكعك، وقمت بتحريك القبعة القديمة، وبدأت في السير خارجًا من الحانوت، وعندئذ قام صاحب الحانوت بالاندفاع تجاهي، فأسرعت بإسقاط الكعك، والجرى إنقاذًا لحياتي الغالية، وشعرت بالدهشة الشديدة، لمقابلتي بالصيحات الضاحكة، الصادرة من صديقي المزيف "جارنيت".

أستطيع القول لصالحى، أنني كنت شفوقاً^(١) في صباى، لكننى مدين بشكل كامل بهذا، لتعاليم وأمثلة أخواتى البنات. وأشك بالفعل، فى ماإذا كانت الرحمة، خاصية^(٢) طبيعية أو متأصلة^(٣). فقد كنت مغرماً بجمع بيض الطيور، لكننى كنت لا أقوم على الإطلاق بأخذ أكثر من بيضة واحدة، من ضمن البيض الموجود فى أى عش لطائر، فيما عدا مناسبة واحدة، عندما قمت بأخذ جميع البيض، ولم يكن ذلك لقيمتها، لكن نتيجة لنوع من التبجح^(٤).

كانت لدى نزعة قوية تجاه الصيد بالصنارة^(١)، وكنت أجلس لأى عدد من الساعات، على ضفة نهر أو بركة، مراقبا الفلينة الطافية^(٢)، وعندما تم إخبارى فى "مير" Maer، [4]، أن بإمكانى قتل الدود بمحلول الملح والماء، لم أقم على الإطلاق، منذ ذلك اليوم، باختراق أى دودة حية، كطعم فى السنارة، رغم أن ذلك كان يتم، على حساب الإقلال من فرص النجاح فى الصيد.

حدث لى مرة وأنا صبى صغير فى المدرسة النهارية، أو قبل ذلك الوقت، أن قمت بتصرف فيه قسوة، وذلك لقيامى بضرب جرو، وأعتقد أن ذلك كان ناتجا ببساطة، عن الاستمتاع بالإحساس بالقوة، لكن لا أظن أن الضرب كان شديدا، لأن الجرو لم يغم بالولولة^(٣)، وأنا متأكد من ذلك، لأن الموقع كان قريبا من المنزل. وقد كان وقع هذا العمل ثقيلًا على ضميرى، كما يتضح من تذكرى الدقيق للموقع الذى تم فيه ارتكاب الجريمة. ومن المحتمل أن وقعه كان أكثر ثقلا، نتيجة لأن ولعى بالكلاب فى ذلك الوقت - ولزمن طويل بعد ذلك- كان نوعا من الشغف، ويبدو أن الكلاب تعلم ذلك، لأننى كنت خبيرا^(٤) فى سلب حبها من أسياها.

لا أتذكر بوضوح إلا وقوع حدث واحد آخر، أثناء هذه السنة التى كنت فيها فى مدرسة "السيد كاس" Mr. Case النهارية، وهو بالتحديد، عملية الدفن لجندى فى سلاح الفرسان^(٥)، ومن المدهش مدى الوضوح الذى مازلت أرى به الجواد، مع الحذاء عالى^(٦) الساق والبنديقة القصيرة^(٧) المعلقتين بالسراج، وإطلاق النار فوق القبر. وقد قام هذا المشهد، بتحريك كل خيال شعرى كان بداخلى.

Angling

Float

Howl

Adept

Dragoon = Soldier

Boot

Carbine

(١) الصيد بالصنارة = التصنر

(٢) الفلينة الطافية

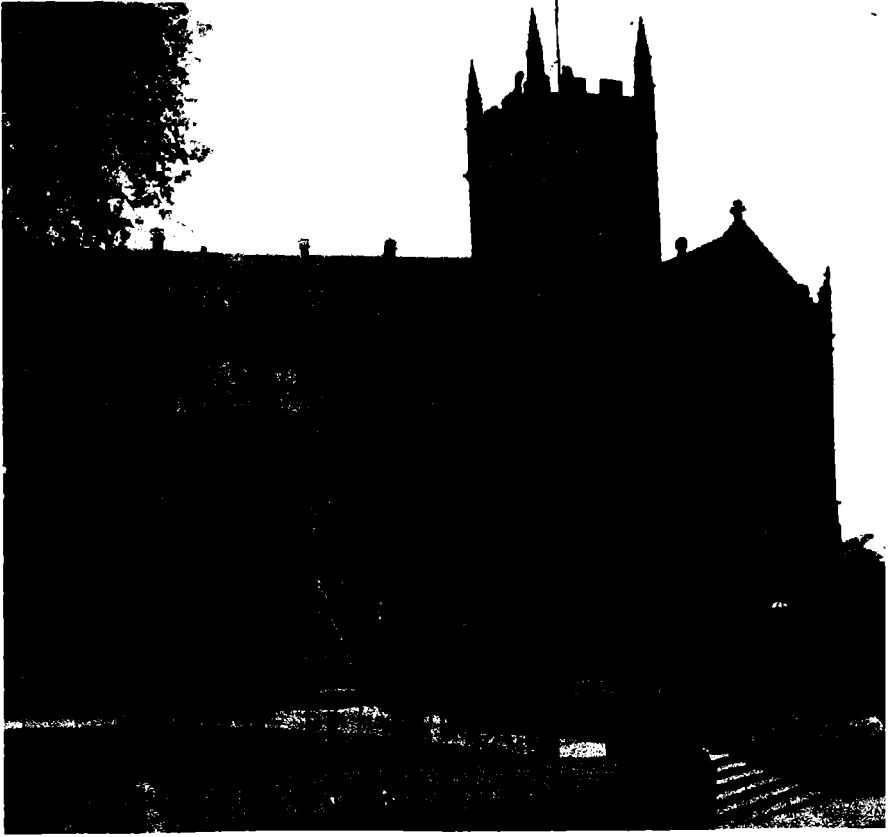
(٣) ولولة

(٤) خبير = ماهر

(٥) جندى فى سلاح الفرسان

(٦) حذاء عالى الساق

(٧) بنديقة قصيرة



لوحة (١٢)
مدرسة "شروزبرى"

ذهبت فى صيف عام ١٨١٨، إلى مدرسة "الدكتور بتلر" Dr. Butler الكبيرة الموجودة فى "شروز برى"، وبقيت هناك لمدة سبع سنوات، إلى منتصف صيف عام ١٨٢٥، إلى أن بلغت السادسة عشرة من العمر. وقد كنت مقيما فى هذه المدرسة، وبهذا الشكل كانت لدى الفرصة العظيمة، فى أن أعيش حياة صبية دراسى حقيقى، ولكن بما أن المسافة كانت لا تتعدى أكثر من ميل واحد إلى منزلى، فإننى كنت أعدو فى كثير من الأحيان إلى هناك، أثناء الفترات الفاصلة الطويلة بين انتهاء الدراسة، وقبل إغلاق الأبواب ليلاً. وأعتقد أن ذلك كان مفيداً لى بطرق عديدة، عن طريق الاحتفاظ بالصلوات المنزلية الودودة والاهتمامات. وأتذكر فى الجزء المبكر من حياتى المدرسية، أنه كان يتحتم على العدو بسرعة كبيرة، لى أصل فى الميعاد، ونتيجة لأننى كنت عداءً سريعاً، فقد كنت عادة ما أنجح فى ذلك، ولكن عندما كان الشك يساورنى، كنت أقوم بالابتهاال بإخلاص لله لى يساعنى، وأتذكر جيداً أننى كنت أعزو نجاحى إلى الابتهاالات، وليس إلى العدو السريع الذى كنت أقوم به، وكنت أتعجب من المساعدة، التى كانت تحط على بشكل عام.

سمعت والدى وأختى الكبرى يقولان أنه كان لدى - وأنا صبية صغير - ولع قوى بالتجول سيرا لمدة طويلة، ولكن لا علم لى بما كان يجول فى فكرى. وكثيراً ما كنت أستغرق تماماً فى التفكير، وحدث مرة أثناء عودتى إلى المدرسة، أن كنت على قمة التحصينات القديمة المحيطة بـ"شروز برى"، التى تم تحويلها إلى ممرات عامة للتمشية، بدون حاجز^(١) على واحد من الأجانب، واختل مسارى وسقطت على الأرض، لكن الارتفاع لم يكن يتجاوز إلا سبعة أو ثمانية أقدام. ورغم ذلك، كان عدد الأفكار التى مرت فى خلال ذهنى، فى غضون هذا الوقت القصير جداً، الذى استغرقته السقطة المفاجئة وغير المتوقعة على الإطلاق، مثيراً للدهشة، ويبدو من الصعب أن يتلاءم ذلك، مع ما أعتقد أن العلماء فى وظائف الأعضاء قاموا بإثباته، حول أن كل تفكير يتطلب كمية لها وزنها من الوقت.

لا يمكن أن يكون هناك شيء أسوأ لتطوير ذهنى، أكثر من مدرسة "الدكتور بتلر"، حيث أنها كانت مدرسة تقليدية بشكل صارم، ولا يوجد بها شيء آخر يتم تعليمه، باستثناء القليل من القديم من علوم الجغرافيا والتاريخ. وكانت المدرسة كوسيلة تعليمية بالنسبة لى، مجرد شيء فارغ. وقد كنت فى غضون حياتى بأكملها، غير قابل بشكل فريد، على الإلمام بخاصية أى لغة. وكان هناك اهتمام خاص بنظم المقاطع الشعرية^(١)، وهذا أمر لم يكن فى استطاعتى على الإطلاق القيام به بشكل حسن، وكان لدى عدد كبير من الأصدقاء، الذين تعاونوا على القيام بجمع مجموعة جيدة من الأشعار القديمة، والتي عن طريق إصاقها مع بعضها، وفى بعض الأحيان عن طريق مساعدة الصبية الآخرين، كان بإمكانى تناول أى موضوع. وكان هناك انتباه شديد لحفظ دروس اليوم السابق عن ظهر قلب، وقد كان بإمكانى القيام بذلك بسهولة شديدة، مستوعبا أربعين أو خمسين سطرا من أعمال "فيرجيل" Virgil أو "هومر" Homer، أثناء تواجدى فى المصلى^(٢) الصباحى، إلا أن هذه الممارسة كانت عقيمة بشكل تام، لأن كل مقطوعة شعرية كان يتم نسيانها، خلال ثمان وأربعين ساعة. لم أكن متكاسلا، باستثناء تناول الشعر، وكنت أقوم بشكل عام بالعمل بضمير حى فى دراساتى الأدبية، ولم ألجأ إلى قصاصات للغش^(٣) فى الامتحانات. وكانت السعادة الوحيدة التى تلقيتها من مثل هذه الدراسات، مستمدة من بعض قصائد هوراس Horace الغنائية^(٤)، التى كنت شديد الإعجاب بها.

لم أكن عندما تركت المدرسة بالنسبة إلى سنى، ذا مستوى عال أو منخفض فى دراساتى، وأعتقد أنه كان يتم اعتبارى، عن طريق جميع أساتذتى، وعن طريق والدى، على أساس أننى صبى عادى جدا، وإلى حد ما، أقل عن المستوى الشائع فى الذكاء. ومما سبب لى شعورا عميقا بالخزى، أن والدى فى يوم ما قال لى:

Verse

Chapel

Cribs

Ode

(١) مقطع شعرية = شعر

(٢) مصلى = كنيسة صغيرة

(٣) قصاصات للغش فى الامتحانات

(٤) قصيدة غنائية

"أنت لا تهتم بأى شيء، سوى إطلاق الأعيرة النارية، والكلاب، والإمساك بالفيران^(١)، وسوف تصبح عارا على نفسك وعلى عائلتك". لكن لابد أن والدى- الذى كان أكثر الرجال الذين التقيت بهم عطفًا، والذى أشعر بالحب لذكراه بكل جوارحي- كان غاضبا وغير منصف بعض الشيء، عندما قام باستخدام تلك الكلمات".

بقدر استطاعتي على استرجاع الذكرى، عن طابعى فى غضون حياتي المدرسية، فإن خلال الوحيدة التي كانت تبشر بالخير فى هذه المرحلة، بالنسبة إلى المستقبل، كانت تمتعى بميول قوية ومتشعبة، والكثير من الحماس^(٢) تجاه أى شيء يثير اهتمامي، وشعور عميق بالسعادة، مستمد من التفهم لأى موضوع أو شيء معقد. وكان يتم تعليمي الهندسة الإقليدية^(٣) بواسطة مدرس خصوصي، وأتذكر بوضوح، الشعور الشديد بالإشباع، الذى كانت تصفيه على الإثباتات الهندسية الواضحة. وأتذكر بوضوح متساو، السرور الذى أسبغه على خالي (والد "فرانيس جالتون" Francis Galton)، لقيامه بشرح مبدأ المقياس الصغير المنزلق^(٤)، الخاص بمقياس الضغط الجوى^(٥). أما بالنسبة للميول المتشعبة، بشكل مستقل عن العلم، فقد كنت مغرما بقراءة كتب متنوعة، وكنت معتادا على الجلوس لساعات طويلة، لقراءة مسرحيات "شكسبير" Shakespeare التاريخية، وكان ذلك يتم فى العادة، داخل نافذة عتيقة، موجودة فى حوائط المدرسة السمكية، وقرأت أيضا أشعارا أخرى، مثل قصيدة "الفصول" Seasons لـ "تومسون" Thomson، وقصائد "بايرون" Bayron و"سكوت" Scott المنشورة حديثا. وأشير إلى ذلك لأننى فقدت تماما أسفى الشديد فى وقت متأخر من حياتي، كل شعور بالسعادة ناتج عن

Ratcatching

Zeal

Euclid

Vernier

Barometer

(١) الإمساك بالفيران

(٢) حماس

(٣) الهندسة الإقليدية

(٤) مقياس صغير منزلق

(٥) مقياس الضغط الجوى

الأشعار من أى نوعية، بما فى ذلك أشعار "شكسبير". ويعن لى أن أضيف، كشيء مرتبط باستمداد السرور من الشعر، أنه تم فى عام ١٨٢٢ -ولأول مرة - إيقاظ البهجة الشديدة فى نفسى لرؤية المشاهد الطبيعية أثناء جولة على صهوات الجياد، على حدود "ويلز" Wales وقد استمر هذا الشعور لوقت أطول، من أى سرور جمالى آخر.

كان أحد الصبية فى وقت مبكر من أيامى فى المدرسة، يمتلك نسخة من كتاب "عجائب الدنيا" Wonders of the World، الذى كنت أقوم بقراءته كثيرا، وأقوم بالجدال مع الصبية الآخرين، حول دقة بعض ما جاء به من تصريحات، وأعتقد أن هذا الكتاب، كان المحفز الأول لى، للرجبة فى القيام بالترحال فى الأقطار البعيدة، وهو الشيء الذى قمت بتحقيقه، عن طريق رحلة السفينة "البيجل" Beagle. وأصبحت فى الجزء الأخير من حياتى المدرسية، مولعا بشغف بالرماية النارية، ولا أعتقد أن من الممكن لأى شخص، إظهار حماس أكبر، من أجل أكثر المقاصد قدسية، عما قمت به تجاه رماية الطيور بالأعيرة النارية. وأتذكر تماما قنصى لأول طائر شنقب^(١)، وشعورى بالإثارة التى كانت عظيمة جدا، لدرجة أننى عانيت من صعوبة شديدة لإعادة حشو بندقيتى، نتيجة لارتجاف يدي. وقد استمر هذا الولع لمدة طويلة، وأصبحت راميا جيدا جدا. وكنت أتدرب عندما كنت فى "كامبريدج" Cambridge على رفع بندقيتى إلى كتفى أمام مرآة، لكى أرى ما إذا كنت أرفعها بشكل صحيح. وكانت هناك خطة أخرى وأفضل، تتمثل فى قيام أحد الأصدقاء بالتلويح بشمعة مشتعلة، وأقوم بالإطلاق عليها بكبسولة^(٢) على حلمة التفجير^(٣) وإذا كان التسديد دقيقا، كان من شأن النفثة^(٤) الضئيلة من الهواء، إطفاء الشمعة. وكان انفجار الكبسولة يتسبب فى صوت طقطقة حاد.

Snipe

Cap

Nipple

Puff

(١) طائر الشنقب

(٢) كبسولة = لفافة تحتوى على بعض المتفجرات *

(٣) حلمة التفجير *

(٤) نفثة



لوحة (١٣)

ضفة نهر "سيفيرن" بجوار منزل الـ"ماونت" - مراتع الطفولة

وعلمت أن المرشد المدرسى^(١) الموجود فى الكلية كان يعلق: "إنه لشيء خارج عن المعتاد. يبدو أن "السيد داروين" يمضى ساعات طويلة، فى طرقعة سوط جياذ فى غرفته، لأننى كثيرا ما أسمع الطرقعة، عند مرورى تحت نوافذه".

كان لى الكثير من الأصدقاء بين الطلبة، الذين أحببتهم إلى حد بعيد، وأعتقد أن مزاجى كان فى ذلك الوقت ودودا.

أما بالنسبة للعلوم، فقد واصلت الجمع للمعادن بحماس كبير، لكن بشكل غير علمى تماما. وكان كل اهتمامى يدور حول أى معدن تتم تسميته حديثا، لكن كان النادر محاولة قيامى بتصنيفهم. ولا بد أننى قمت بمراقبة الحشرات بقليل من الاهتمام، لأننى ذهبت عندما كنت فى العاشرة من عمرى (عام ١٨١٩)، لمدة ثلاثة أسابيع، إلى " پلاس إدواردز" Plas Edwards، على ساحل البحر فى "ويلز"، وكنت شديد الاهتمام والدهشة، لمشاهدة حشرة نصفية الأجنحة^(٢) ضخمة، سوداء وسكارلاتينية اللون^(٣)، والكثير من العث^(٤) (المتماثلات الأصل)^(٥)، وخنفسة بيرية^(٦)، وهى حشرات غير موجودة فى "شروپشير" Shropshire. وقمت تقريبا بعقد العزم، على البدء فى الجمع لجميع الحشرات التى أستطيع العثور عليها مينة، لأننى خلصت عند طلبى النصيح من أختى، إلى أنه ليس من الصواب قتل الحشرات من أجل القيام بعمل مجموعة. وبدأت نتيجة لقراعتى كتاب "وايت" White بعنوان "سيلبورن" Selborne، فى الاستمتاع بشكل كبير، بمراقبة سلوكيات^(٧) الطيور، إلى

Tutor

Hemipterous insect

Scarlet (colour)

Moth

Zygaena

Cicindela

Habits

(١) مرشد أو مدرب مدرسى

(٢) حشرة نصفية الأجنحة

(٣) لون سكارلاتينى = أحمر يعيل إلى البرتقالى

(٤) حشرة العثة (جمعها عث)

(٥) متماثلات الأصل *

(٦) خنفسة بيرية

(٧) سلوكيات = عادات

درجة أنني قمت بكتابة بعض الملاحظات حول هذا الموضوع. وأتذكر نتيجة لبساطة تفكيرى فى ذلك الوقت، شعورى بالعجب، من سبب عدم كون كل رجل محترم، مختصاً فى علم الطيور^(١).

اهتم أخى بشكل شديد قرب الانتهاء من حياتى المدرسية - بالكيمياء وقام بإنشاء معمل جيد مزود بالأجهزة الضرورية، فى مخزن الأدوات الموجود فى الحديقة، وكان مسموحاً لى بمساعدته فى معظم تجاربه. وكان يقوم بصنع معظم الغازات والكثير من المركبات، وقد قرأت بعناية العديد من الكتب الخاصة بالكيمياء، مثل كتاب "هنرى و باركر" Henry and Parker، بعنوان "التعليم بالتساؤل للكيمياء" Chemical Catechism. وقد أثار الموضوع اهتمامى بشكل كبير، وكثيراً ما كنا نستمر فى العمل إلى وقت متأخر من الليل. وقد كان ذلك أفضل جزء من تعليمى فى المدرسة، لأنه وضح لى بشكل عملى، معنى العلم التجريبي. وقد تمت معرفة الحقيقة المتعلقة بعملنا فى الكيمياء، بشكل ما فى المدرسة، وكان ذلك يمثل حقيقة غير مسبوقه، وتمت كنييتي^(٢) بـ "غاز" Gas. وتم أيضاً توبيخى^(٣) بشكل علنى بواسطة الناظر "الدكتور بتلر"، لتبديد وقتى بهذا الشكل، على مثل تلك المواضيع غير المفيدة، ودعانى بشكل غير عادل "باللامبالى"^(٤)، وحيث أنني لم أفهم ماذا كان يعنيه، بدا لى ذلك كتأنيب^(٥) مخيف.

قام والدى بحكمته نتيجة لعدم إحرازى أى تقدم جيد فى المدرسة بإخراجى منها، عند عمر أكثر تبكيراً بعض الشيء عن المعتاد، وقام فى أكتوبر ١٨٢٥، بإرسالى إلى "جامعة إدنبوره" Edinburgh University، بمصاحبة أخى، حيث بقيت

Omithologist

Nickname

Rebuke

Poco curante

Reproach

(١) متخصص فى علم الطيور

(٢) اسم كنية

(٣) يوبخ

(٤) غير مبالى

(٥) تأنيب

هناك لاثنتين من السنين أو الفترات. وكان أخى يقوم باستكمال دراساته الطبية، إلا أننى لا أصدق أنه اعتزم على الإطلاق، ممارسة الطب، وكان إرسالى إلى هذا المكان، للبدء فى تلك الدراسات. ولكننى أصبحت سريعا بعد انقضاء تلك المرحلة، مقتنعا نتيجة لملايسات صغيرة متنوعة، أن من شأن والدى ترك ممتلكات كافية لإعالتى بشىء من الراحة، ورغم عدم تخيلى على الإطلاق أننى سوف أصبح على هذه الدرجة من الثراء- مثلما هو الحال معى الآن- فإن هذا الاقتناع كان كافيا، لكبح أى مجهودات شاقة من جانبى لدراسة الطب.

كان التدريس الذى يجرى فى "إدنبرة"، فى صورة محاضرات بشكل كلى، والتي كانت مملة بشكل لا يمكن احتمالها، باستثناء تلك الخاصة بعلم الكيمياء، الملقاة بواسطة "هوب" Hope، لكن طبقا لتفكيرى، لم يكن هناك أى ميزات، وكان هناك العديد من السلبيات فى المحاضرات، عند مقارنتها بالقراءة. وكانت محاضرات "الدكتور دونكان" Dr. Doncan حول علم المواد الطبية^(١) - فى الساعة الثامنة من صباح يوم شتاء- شيئا مثيرا للرعب عند تذكرها. وكان الدكتور "-، المنوط به تدريس علم التشريح البشرى، يقوم بجعل محاضراته مملة، بنفس الدرجة التى كان عليها هو شخصيا، وكان الموضوع يثير اشمزازى، وقد ثبت أن واحدة من أكبر المساوئ التى حدثت فى حياتى، أنه لم يتم حتى على القيام بالتشريح، فقد كان من شأنى التغلب على شعورى بالتقزز، وكان من شأن تلك الممارسة، أن تكون ذات قيمة عالية، بالنسبة لجميع أعمالى المستقبلية. وقد كان ذلك شرا لا علاج له، بالإضافة إلى عدم قدرتى على القيام بالرسم. وكنت أقوم بالتردد بانتظام على الأجنحة السريرية^(٢) الموجودة فى المستشفى. وقد أصابتى بعض الحالات بالضيق بقدر كبير، ولا زلت أحتفظ بصور حية فى مخيلتى للبعض منها، ولكننى لم أكن على درجة من الغباء، بحيث أسمح لذلك بالإقلال من ترددى على

المستشفى. ولا أستطيع فهم، لماذا لم يكن هذا الجزء من منهاجى الطبى، مثيرا لاهتمامى بأى درجة عالية، لأننى بدأت قبل الذهاب إلى "إدنبرة"، فى التردد على بعض الأناس الفقراء، وبشكل رئيسى الأطفال والنساء الموجودون فى "شروز برى"، وكنت أقوم بكتابة تقرير وافٍ بقدر استطاعتى عن الحالة، مع الوصف لجميع الأعراض، وقراءة ذلك بصوت مرتفع لوالدى الذى كان يقترح المزيد من الاستفهامات، وينصحنى بالعقاقير المنصوح بتعاطيها، والتي كنت أقوم بتحضيرها بنفسى. وكان لدى فى وقت من الأوقات ما لا يقل عن الاثنى عشر مريضا، وشعرت باهتمام شديد فى هذا العمل. وقد صرح والدى، الذى كان الأفضل إلى مدى بعيد فى الحكم على الشخصيات قابليته على الإطلاق فى حياتى، بأن من شأنى أن أصبح طبيبا ناجحا - وكان يعنى بذلك، الطبيب الذى يستطيع الحصول على العديد من المرضى. فقد كان يصر على أن العنصر الرئيسى للنجاح هو بث الثقة، ولكننى لا أعلم ما الذى رآه منى، وأقنعه أن من شأنى بث هذه الثقة. ولقد تواجدت أيضا فى مناسبتين فى غرفة العمليات الجراحية الموجودة فى مستشفى "إدنبرة"، وشاهدت اثنتين من العمليات الخطيرة، واحدة منهما على طفل، لكننى اندفعت خارجا قبل استكمالهما. ولم أحضر أى عملية بعد ذلك، حيث لم يكن هناك أى حافز من شأنه أن يكون قويا بشكل كاف لدفعى للقيام بذلك، فقد كان ذلك سابقا بوقت طويل لأيام الكلوروفورم المباركة. وقد لازمت تلك الحالتان خيالى، للكثير من السنوات الطوال.

ظل أخى فى الجامعة لمدة عام واحد فقط، وتركت بهذا الشكل خلال العام الثانى للاعتماد على مرجعياتى الخاصة، وكانت تلك ميزة، حيث تعرفت بشكل جيد، على العديد من الرجال اليافعين، المغرمين بالعلوم الطبيعية. وقد كان أحدهم "اينسورث" Ainsworth، الذى قام فيما بعد بنشر ترحالاته فى "آشور" Assyria، وكان جيولوجيا فيرناريا Wernerian geologist، وعلى علم بالقليل الذى يدور، حول الكثير من الموضوعات. وكان "الدكتور كولد ستريم" Dr. Coldstream رجلا يافعا

مختلفا جدا، حيث كان أنيقاً^(١)، ومنهجياً^(٢)، وغاية في التدن، ورفيق القلب إلى أعلى درجة، وقد قام فيما بعد، بنشر البعض من المقالات الجيدة في علم الحيوان. أما الرجل البافع الثالث فكان "هاردي" Hardie، الذى أعتقد أنه كان من شأنه، أن يصبح عالماً جيداً فى علم النبات، غير أنه توفى فى وقت مبكر فى الهند. وأخيراً، "الدكتور جرائن"، الذى كان يسبقنى بعدة سنوات، ولكننى لا أتذكر كيف تمت معرفتى به، وقد قام بنشر البعض من المقالات من الطراز الأول، فى علم الحيوان، لكنه لم يَقم بعد ذهابه إلى "لندن" كأستاذ فى كلية جامعية، بإضافة أى شىء فى العلم، وتلك حقيقة كانت دائماً غير قابلة للتفسير من جهتى. ولقد كنت على معرفة جيدة به، وكان جافاً ومنهجياً فى أخلاقه، مع الكثير من الحماس تحت قشرته الخارجية. وقد قام فى أحد الأيام، أثناء سيرنا سوياً، بالاندفاع فجأة فى فيض من الإعجاب بـ "لامارك" Lamarck وآرائه حول التطور^(٣). وكنت قد قمت قبل ذلك، بقراءة كتاب جدى "تسمية الحيوانات" Zoonomia، الذى تم فيه التأكيد على وجهات مماثلة من النظر، لكن دون الإنتاج لأى تأثير على. ومع ذلك، فمن المحتمل أن السماع فى وقت مبكر بعض الشىء من العمر، بالتأكيد والإطراء على مثل تلك الوجهات من النظر، قد ساعد على اعتناقى لها بشكل مختلف، فى كتابى "نشأة الأنواع الحية" (أصل الأنواع) Origin of Species. وقد شعرت بالإعجاب الشديد فى ذلك الوقت، بكتاب "تسمية الحيوانات" Zoonomia، ولكنى شعرت عند قراءتى له فى المرة الثانية بعد مرور عشرة أو خمسة عشر عاماً، بخيبة أمل كبيرة، حيث كانت نسبة التخمينات^(٤) الموجودة فيه أكبر بكثير من الحقائق المقدمة.

Prim

Formal

Evolution

Speculation

(١) أنيق

(٢) منهجى - رسمى - متكلف

(٣) تطور

(٤) تخمين

كان انتباه "الدكاترة جرانت وكولد ستريم" Drs. Grant and Coldstream موجها بشكل كبير، نحو علم الحيوانات البحرية، وكثيرا ما كنت أقوم بمصاحبة الأول، لجمع الحيوانات الموجودة في البرك التي يخلفها الجزر، والتي كنت أقوم بتسريحها جيدا بقدر المستطاع. وقمت أيضا بعقد صداقات مع بعض صيادي الأسماك الموجودين في "نيوهافن" Newhaven، وكنت أقوم في بعض الأحيان بمصاحبتهم، أثناء تجريفهم لقاع البحر بالشباك^(١) لصيد المحار^(٢)، وحصلت بهذا الشكل على الكثير من العينات. لكن نتيجة لعدم حصولي على فرص الممارسة المنتظمة في التسريح، ونتيجة لحيازتي مجرد مجهر حقير، كانت محاولاتي غاية في الضعف.

قمت رغم ذلك باكتشاف صغير مشوق واحد، وقرأت في بداية عام ١٨٢٦، بحثا مكتوبا قصيرا حول الموضوع، أمام "الجمعية البيلينية" Pilinian Society. وكان يدور حول أن ما يسمى بيض المرتبكات^(٣)، لديه القدرة على الحركة المستقلة، عن طريق الاستعانة بالأهداب^(٤)، وأنه كان في الحقيقة يرقات^(٥). وقمت في بحث مكتوب قصير آخر، بتوضيح أن الأجسام الكروية^(٦) الضئيلة، التي كان من المفترض أن تكون الحالة اليافعة، لطحلب الفقوس المضلع^(٧)، كانت أغلفة البيض الخاصة بشبة الدوديات^(٨)، المسماة الراتنجيات المسطحة الأرجوانية^(٩).

Trawl	(١) تجريف قاع البحر بالشباك
Oyster	(٢) محارة
Flustra	(٣) المرتبكات • : حيوانات بدائية بحرية
Cilia	(٤) أهداب
Larva (Pl. Larvae)	(٥) يرقة
Globular bodies	(٦) الأجسام الكروية
Fucus loreus	(٧) طحلب الفقوس المضلع •
Worm like	(٨) شبة دودي •
Pontobdella muricata	(٩) الراتنجيات المسطحة الأرجوانية •

كان يتم تشجيع "الجمعية اللبينية" وأعتقد أنها أنشئت بواسطة "الأستاذ جامسون" Prof. Jameson، وكانت تتكون من الطلبة، وتَجتمع في غرفة تحت مستوى الأرض في الجامعة، بغرض القراءة والمناقشة للمقالات العلمية، التي تدور حول العلوم الطبيعية، وكنت معتادا على الحضور بانتظام، وكان للاجتماعات تأثيرها الجيد بالنسبة لى، فى الاستثارة لحماسى، ولمنحى الجديد من المعارف المتجانسين معى. وحدث ذات مساء أن قام شاب يافع مسكين بالوقوف، واستطاع فى آخر الأمر، بعد التلعثم^(١) لوقت طويل بشكل غير عادى، والتورد^(٢) إلى اللون القرمزى^(٣)، أن يقول ببطء: "سيدى الرئيس، لقد نسيت ما كنت سوف أقوله". وقد بدا الشاب المسكين مرتبكاً بشكل تام، وكان جميع الأعضاء مبهوتين^(٤)، إلى درجة عدم تفكير أى واحد منهم، فى قول شىء لتغطية ارتباكهم. ولم يكن يتم طباعة المقالات العلمية التى كانت تتم قراءتها فى جمعيتنا الصغيرة، ولم ألاحظ بهذا الشكل، بالإشباع لرؤية مقالتي العلمية وهى مطبوعة، لكننى أعتقد أن "الدكتور جرانت"، وضع ملحوظة حول اكتشافى الصغير، فى تقريره الممتاز حول "المرتبات".

كنت عضوا كذلك فى "الجمعية الطبية الملكية" Royal Medical Society، وكان حضورى منتظما جدا، ولكن بما أن المواضيع كانت طبية بشكل بحت، فإننى لم أشعر باهتمام كبير تجاهها. وكان الكلام يدور حول الكثير من المواضيع الغثة، ولكن كان هناك بعض من المتحدثين الجيدين، وقد كان الأفضل من بينهم، هو الذى أصبح حاليا "السير ج. كاى شاتلورث" Sir J. Kay-Shuttleworth. وكان "الدكتور جرانت" Dr. Grant يقوم باصطحابى أحيانا، إلى اجتماعات الجمعية الفيرنانية" Wernerian Society، حيث كانت أبحاثا متنوعة عن التاريخ الطبيعى، تتم قراءتها،

Stammering

Blushing

Crimson

Surprised

(١) تلعثم = تهتة

(٢) اورد

(٣) لون قرمزى

(٤) مبهوت

ومناقشتها، ويتم نشرها بعد ذلك، فى محاضرات الجلسات^(١). وأتيحت لى الفرصة هناك، للاستماع إلى "أودوبون" Audubon، وهو يلقى بعض المحاضرات المشوقة، حول سلوكيات^(٢) الطيور الموجودة فى أمريكا الشمالية، ساخرا بعض الشيء بشكل غير عادل، من "واترتون" Waterton. وكان هناك بالمصادفة زنجى يعيش فى "إدنبرة"، وكان قد قام بالارتحال مع "واترتون"، وكان يكسب معاشه عن طريق القيام بتحنيط الطيور، وقد أعطانى دروسا مدفوعة فى ذلك، وكنت معتادا فى كثير من الأحيان الجلوس معه، لأنه كان رجلاً غاية فى الطرف والذكاء.

قام أيضا "السيد ليونارد هورنر" Mr. Leonard Horner باصطحابى فى إحدى المرات، إلى اجتماع خاص "بجمعية إدنبرة" الملكية Royal Society of Edinburgh، حيث شاهدت "السير والتر سكوت" Sir Walter Scott يجلس فى كرسي الرئاسة، وقام بالاعتذار فى الاجتماع، بعدم شعوره بأنه أصبح صالحا لهذا المنصب. ولقد نظرت إليه، وإلى المشهد بأكمله ببعض من الرهبة والتبجيل، واعتقد أننى شعرت نتيجة لما حدث أثناء شبابى من هذه الزيارة، ومن تردى على "الجمعية الطبية الملكية"، بالفخار من انتخابى منذ سنوات قليلة ماضية، كعضو شرفى فى كل من هاتين الجمعيتين، بشكل أكبر من أى تشريف آخر مماثل. وأعلن أننى لو أخبرت فى ذلك الوقت، بأنه سوف يتم تشريفى فى يوم من الأيام بهذا الشكل، لكان من شأنى الاعتقاد بأن ذلك على نفس الدرجة من السخافة وعدم الاحتمالية المائلة لإخبارى أن من شأنى أن يتم انتخابى ملكا على إنجلترا.

داومت فى غضون عامى الثانى فى إدنبرة، على حضور محاضرات الأستاذ -" حول علم طبقات الأرض"^(٣) وعلم الحيوان^(٤)، لكنها كانت مملة بدرجة لا يمكن تصديقها. وكان التأثير الوحيد الذى قامت بإحداثه لى، هو تصميمى على

عدم القيام ما حييت، بقراءة أى كتاب عن علم طبقات الأرض، أو القيام بدراسة العلوم بأى طريقة. إلا أننى كنت أشعر بالتأكد، بأننى معد للمعالجة المنطقية^(١) للموضوع، حيث قام "السيد كوتون" Mr. Cotton العجوز الموجود فى "شروبشير" Shropshire، الذى كان يعرف الكثير حول الصخور، منذ سنين أو ثلاث سنوات سابقة، بالإشارة إلى جلمود^(٢) مجروف^(٣) ضخم موجود فى بلدة "شروزبرى"، يسمى "صخرة الجرس" Bell-stone، وأخبرنى بأنه لا توجد أى صخرة من نفس الصنف، فى مكان أقرب من "كامبرلاند" Camberland أو "إسكتلندة" Scotland، وأكد لى بوقار، بأن من شأن العالم أن يصل إلى نهايته، قبل أن يتمكن أى شخص، من تفسير كيف استطاعت هذه الصخرة، المجيء إلى المكان الذى تستقر فيه حالياً. وقد قام ذلك بإحداث انطباع عميق لى، وكثيرا ما كنت أقوم بالتأمل حول هذه الصخرة المدهشة. وشعرت بناء على ذلك، بسرور غامر، عندما قرأت لأول مرة، عن مفعول الجبال الثلجية الطافية^(٤)، فى نقل الجلاميد الصخرية، وهلت للتقدم الذى حدث فى علم طبقات الأرض. والحقيقة المذهلة بشكل مساو - رغم أن عمرى الآن سبعة وستون عاما فقط - هى سماعى الأستاذ فى محاضرة ميدانية عند الجروف الصخرية^(٥) الموجودة فى "سليزبرى" Salisbury، وهو يعالج الموضوع الخاص بأحد الخنادق الطرابية^(٦)، مع ما يحتويه من حواف ملوزة^(٧)، والطبقات^(٨) المتبسة الموجودة على كل جانب، والصخور البركانية^(٩) الموجودة فى كل مكان

Philosophical	(١) منطقي = فلسفى
Boulder	(٢) جلمود (صخر)
Erratic	(٣) مجروف
Icebergs	(٤) الجبال الثلجية الطافية
Craig	(٥) جرف صخرى
Trap-dyke	(٦) خندق طرابى (الطراب = صخر بركانى)
Amygdaloid	(٧) ملوز = صخر بركانى مشتمل على تجاويف صغيرة مملوءة بالرواسب المعدنية
Stratum (Pl. Strata)	(٨) طبقة (أرضية)
Volcanic	(٩) بركانى

حولنا، قائلا إنه كان صدعا^(١) تم ملؤه بالرواسب الهابطة من أعلى، مضيفا بسخرية أنه كان هناك أناس يصرون على أنه حقن من أسفل بمواد في حالة منصهرة. ولا أشعر بالتعجب عندما أقوم بالتفكير في هذه المحاضرة، من تصميمي على عدم الاهتمام على الإطلاق بعلم طبقات الأرض.

أصبحت نتيجة لحضوري محاضرات الأستاذ "ـ"، على صلة بأمين^(٢) المتحف، السيد "ماكجيلفراي" Mr. Macgillivray، الذي قام فيما بعد بنشر كتاب ضخم وممتاز، حول طيور إسكتلندية. وكانت لنا محادثات كثيرة مشوقة حول التاريخ الطبيعي، وكان غاية في اللطف معي. وقام بمنحى بعضا من القواقع^(٣) النادرة، لأننى كنت أقوم في ذلك الوقت بجمع الرخويات^(٤) البحرية^(٥)، لكن ليس بقدر كثير من الحماس.

كانت أجازاتي الصيفية أثناء هاتين السنتين، مخصصة بشكل كامل للتسلية، رغم أننى كنت أحتفظ دائما ببعض الكتب، لتكون في متناول يدي، والتي كنت أقرأها بشغف. وقمت - في غضون صيف عام ١٨٢٦ - بجولة طويلة سيرا على الأقدام مع اثنين من الأصدقاء، وعلى ظهورنا جربنديا^(٦)، في أرجاء شمال ويلز. وكنا نسير ثلاثين ميلا في معظم الأيام، متضمنة يوما لصعود جبل "سنودون" Snowdon. وذهبت أيضا في جولة بالجياد مع أختي في شمال ويلز، ومعنا خادم يحمل ملابسنا في حقائب على سرج جواده. أما فصول الخريف فقد كانت مخصصة بشكل رئيسي، للصيد بالبندق عند "السيد أوين" Mr. Owen، في "وودهاوس" Wood house، وعند "خالي جوس" Uncle Jos [5]، في "مير" Maer.

Fissure

(١) صدع = شق

Curator

(٢) الأمين

Shell

(٣) قوقعة = صدفة

Mollusca

(٤) رخويات

Marine

(٥) بحري

Knapsack

(٦) جربندية = حقيبة ظهر

وقد كان حماسى عظيما، إلى درجة أننى كنت معتادا وضع أحذية الصيد مفتوحة بجوار سريرى عند الذهاب إلى النوم، لكى لا أفقد نصف دقيقة أثناء ارتدائها فى الصباح، وبلغت فى إحدى المرات جزءا بعيدا من ضيعة "مير" وكان ذلك فى العشرين من أغسطس، بحثا عن طيور الصيد السوداء^(١) وصيدها، وظللت بعد ذلك أكدح مع حارس الصيد طوال اليوم فى اختراق المروج الكثيفة وأشجار التنوب الإسكتلندى اليافة.

كنت أحتفظ بسجل دقيق لكل طائر أقوم بصيده طوال الموسم بأكمله. وظننت فى أحد الايام، أثناء قيامى بالصيد فى "وود هاوس" مع "الكابتن أوين" Captain Owen، الابن الأكبر، وابن عمه، "الماجور هيل" Major Hill الذى أصبح "اللورد بيرويك" Lord Berwick فيما بعد، وكنت مغرما بكليهما، أنهما قاما باستغلاى بشكل مخجل، لأننى كلما قمت بإطلاق النار، وظننت أننى قتلت طائرا، تظاهر واحد منهما بإعادة حشو بندقيته، والصياح: "يجب ألا تقوم بوضع هذا الطائر فى الحساب، لأننى أطلقت النار عليه فى نفس الوقت"، وكان حارس الصيد- وهو مدرك لهذه الدعابة- يقوم بدعم كليهما. ثم قاموا بعد مضى بضع ساعات بإخبارى عن هذه الدعابة إلا أنها لم تكن دعابة بالنسبة لى، لأننى كنت قد اصطدت عددا كبيرا من الطيور، لكن لم يكن لدى علم بعددها، ولم يكن باستطاعتى إضافتها إلى قائمتى، التى اعتدت القيام بها، عن طريق إضافة عقدة إلى قطعة من الخيط، مربوطة فى عروة من المعطف. وقد أدرك أصدقائى الخبثاء قيامى بذلك.

(١) طيور الصيد السوداء •



لوحة (١٤)

طائر من طرائد الصيد ببريطانيا

كنت أشعر باستمتاع كبير بالصيد، ولكن أعتقد أنني كنت أشعر بالخزي بشكل نصف واع من حماسي الشديد، لأنني حاولت إقناع نفسي، بأن الصيد عن طريق الرماية مشغولية عقلانية^(١) تقريباً، حيث تحتاج إلى الكثير من المهارة، للحكم على مكان العثور على أكثر الطرائد^(٢)، وكيفية استخدام الكلاب^(٣) للكلاب بشكل جيد.

كانت إحدى الزيارات الخريفية إلى "مير" في عام ١٨٢٧م، جديرة بالذكرى، لأنني تقابلت هناك مع "السير ج. ماكينتوش" Sir J. Mackintosh، الذي كان أفضل محادث أصغيت إليه على الإطلاق. وقد بلغني فيما بعد بزهو متقد، أنه قال: "هناك شيء ما في هذا الرجل اليافع يثير اهتمامي". ولابد أن ذلك كان بشكل رئيسي ناتجاً عن إدراكه، بأنني كنت أقوم بالإصغاء بكثير من الاهتمام، إلى كل شيء كان يقوله، لأنني كنت جاهلاً مثل أي خنزير، فيما يخص المواضيع التي كان يتحدث عنها، الخاصة بالتاريخ، السياسة، والفلسفة الأخلاقية^(٤). وأعتقد أن السماع للمديح الصادر عن شخص بارز، رغم أنه لا شك قابل أو من المؤكد أن يثير الخلاء^(٥)، يمثل شيئاً جيداً بالنسبة لأي رجل يافع، على أساس أنه يساعد على الإبقاء عليه في السياق الصحيح.

كانت زيارتي لـ "مير" خلال تلك الاثنتين أو الثلاث من السنين غاية في الإبهاج، بشكل مستقل عن الصيد الخريفي. فالحياة هناك كانت حرة بشكل كامل، وكان الريف غاية في اللطف للقيام بالسير أو ركوب الجياد، وكان هناك في المساء الكثير من المحادثات السائغة، التي لم تكن شخصية جداً، مثلما يكون عليه الحال

Intellectual employment

Game

Hunt

Moral

Vanity

(١) مشغولية عقلانية *

(٢) الطرائد

(٣) يستخدم

(٤) أخلاق

(٥) خلاء = زهو

فى العادة، فى الاجتماعات العائلية الضخمة، علاوة على الموسيقى. وكانت العائلة بأكملها معتادة فى فصل الصيف على الجلوس على درجات الرواق المعمد^(١) القديم، وأمامهم حديقة الزهور، والمنحدر شديد الانحدار المشجر المقابل للمنزل، الذى تتعكس صورته على سطح البحيرة، وتقوم هنا وهناك سمكة بالقفز، أو طائر مائى بالتجديف متجولا. ولم يبق أى شىء بترك ذكرى أكثر حيوية فى ذهنى بشكل أكبر، مما فعلته تلك الأمسيات، التى قضيتها فى "مير". لقد كنت متعلقا وأشعر بالتبجيل الشديد لخالى "جوس"، الذى كان رجلا صموتا ومتحفظا، إلى درجة أنه يكون أحيانا رجلا مرعبا، ولكنه كان يقوم أحيانا بالتحدث معى. لقد كان النموذج الأصلى من الرجل المستقيم، المتمتع بأوضح رؤية ممكنة. ولا أعتقد أن هناك قوة على سطح الأرض تستطيع أن تجعله ينحرف بوصة واحدة، عما يعتقد أنه المسار الصحيح. وكنت أقوم بالالتماس له فى ذهنى، لقصيدة "هوراس" Horace، الغنائية التى نسبتها الآن، التى توجد بها كلمات nec vultus tyranni, etc [6].

"كامبريدج" ١٨٢٨ - ١٨٣١ :- أدرك والدى - بعد قضائى فصلين دراسيين فى "إدنبرة"، أو سمع من أخواتى البنات - أننى لا أميل لفكرة أن أكون طبيبا، ولهذا اقترح أن من شأنى أن أصبح من رجال الدين^(٢). حيث كان معارضا بشكل عنيف جدا، لتحولى إلى رجل رياضى خامل، وهو الشىء الذى بدا أنه مالى المحتمل، فطلبت منه مهلة للتفكير، حيث كانت لدى وسواس^(٣)، نتيجة للنزr القليل مما سمعته، أو دار فكرى حوله فيما يتعلق بالموضوع، تدور حول الإعلان عن إيمانى بجميع عقائد^(٤) الكنيسة الإنجليزية، رغم أننى كنت عدا ذلك أميل إلى فكرة أن أكون رجل دين ريفيا. وقمت بناء على ذلك، بالقراءة بعناية لكتاب "بيرسون عن

(١) الرواق المعمد = المدخل ذو العمدان

(٢) رجال الدين

(٣) وسواس

(٤) العقيدة

العقيدة " Pearson on the Creed، علاوة على القليل من الكتب الأخرى عن الألوهية^(١)، وحيث لم يكن لدى أى شك ولو قليلاً فى ذلك الوقت، فى الصدق التام والحرفى لكل كلمة موجودة فى الكتاب المقدس^(٢)، فإننى سريعاً ما أقنعت نفسى، بحتمية التسليم التام بإيماننا المسيحى.

يبدو من المضحك- عند الوضع فى الاعتبار، مدى الشراسة التى تمت بها مهاجمتى، عن طريق المتدينين التقليديين^(٣) - أننى انتويت فى أحد الأيام، أن أصبح رجل دين. ولم يتم التخلّى بشكل رسمى عن هذا الهدف أو عن رغبة والدى، لكنه مات مئة طبيعية، عندما تركت "كامبريدج" للالتحاق بـ "البيجل" Beagle كإخصائى فى التاريخ الطبيعى. وإذا كان من الممكن الوثوق بالخبراء فى علم الفراسة الدماغية^(٤)، فقد حدث منذ سنوات قليلة ماضية، أن طلبت منى هيئة السكرتارية الخاصة بجمعية ألمانية لعلم السجاي (علم النفس)، بشكل جدى عن طريق خطاب، إرسال صورة خاصة بى، ثم تسلمت بعد مرور بعض الوقت، المحضر المسجل لأحد الاجتماعات، الذى يبدو فيه أن شكل رأسى كان موضوع المناقشة العامة، وقد أعلن أحد المتحدثين، أننى أتمتع بنتوء الكهانة الظاهر بشكل يكفى لعشرة من القسوس.

Divinity

(١) الألوهية = اللاهوت

Bible

(٢) الكتاب المقدس (بعهديه)

Orthodox

(٣) المتدين التقليدى = مستقيم التدين

(٤) علم الفراسة الدماغية: دراسة شكل الجمجمة لاستخلاص الشخصية والملكات الذهنية

Phrenology



لوحة (١٥)
جامعة كامبردج

عندما تم اتخاذ القرار بأن أصبح رجل دين، أصبح من الضروري أن يكون من شأني الذهاب إلى إحدى الجامعات الإنجليزية والحصول على شهادة جامعية، ولكن حيث إنني لم أقم على الإطلاق بفتح واحد من الكتب التقليدية، منذ مغادرتي للمدرسة، فقد اكتشفت لفرع مهم كان ذلك غير قابل للتصديق أنني نسيت في غضون السنتين الفاصلتين، كل شيء سبق لي أن تعلمته تقريباً، إلى حد الوصول إلى البعض القليل من الحروف اليونانية. ولم أقم بناءً على ذلك، بالالتحاق بـ"كامبريدج" في الوقت المعتاد في أكتوبر، لكنني قمت بالدراسة مع مدرس خصوصي في "شروز بري"، وذهبت إلى "كامبريدج" بعد إجازة عيد الميلاد، في وقت مبكر من عام ١٨٢٨. وسرعان ما استعدت مستوى الدراسي من المعرفة، وأصبح في استطاعتي القيام بترجمة الكتب اليونانية السهلة مثل كتابات "هومر" والعهد الجديد^(١) اليوناني، بسهولة متوسطة المستوى.

كانت السنوات الثلاثة التي قضيتها في "كامبريدج" مضیعة للوقت، بالنسبة لما له علاقة بالدراسات الجامعية التقليدية^(٢)، بنفس الشكل الكامل، مثلما كان عليه الحال في "إدنبرة" وفي المدرسة، ولقد حاولت دراسة الرياضيات^(٣)، إلى درجة ذهابي في غضون صيف ١٨٢٨ مع مدرس خصوصي (وكان رجلاً مملاً جداً) إلى "بارموث" Barmouth، لكن تقدمي كان غاية في البطء. لقد كانت الدراسة مقبلة^(٤) بالنسبة لي، وبشكل رئيسي، نتيجة لعدم قدرتي على رؤية أي معنى في الخطوات الأولى لعلم الجبر^(٥). وقد كان هذا الانعدام للصبر شيئاً غاية في الغباء، وندمت بشكل عميق في السنوات التالية، على أنني لم أتقدم بشكل كاف، حتى إلى الاستيعاب لشيء عن المبادئ الأساسية للرياضيات، حيث يبدو أن الأناس

Testament

Academic studies

Mathematics

Repugnant

Algebra

(١) العهد الجديد

(٢) الدراسات الجامعية التقليدية

(٣) الرياضيات = الحسابات *

(٤) مقبلة = كره

(٥) علم الجبر

الموهوبين^(١) بهذا الشكل، يتمتعون بحاسة إضافية. ولكننى أعتقد أنه لم يكن من شأنى أن أنجح، إلى مستوى يتعدى الدرجة المنخفضة. ولم أحقق شيئاً بالنسبة للدراسات التقليدية^(٢)، سوى حضور بعض المحاضرات الجامعية الإلزامية، وكان الحضور بشكل اسمى تقريباً. وكان على فى العام الثانى أن أعمل لشهر أو شهرين، لكى أجتاز الامتحان الابتدائى للدرجة^(٣)، وهو الشيء الذى قمت به بسهولة. وعملت مرة أخرى فى عامى الأخير - ببعض من الجدية- من أجل الامتحان الأخير للحصول على الدرجة العلمية فى الفنون والآداب^(٤)، واستعادة دراسائى التقليدية، علاوة على بعض من الجبر والهندسة الإقليدية^(٥)، وقد منحتنى الأخيرة الكثير من السرور، كما فعلت عندما كنت فى المدرسة. وكان من الضروري أيضاً لكى أتمكن من اجتياز امتحان درجة الفنون والآداب، استنكار^(٦) كتاب "پالى" Paley حول "البراهين الخاصة بالمسيحية" Evidences of Christianity، وكتابه عن "الفلسفة الأخلاقية" Moral Philosophy. وقد تم القيام بذلك بطريقة جدية، وأنا مقتنع بأنه كان بإمكانى القيام بكتابة جميع "البراهين"، بطريقة صحيحة تماماً، لكن بالطبع ليس بلغة "پالى" الواضحة. وإذا كان لى أن أضيف، فقد منحنى المنطق الموجود فى كتاب، "علم اللاهوت الطبيعى" Natural Theology، الكثير من السرور، مثلما فعل علم الهندسة. وقد كانت الدراسة بعناية لتلك الأعمال، دون المحاولة لتعلم أى جزء عن طريق الحفظ الصم^(٧)، تمثل الجزء الوحيد من المقرر الدراسى، بناءً على ما شعرت به ومازلت أؤمن به، الأقل فائدة لى، فيما يتعلق

Endowed

Classics

Little go

B.A. = Bachelor of Arts

Euclid

Get up

Rote

(١) موهوب

(٢) الدراسات التقليدية = التقليديات *

(٣) الامتحان الابتدائى للدرجة

(٤) الدرجة العلمية فى الفنون والآداب

(٥) الهندسة الإقليدية

(٦) استنكار = اكتساب معرفة

(٧) الحفظ الصم = الاستظهار بدون فهم

بِتَقْيِف ذهنى. ولم أقم فى ذلك الوقت بإزعاج نفسى حول فذلكات^(١) "بالى"، وقمت بتلقّيهَا بثقة، وكنت مفتونا ومقتنعا بالسياق الطويل من المجادلة. واكتسبت عن طريق الإجابة الجيدة لأسئلة الامتحان عن "بالى"، وعن طريق قيامى بالإجابة بشكل جيد للهندسيات، وعن طريق عدم الرسوب بشكل مزر فى التقليديات، موقعا جيدا بين "العامة"، أو الجمع من الناس الذين لا يقومون بالتقدم للدرجات الشرفية^(٢). والشئ الغريب، هو أننى لا أستطيع تذكر المستوى الذى وصلت إليه، وذاكرتى تتذبذب حول أن ترتيبي كان الخامس، أو العاشر أو الثانى عشر، من الأسماء الموجودة فى القائمة [7].

كان يتم فى الجامعة إلقاء المحاضرات العمومية^(٣)، التى تدور حول العديد من الفروع، وكان الحضور فيها يتم بشكل اختياري تماما، لكننى كنت قد سئمت المحاضرات فى "إدنبرة"، إلى درجة أننى لم أحضر حتى محاضرات "سيد جويك" Sedgwick البليغة والمشوقة. ومن المحتمل أننى لو كنت أقدمت على ذلك، لكان من شأنى أن أصبح خبيرا فى علم طبقات الأرض، فى وقت أكثر تبكيرا عما حدث معى. إلا أننى حضرت محاضرات "هنسلو" Henslow التى كانت تدور حول علم النبات^(٤)، وكنت أحبها جدا لوضوحها المتناهى، ورسومها التوضيحية المثيرة للإعجاب، لكننى لم أقم بدراسة علم النبات. وقد كان "هنسلو" معتادا أخذ تلاميذه، بما فى ذلك العديد من الأعضاء الأكبر عمرا فى الجامعة، فى جولات ميدانية، سيرا على الأقدام أو فى مركبات، إلى الأماكن البعيدة، أو فى صندل^(٥) منحدرين فى النهر، وكان يحاضر عن النباتات والحيوانات النادرة التى يتم ملاحظتها. وكانت تلك الجولات مثيرة للبهجة.

Premise

Honours

Public

Botany

Barge

(١) فذلكة = مقدمة منطقية

(٢) الدرجات الشرفية = درجات الشرف

(٣) عمومى = شعبى

(٤) علم النبات

(٥) صندل = مركب نهري مسطح ضخم

رغم أنه كان هناك - كما سوف نرى الآن - بعض من الملامح التي من الممكن استغلالها من حياتي في "كامبريدج"، فإن وقتي هناك تم تبديده بشكل محزن. فقد انغمست نتيجة لشغفي بالصيد والقنص، وعندما توقف ذلك، تحول إلى امتطاء الجياد عبر الريف، في مجموعة رياضية، تضمنت بعضا من الرجال اليافعين الخلعاء المنحطين في العقلية. وكنا معتادين في كثير من الأحيان، أن تناول العشاء معا في المساء، رغم أن تلك الولايم كانت تشمل في كثير من الأحيان، رجالاً من الضرب المرتفع، وكنا نقوم في بعض الأحيان بالإفراط في الشراب، مع الغناء المرح ولعب الورق بعد ذلك. وأعلم أنه يتوجب على الشعور بالخزي، من قضاء أيام وليال بهذا الشكل، لكن حيث أن البعض من أصدقائي كانوا غاية في اللطف، وكنا جميعاً نتمتع بأعلى روح معنوية ممكنة، فإنني لا أستطيع التغلب على الاسترجاع لتلك الأوقات بسرور كبير.

يسعدني رغم كل شيء التفكير في أنني تمتعت بالكثير من الأصدقاء ذوي الطباع المختلفة بشكل عريض. فقد كنت شديد الحميمية مع "هويتلي" [8] Whitley، الذي أصبح فيما بعد "مدرسا في الرياضة البحتة" *Senior Wrangler، وكنا معتادين باستمرار على السير معا لمسافات طويلة. وزرع بداخلي تذوق الصور والنقش^(١) الجيد، التي ابتعت بعضها. وكنت أقوم بشكل متكرر، بالذهاب إلى صالة عرض^(٢) "فيتزويليام" Fitzwilliam، ولابد أن ذوقي كان جيدا بشكل معقول، لأنني كنت أشعر بالتأكد بالإعجاب بأفضل التصاوير، التي كنت أتناقش حولها مع أمين المعرض العجوز. وقمت أيضا بالقراءة بانتباه شديد، لكتاب "السير جوشوا رينولد" Sir Joshua Reynold. وقد لازمني هذا الذوق، رغم أنه غير طبيعي بالنسبة لي، لسنوات عديدة، وقامت الكثير من الصور الموجودة في المعرض القومي National Gallery في لندن بمنحى الكثير من السرور، وأثارت بداخلي صور "سباستيان ديل بيومبو" Sebastian del Piombo، الشعور بالتسامي^(٣).

انضمت أيضا إلى مجموعة موسيقية، وأعتقد أن ذلك تم عن طريق صديقي دافى القلب "هيربرت" Herbert [9]، الذى حصل على درجة عالية فى الرياضة البحتة^(١). واكتسبت نتيجة لمزاملتى لهؤلاء الرجال، والإنصات إلى عزفهم، تذوقا قويا للموسيقى، واعتدت فى كثير من الأحيان توقيت مسيرائى، لكى أستمع فى أيام الأسبوع إلى الترتيل^(٢) فى مصلى "كلية الملك" King's college. وكان ذلك يمنحنى سرورا بالغا، إلى درجة أن عمودى الفقارى كان يرتعش فى بعض الأحيان. وأنا متأكد أنه لم يكن هناك أى تصنع أو حتى مجرد محاكاة فى هذا التذوق، لأننى كنت أذهب بمفردى إلى "كلية الملك"، وكنت أقوم فى بعض الأحيان باستئجار الصبية المنشدين^(٣) للغناء فى محل إقامتى. ومع ذلك، فإننى محروم تماما من الأذن الموسيقية، إلى درجة أننى لا أستطيع إدراك أى نشاز، أو التوقيت والهمهمة^(٤) لآلى لحن بشكل صحيح، ومن غير المفهوم كيف تسنى لى على الإطلاق، أن أستمع السرور من الموسيقى.

سرعان ما أدرك أصدقائى الموسيقيون حالتى، وكانوا يقومون فى بعض الأحيان بتسليية أنفسهم، عن طريق جعلى أمر بامتحان، كان يتكون من التأكد من عدد الأنغام^(٥) التى أستطيع التعرف عليها، عند عزفها بشكل أسرع أو أبطأ عن المعتاد. وعندما كان يتم عزف "حفظ الله الملك" God save the king بهذا الشكل، كان ذلك يمثل لغزا عويصا. وكان هناك رجل آخر يتمتع بأذن سيئة، بنفس القدر الموجود لدى تقريبا، ومن الغريب أن يقال، إنه كان يعزف قليلا على الناي^(٦). وقد أحرزت فى إحدى المرات انتصارا عليه، فى واحد من تلك الامتحانات الموسيقية.

-
- | | |
|----------------|---|
| Wrangler | (١) الرياضة البحتة * درجات الشرف فى الرياضيات فى كامبريدج |
| Anthem | (٢) الترتيم = الإنشاد |
| Chorister boys | (٣) الصبية المنشدين |
| Hum | (٤) همهمة |
| Tune | (٥) نغم |
| Flute | (٦) الناي = الفلوت |

لم يكن هناك أى سعى متواصل، اتبعته فى "كامبريدج"، بأى درجة مقارنة من التلهف، أو منحنى هذا القدر الكبير من السرور، مثل القيام بجمع الخنافس^(١). وقد كان ذلك لمجرد الشغف بالجمع، لأننى لم أكن أقوم بتسريحها، ونادرا ما كنت أقوم بمقارنة صفاتها الخارجية، مع الأوصاف المنشورة عنهم، ولكننى تمكنت بشكل ما من تسميتها. وسوف أقوم بتقديم برهان يدل على حماسى، فقد رأيت فى يوم من الأيام - أثناء قيامى بنزع لحاء قديم لشجرة - اثنين من الخنافس النادرة، وقمت بالقبض على واحد منهما فى كل يد، ثم رأيت بعد ذلك خنفسا ثالثا ومن صنف جديد، لم أحتمل أن أفقده، وبناء على ذلك، قمت بوضع الخنفس الذى كنت أقبض عليه فى يدى اليمنى داخل فمى. إلا أنه قام للأسف^(٢)، بلفظ سائل لاذع^(٣) أحرق لسانى، إلى درجة اضطررتى إلى بصق الخنفس، وبذلك فقدته، كما فقدت الثالث كذلك.

كنت ناجحا جدا فى جمع الخنافس، وقمت باختراع طريقتين جديدتين، حيث قمت بتوظيف عامل للقيام أثناء فصل الشتاء، بالكشط^(٤) وإزالة الطحالب^(٥) عن الأشجار القديمة ووضعها فى حقيبة كبيرة، والقيام كذلك بجمع النفايات^(٦) الموجودة عند قيعان الصنادل النهرية^(٧)، التى يتم فيها إحضار البوص^(٨) من المستنقعات^(٩)، وحصلت بهذا الشكل على عينات نادرة جدا. ولم يشعر أحد الشعراء

Beetle	(١) خنفسه
Alas	(٢) للأسف
Acrid	(٣) لاذع
Scrape	(٤) يقشط
Moss off	(٥) إزالة الطحالب
Rubbish	(٦) نفايات
Barges	(٧) صندل نهري
Reed	(٨) بوص
Fen	(٩) مستنقع

على الإطلاق بالبهجة بشكل أكبر عند رؤيته نشر أولى قصائده، عما شعرت به عند رؤيتي في كتاب "ستيفن" Stephen "الرسوم التوضيحية الخاصة بالحشرات البريطانية" Illustrations of British Insects، الكلمات السحرية التالية: "تم القبض عليه بواسطة تشارلس. داروين، المحترم"^(١). وقد تم تقديمي إلى علم الحشرات^(٢) عن طريق ابن عمي "و. داروين فوكس" W. Darwin Fox، وهو رجل بارع وغاية في اللطف، وكان في ذلك الوقت في "كلية المسيح" Christ's College، والذي أصبحت على علاقة حميمة جدا به. وأصبحت فيما بعد ملماً بالموضوع وخرجت لجمع العينات، مع "ألبرت واى" Albert Way التابع لكلية "الثالوث" Trinity، الذى أصبح فى السنوات التالية عالما مشهوراً فى علم الآثار القديمة^(٣)، وذهبت كذلك مع "هـ. ثومبسون" H. Thompson التابع لنفس الكلية، الذى أصبح فيما بعد خبيراً بارزاً فى الزراعة^(٤)، ورئيساً لمجلس إدارة شركة عظيمة للسكك الحديدية، وعضواً فى البرلمان. ويبدو بهذا الشكل، أن الميل للقيام بجمع الخنافس، يمثل مؤشراً ينم على النجاح المستقبلى فى الحياة!.

أنا مندهش من الانطباع الذى لا يمحي - الذى تركته الكثير من الخنافس التى أمسكت بها- على ذهنى. وأستطيع تذكر المظهر الدقيق للبعض المعين من المواقع، والأشجار القديمة، والصفاف التى قمت بالفوز فيها بغنيمة جيدة. وقد كان الـبانغوس الصليبي العظيم^(٥) الجميل كنزاً فى تلك الأيام، ورأيت هنا فى "داون" Down خنفساً يجرى عبر طريق مخصص للسير، وعندما قمت بالتقاطه، أدركت أنه يختلف بشكل بسيط، عن الـبانغوس الصليبي العظيم، وقد تبين أنه خنفس

Esq. = Esquire

Entomology

Archaeology

Agriculturist

Panagaeus crux-major

(١) المحترم

(٢) علم الحشرات

(٣) علم الآثار القديمة

(٤) خبير زراعى

(٥) الـبانغوس الصليبي العظيم •

البانغوص رباعى الرقطات^(١)، الذى لا يتعدى أن يكون ضربا^(٢) أو نوعا^(٣) متقاربا بشكل حميم^(٤)، يختلف عنه بشكل بسيط جدا فى الشكل الكفاى^(٥). ولم أشاهد على الإطلاق فى تلك الأيام، خنفسا ليسينيا^(٦) حيا، الذى لا يختلف بشكل كبير للعين غير المتمرسه، عن الكثير من الخنافس الأرضية^(٧)، لكن أولادى عثروا هنا على إحدى العينات، وقد أدركت على الفور أنه كان جديدا بالنسبة لى، مع أنني لم أتطلع إلى خنفس بريطانى، على مدى العشرين عاما الأخيرة.

لا أذكر إلى الآن أى ظرف قام بالتأثير على مجرى حياتى بأكمله، بشكل أكثر من أى ظرف آخر.. من صداقتى مع "الأستاذ هنسلو" Prof. Henslow. وقد سمعت عنه قبل حضورى إلى "كامبريدج" من أختى، على أساس أنه رجل عالم بكل فرع من فروع العلم، وكنت بناء على ذلك مستعدا لتبجيله. وكان معتادا إقامة "بيت مفتوح" مرة كل أسبوع، حيث كان جميع الطلاب، والبعض من أعضاء الجامعة، المرتبطين بالعلوم، على اللقاء فى المساء. وسرعان ما حصلت عن طريق "فوكس" Fox على دعوة، وداومت على الذهاب هناك بشكل منتظم. وأصبحت قبل مضى وقت طويل، على معرفة شخصية جيدة مع "هنسلو"، وكنت أقوم خلال النصف الأخير من الوقت الذى أمضيته فى "كامبريدج"، بالسير معه لمسافات طويلة فى معظم الأيام، إلى درجة الإطلاق على، عن طريق البعض من الأساتذة^(٨): "الرجل الذى يسير مع هنسلو"، وكانت تتم فى أحيان كثيرة جدا دعوتى فى المساء،

Panagacus quadripunctatus

Variety

Species

Closely allied

Outline

Licinus

Carabidous beetles

Don

(١) خنفس البانغوص رباعى الرقطات *

(٢) ضرب (حى)

(٣) نوع (حى)

(٤) متقارب بشكل حميم

(٥) الشكل الكفاى

(٦) خنفس ليسينيا #

(٧) الخنافس الأرضية (فصيلة)

(٨) أستاذ جامعى

للمشاركة فى وجبته العائليّة. وقد كانت معرفته عظيمة فى النباتيات^(١)، والحشريّات^(٢)، والكيمياء، والمعدنيّات^(٣)، وعلم طبقات الأرض. وكان أقوى ولع لديه، القيام باستنباط استنتاجات من مشاهدات دقيقة مستمرة لوقت طويل. وكان حكمه على الأمور ممتازا، وكان ذهنه بأجمعه متزنا، ولكننى لا أفترض أن من شأن أى شخص القول بأنه كان يحوز الكثير من النبوغ الأصيل. وقد كان متدينا بشكل عميق، ومستقيم الاعتقاد، إلى درجة أنه قال لى فى أحد الأيام، إنه سوف يشعر بالأسى، إذا تمّ التغيير لكلمة واحدة من البنود^(٤) التسعة والثلاثين. وكانت خواصه الأخلاقية مثيرة للإعجاب بكل شكل. وكان خاليا من أى شائبة من خيلاء، أو أى من المشاعر التافهة الأخرى، و لم أشاهد أى إنسان مثله، لا يفكر إلا قليلا، فيما يتعلّق بشخصه أو يتعلّق بأموره. وكان مزاجه هادئا بشكل جيد، مع تمتعه بأخلاق مستميلة وكيسة إلى أقصى حد، ورغم ذلك، وكما شاهدت، فقد كان من الممكن استثارته عن طريق أى تصرف سيء، إلى أقصى درجات السخط والتصرف الحازم.

شاهدت فى إحدى المرات وأنا فى صحبته، فى شوارع " كامبريدج"، منظرا على نفس الدرجة من الترويع، الذى كان من الممكن رؤيته، أثناء الثورة الفرنسيّة. حيث تمّ القبض على اثنين من الصبيّة الخطافين، اللذين تمّ انتزاعهما أثناء أخذهما إلى السجن، من المسئول عن الأمن، بواسطة حشد من أكثر الرجال خشونة، الذين قاموا بسحبهما من أرجلهما على طول الطريق الموحل الحجرى. وكانا مغطيين من الرأس إلى القدم بالوحل، ووجهاهما ينزفان، إما نتيجة لركلهما وإما من الأحجار، وكانا يبدوان مثل الجثث الهامدة، لكن الحشد كان كثيفا جدا، إلى درجة أننى لم أحظ

إلا بلمحات عابرة، من هذين الكائنين البائسين. ولم أشاهد في حياتي على الإطلاق، مثل هذا الحق مرسوما على وجه إنسان، مثل ذلك الذى بدا على "هنسلو"، نتيجة لهذا المنظر المروع. وقد حاول بشكل متكرر اختراق هذه الجمهرة، لكن الأمر كان مستحيلا. وعندها أسرع بالذهاب إلى عمدة المدينة^(١)، طالبا منى ألا ألحق به، لكن أن أحاول إحضار عدد أكبر من رجال الشرطة. ولقد نسيت هذه الحادثة، عدا أنه تم إيداع الرجلين فى السجن، دون أن يتم قتلهما.

كانت النزعة الخيرية^(٢) الموجودة لدى "هنسلو" غير محدودة، وذلك ما قام بإثباته عن طريق الكثير من المشروعات الممتازة، التى قام بها من أجل الفقراء التابعين لأبرشيته^(٣) عندما قام فى السنوات التالية، باتخاذ مقام له فى "ليتشم" Litcham. وكانت علاقتى الحميمة مع رجل على هذه الشاكلة جديرة بأن تكون ذات فائدة لا يمكن تقديرها. ولا أستطيع مقاومة ذكر إحدى الحوادث التافهة، التى توضح مراعاته الكريمة لظروف الآخرين. فقد رأيت أثناء قيامى بفحص البعض من حبوب اللقاح^(٤) على سطح مبلل، الأنابيب بارزة وأسرعت على الفور لإبلاغه اكتشافى المدهش. ولا أظن أن أى أستاذ نباتيات آخر، كان فى استطاعته منع نفسه من الضحك، لدخولى بمثل هذه العجالة لتوصيل مثل هذه المعلومة. لكنه اتفق معى على مدى التشويق الذى كانت عليه هذه الظاهرة، وقام بشرح معناها، لكنه جعلنى أفهم بوضوح، كيف أنها معلومة جدا، وتركته بهذا الشكل، دون أى جرح بسيط لمشاعرى، لكننى كنت سعيدا لأنى اكتشفت بنفسى حقيقة، على مثل هذا القدر من الجدارة بالملاحظة، لكننى صممت على ألا أكون على مثل هذه الدرجة من التسرع مرة أخرى، عند القيام بالإبلاغ عن اكتشافاتى.

Mayor

Benevolence

Parishioner

Pollen-grains

(١) عمدة المدينة

(٢) النزعة الخيرية

(٣) التابع للأبرشية

(٤) حبوب اللقاح

كان "الدكتور هويويل" Dr. Whewell واحدا من الكبار في السن والمحترمين، الذين يقومون بزيارة "هنسلو" أحيانا، وسرت معه في مناسبات عديدة، إلى المنزل ليلا. وكان التالي "السر ج. ماكينتوش"، في كونه أفضل المحادثين حول المواضيع الخطيرة، الذين استمعت إليهم على الإطلاق. وكثيرا ما كان "ليونارد جينينز" Leonard Jenyns [10]، الذي قام فيما بعد بنشر بعض المقالات العلمية الجيدة في التاريخ الطبيعي [11]، يمكث مع "هنسلو"، الذي كان نسيبا^(١) له. وقمت بزيارته في منزله الكنسي^(٢)، الموجود على حدود المستنقعات (سوافهام بولبك" Swaffham Bulbeck)، وحظيت معه بالكثير من المسيرات والمحادثات الجيدة، حول التاريخ الطبيعي. وأصبحت على معرفة جيدة مع العديد من الرجال الآخرين الأكبر منى سنا، الذين لم يكن لديهم أى اهتمام كبير بالعلم، لكنهم كانوا أصدقاء لـ "هنسلو". وكان أحدهم رجلا إسكتلنديا، وهو أخو "السير" ألكزاندر رامسى" Sir Alexander Ramsay، ويقوم بالتدريس^(٣) في "كلية عيسى" Jesus College، وكان رجلا مبهجا، ولكنه لم يظل حيا لمدة طويلة. وكان الآخر "السيد داويس" Mr. Dawes الذى أصبح فيما بعد عميدا لـ "هيرفورد" Hereford، والمشهور لنجاحه في تعليم الفقراء. وكان هؤلاء الرجال وغيرهم من نفس المستوى، بالإضافة إلى "هنسلو"، معادين على القيام برحلات بعيدة داخل الريف، التى كان من المسموح لى اللحاق بها، وكانت تلك الرحلات سائغة إلى أقصى حد.

أظن بالتطلع إلى الوراء أنه كان هناك شيء موجود بداخلى، مرتفع بعض الشيء عن الضرب الشائع من الشباب، وإلا لكان من شأن الرجال المذكورين أعلاه، الأكبر منى سنا بهذا القدر الكبير، والأعلى فى المراكز التعليمية، ألا يسمحوا لى على الإطلاق بالتعامل معهم. ولم أكن على دراية بالتأكيد بأى تفوق من

Brother-in-law

Parsonage

Tutor

(١) نسيب

(٢) منزل كنسى = بيت الكاهن

(٣) مدرس = يدرس

هذا القبيل، وأتذكر واحدا من أصدقائي الرياضيين، وهو "تيرنر" Turner، الذى شاهدنى أثناء انشغالى بالخنافس، وقال إن من شأنى أن أصبح فى يوم ما زميلا فى الجمعية الملكية Royal Society، وقد بدت لى هذه الفكرة على أساس أنها منافية للمعقول.

قرأت فى غضون السنة الأخيرة لى فى "كامبريدج"، بعناية واهتمام بالغين، كتاب "هامبولدت" Humboldt بعنوان "رواية شخصية" Personal Narrative. وقد قام هذا الكتاب، وكتاب "السير هيرتشل" Sir Herschel بعنوان "مقدمة إلى دراسة الفلسفة الطبيعية" Introduction to the study of Natural Philosophy، بإثارة حماس متقد بداخلى، للإضافة ولو بأى مساهمة متواضعة، إلى بنیان العلوم الطبيعية النبيل. ولم يَمِ التأثير على عن طريق أى واحد أو حتى دزينة من الكتب الأخرى، بنفس القدر الكبير، الذى قام به هذان الكتابان. ولقد قمت بالنقل لعدد من مقاطع "هامبولدت" الطويلة، التى تدور حول "تينيريف" Teneriffe، وقمت بقراءتها بصوت مرتفع، أثناء واحدة من الرحلات المذكورة أعلاه، وأعتقد أن ذلك كان أمام "هينسلو"، و"رامسى"، و"دايس"، لأننى تحدثت فى مناسبة سابقة عن مفاخر "تينيريف"، وأعلن بعض أعضاء المجموعة، أن من شأنهم محاولة الذهاب إلى هناك، لكننى أعتقد أنهم كانوا نصف جادين فقط. إلا أننى قمت بجدية تامة، بالتعرف على تاجر موجود فى "لندن"، للاستعلام عن المراكب، ولكن تم القضاء على هذا المخطط بالطبع، عن طريق رحلة السفينة "البجل" البحرية.

تخليت عن عطلتى الصيفية من أجل القيام بجمع الخنافس، والبعض من القراءة، والجولات قصيرة المدى. وكان وقتى فى الخريف مكرسا بأكمله للصيد بالبنادق، بشكل رئيسى فى "وودهاوس" و"مير"، وفى بعض الأحيان مع "إيتون" اليافع سليل عائلة "إيتون" Eyton. وكانت السنوات الثلاث الكاملة التى قضيتها فى "كامبريدج"، فى مجملها أكثر الفترات بهجة فى حياتى السعيدة كلها، حيث كنت أستمع فى ذلك الحين، بصحة ممتازة، وكنت أمتع دائما تقريبا، بمعنويات مرتفعة.

اضطرت نتيجة لحضوري في أول الأمر إلى "كامبريدج" في عيد الميلاد، إلى البقاء لفترتين دراسيتين، بعد اجتياز الامتحان النهائي، وذلك في بداية عام ١٨٣١، وقام "هنسلو" عندئذ بإقناعي بالبدء في دراسة علم طبقات الأرض. وقمت بناء على ذلك، عند عودتي إلى "شر وبشير" بفحص قطاعات^(١)، وتلوين خريطة الأجزاء المحيط بـ "شروزبرى". وأراد "الأستاذ سيد جويك" Prof. Sedgwick القيام بزيارة "شمال ويلز" في بداية شهر أغسطس، لاستكمال دراساته الجيولوجية الشهيرة، المتعلقة بالصخور الأكثر قدما، وطلب منه "هنسلو" السماح لي بمصاحبته [12]. وبناء عليه، فإنه حضر وقضى الليلة في منزل والدي.

قامت محادثة قصيرة معه في غضون هذا المساء، بترك انطباع قوى على ذهني. وأخبرني أحد العمال أثناء فحص حفرة قديمة مليئة بالحصى^(٢) بالقرب من "شروزبرى"، أنه عثر فيها على قوقعة^(٣) حلزونية^(٤) استوائية^(٥) ضخمة متهرئة، مثل التي من الممكن مشاهدتها على رفوف مستودعات^(٦) البيوت الريفية، وحيث إنه رفض بيع القوقعة، اقتنعت بأنه عثر عليها بالفعل في الحفرة. وعندما أخبرت "سيدجويك" بهذه القوقعة، قال على الفور (ولا شك في أن ذلك كان بشكل حقيقي): لا بد أن شخصا تخلص منها بإلقائها في الحفرة، لكنه أضاف بعد ذلك، لو كانت مطمورة حقا هناك، فمن شأن ذلك أن يكون أكبر محنة لعلم طبقات الأرض، لأن من شأن ذلك قلب موازين كل ما نعرفه عن الرواسب^(٧) السطحية الموجودة بأقطار

Section

Gravel-pit

Shell

Volute

Tropical

Chimney-piece

Deposits

(١) قطاع

(٢) حفرة مليئة بالحصى *

(٣) قوقعة

(٤) حلزونية

(٥) إستوائي

(٦) رف المستود

(٧) رواسب

الأرض المتوسطة Midland. فتلك القيعان^(١) الحصوية تابعة في واقع الأمر، إلى العصر الجليدي^(٢)، ولقد عثرت فيها في السنوات التالية، على قواقع قطبية^(٣) محطمة. لكنني كنت في ذلك الوقت مذهولاً بشكل تام، من أن "سيد جويك" لم يشعر بالابتهاج من حقيقة مدهشة، مثل العثور على قوقعة استوائية، قريبة من السطح، في وسط إنجلترا. ولم يحدث قبل ذلك أى شيء على الإطلاق، من شأنه أن يجعلني أتأكد بشكل تام، رغم قراءتي العديد من الكتب العلمية، من أن العلم يتألف من تجميع للحقائق، حتى يمكن بهذا الشكل، استخلاص القوانين العامة أو الاستنتاجات منها.

انطلقنا في الصباح التالي إلى "لانجولين" Llangollen، و"كونواي" Conway، و"بانجور" Bangor، و"كابل كوريج" Capel Curig. وكانت لهذه الجولة فائدة مؤكدة بالنسبة لى، في تعليمي بشكل قليل، لكيفية القيام بتحديد الطبقات الأرضية، الخاصة بأى قطر. وكان "سيد جويك" يقوم بإرسالى في كثير من الأحيان، في خط مواز لخطه، ويكلفني بإحضار عينات من الصخور، وتحديد الطبقات الأرضية على خريطة. وليس لدى أى ظل من الشك، في أنه قام بذلك ابتغاء صالحى، لأننى كنت غاية في الجهل بدرجة لا تمكننى من تقديم أى مساعدة له. وتعرضت في هذه الجولة لحدث لافت للنظر يوضح سهولة الإغفال للظواهر، مهما كانت واضحة، قبل أن تتم ملاحظاتها بواسطة أى شخص آخر. حيث قضينا ساعات طويلة في "كوم إيدوال" Cwm Idwal، قائمين بفحص جميع الصخور بعناية تامة، لأن "سيد جويك" كان متشوقاً للعثور فيها على مستحاثات^(٤)، ولكن لم ير أى منا أى أثر ينم عن الظواهر الثلجية المدهشة، الموجودة في كل مكان حولنا، فإننا لم نلاحظ الصخور المثلومة^(٥)

Beds	(١) قيعان
Glacial period	(٢) العصر الجليدي
Arctic	(٣) قطبي
Fossils	(٤) مستحاثات = أحافير
Scored	(٥) مثلوم = محزوز = مخدوش

بشكل واضح، والجلاميد الصخرية الجائمة^(١)، والركام^(٢) الجانبي^(٣) والطرفي^(٤) المجروف. إلا أن تلك الظواهر كانت واضحة جداً، الى درجة أنني أعلنت في مقالة علمية، تم نشرها بعد سنوات عديدة في "المجلة الفلسفية" Philosophical Magazine [13]، أن المنزل المحترق تماماً لن يبوح بقصته بشكل أكثر وضوحاً، عما قام هذا الوادى بفعله. ولو كان هذا الوادى مازال مملوءاً بالتلوج، لكان من شأن تلك الظواهر أن تكون أقل وضوحاً، مما هي عليه الآن.

تركت "سيدجويك"، عند "كابل كوريج" وانطلقت في خط مستقيم بواسطة بوصلة^(٥) وخريطة، عبر الجبال إلى "بارموث" Barmouth، ولم أتبع على الإطلاق أى درب^(٦) إلا إذا تصادف وجوده فى مسارى. ووصلت بهذا الشكل إلى البعض من الأماكن الوحشية الغريبة، واستمتعت بشكل كبير بهذه الطريقة للترحال. وقمت بزيارة "بارموث"، لرؤية بعض الأصدقاء من أيام "كامبريدج"، الذين كانوا يقومون بالاطلاع هناك، ثم عدت بعد ذلك إلى "شروزبرى" وإلى "مير"، للصيد بالبنادق، حيث كان من شأنى أن أظن فى ذلك الوقت أنني أصبت بالجنون، للتخلى عن الأيام الأولى من إطلاق النار على طيور الحجل^(٧)، من أجل علم طبقات الأرض، أو أى علم آخر.

Perched

Morain

Lateral

Terminal

Compass

Track

Partridge

(١) جاثم

(٢) ركام : تراب وحجارة مجروفة بنهر جليدى

(٣) جانبي

(٤) طرفي

(٥) بوصلة = بيت الإبرة = إبرة الملاحين

(٦) درب

(٧) طائر الحجل



لوحة (١٦)

جوشوا ويدجورد - خاله

رحلة "البيجل"

من ٢٧ ديسمبر ١٨٣١ إلى ٢ أكتوبر ١٨٣٦

وجدت عند عودتي إلى المنزل بعد جولتي الجيولوجية القصيرة في شمال ويلز، خطابا صادرا من "هنسلو"، ينبئني بأن "القبطان فيتز-روى" Captain Fitz-Roy مستعد للتنازل عن جزء من قمرته^(١) الخاصة لرجل يافع، يتطوع للذهاب معه بدون أجر مدفوع، كمارس للعلوم الطبيعية^(٢)، في رحلة^(٣) السفينة البيجل^(٤) البحرية. وأعتقد أنني قمت بتقديم تقرير في دفتر يومياتي المكتوبة بخط يدي^(٥)، عن جميع الملابس التي حدثت في ذلك الوقت، وسوف أقتصر هنا على القول، بأنني كنت متلهفا على الفور، لقبول هذا العرض، لكن أبي اعترض بشدة، مضيفا لحسن حظي بالكلمات: "إذا كان بإمكانك العثور على أي رجل ذي حصافة، من الممكن أن ينصحك بالذهاب، فإنني سوف أمنحك موافقتي". وقمت بناء على ذلك بتحرير خطاب في ذلك المساء برفض العرض. ثم ذهبت في الصباح التالي إلى "مير"، لأكون مستعدا للأول من سبتمبر، وأثناء قيامي بإطلاق النار، أرسل خالي [14] في طلبي، وعرض أن يصحبني في عربته إلى "شروزبري" ليتبادل الحديث مع والدي، لأن خالي كان يعتقد، أنه سوف يكون تصرفا حكيما من جانبي قبول العرض، وحيث أن أبي كان يعتبره دائما على أساس أنه الرجل الأكثر حكمة في

Cabin

(١) قمره = حجرة على ظهر سفينة

Naturalist

(٢) ممارس للعلوم الطبيعية

Voyage

(٣) رحلة (بحرية)

Beagle

(٤) اسم السفينة = نوع من كلاب الصيد قصير القوائم ناعم الوبر

MS. Journal

(٥) دفتر يوميات مكتوب بخط اليد

العالم، فقد وافق على الفور، بأرق طريقة ممكنة. لقد كنت مسرفاً^(١) بعض الشيء في فترة "كامبريدج"، ولذا قلت لوالدي لكي أواسيه^(٢) من شأنى أن أكون شيطانا بارعا، لإنفاق ما هو أكثر من مخصصاتى المالية، وأنا على متن السفينة "البيجل"، لكنه أجابنى بابتسامة: "ولكنهم أخبرونى أنك بارع جدا".

انطلقت فى اليوم التالى إلى "كامبريدج" لرؤية "هنسلو"، ومن هناك إلى "لندن" لمقابلة "فيتز روى"، وسرعان ما تم ترتيب جميع الأمور. وسمعت فيما بعد، عندما أصبحت على علاقة حميمة جداً مع "فيتز روى"، أننى كنت فى خطر كبير جدا لأن يتم رفضى، بناء على شكل أنفى! حيث إنه كان من مريدى^(٣) "لافتير" Lavater، الغيورين^(٤) وكان مقتنعا بأن فى استطاعته الحكم على شخصية أى رجل، عن طريق الخطوط الكفافية لملامحه، وقد ساوره الشك فيما إذا كان من الممكن لشخص له أنفى، أن يكون حائزا نشاطاً وتصميماً كافيين لهذه الرحلة. لكننى أعتقد أنه أصبح فيما بعد مقتنعا بشكل كاف جدا، بأن أنفى تحدث بشكل خاطئ.

كانت شخصية "فيتز روى" فريدة^(٥)، وتتمتع بمميزات كثيرة غاية فى النبيل: فإنه كان متفانيا فى واجباته، كريماً إلى حد النزق، جسوراً، حاسماً^(٦)، نشيطاً بشكل لا يقهر^(٧)، وصديقاً غيوراً لكل من هم تحت إمرته. وكان من شأنه تحمل أى نوعية من المشقة، لمساعدة من يعتقد أنهم يستحقون المساعدة. وكان رجلاً وسيماً، ويبدو كرجل نبيل بشكل لافت للنظر، متمتع بأخلاق مراعية للأصول بشكل عال،

Extravagant

(١) مسرف = مفرط

Console

(٢) يواسى

Disciple

(٣) مريد

Ardent

(٤) غيور = متحمس = متوهج

Singular

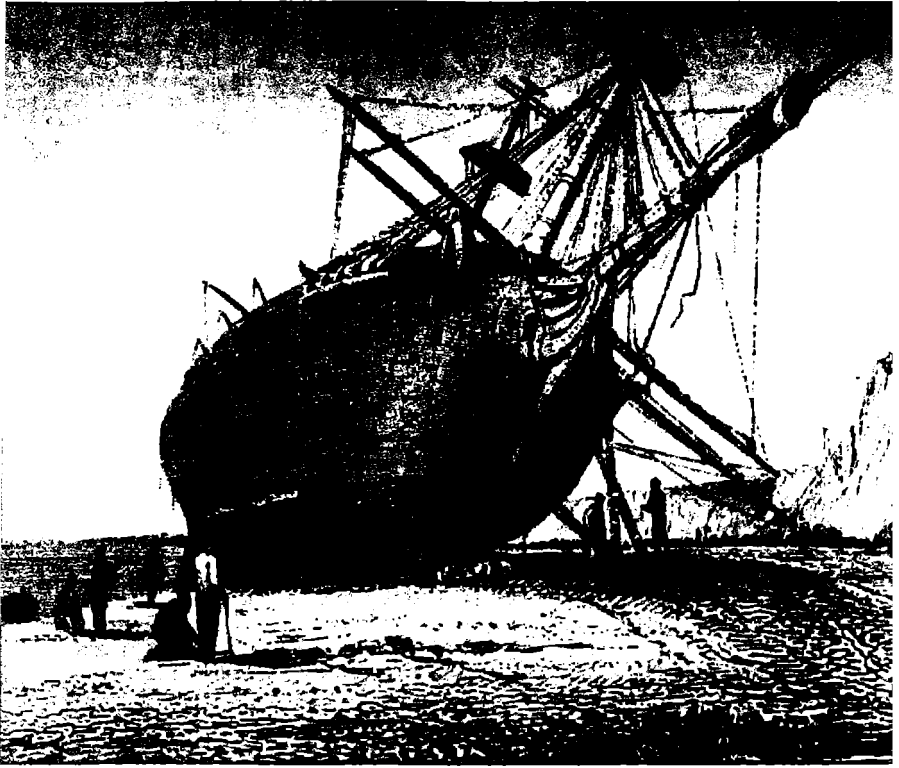
(٥) فريد

Determined

(٦) حاسم

Indomitable

(٧) لا يقهر



لوحة (١٧)
السفينة "البيجل" على الشاطئ (للصيانة)

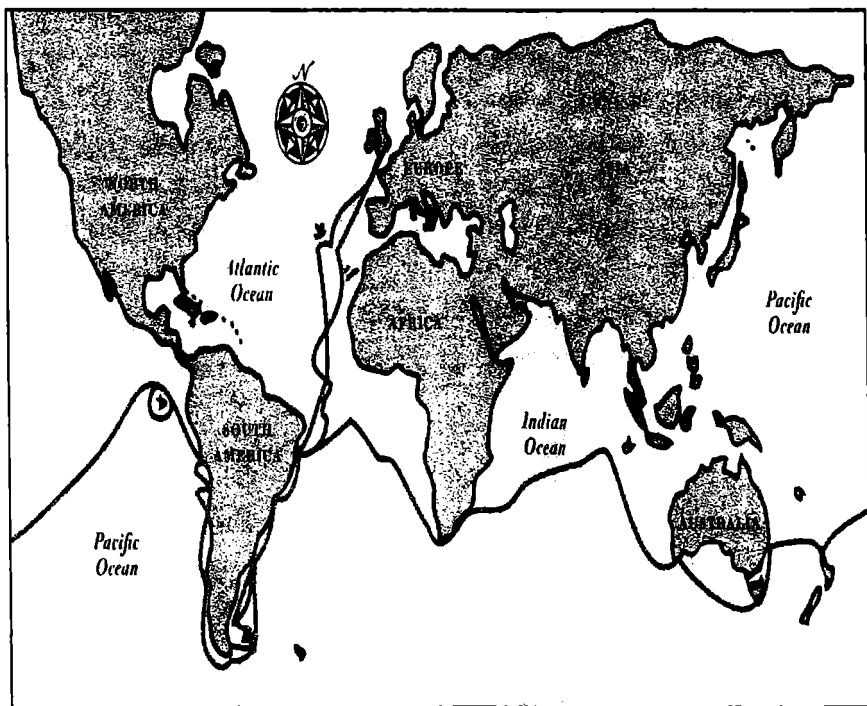
تمائل خاله^(١)، "اللورد كاستليري" Lord Castlereagh المشهور، كما أخبرني الوزير المفوض^(٢) الموجود في "ريو" Rio. ولابد أنه ورث أيضا الكثير مما يتعلق بمظهره، عن الملك "تشارلس الثاني" Charles II، لأن "الدكتور واليتش" Dr. Wallich أعطانى مجموعة من الصور الضوئية التى قام بالتقاطها، وصدمت من التماثل الموجود بواحدة منها مع "فيتزروى"، وعند ما تطلعت إلى الاسم وجدت أنه "ش. إ. سوبيسكى ستوارت" Ch. E. Sobieski Stuart، "كونت ألبانى" Count d'Albanie، سليل نفس الملك.

كان مزاج "فيتزروى" نعيسا إلى أقصى درجة، وكان فى العادة أسوأ ما يكون فى الصباح الباكر، وكان فى استطاعته عن طريق حدة إبصاره النقاط أى شىء خاطئ موجود فى السفينة، وكان عندئذ عديم الرحمة فى ملامته. ورغم أنه كان غاية فى الرقة معى، فإنه كان رجلا من الصعب بشكل كبير التعايش معه بعلاقات حميمة، وهو الشىء الذى كان من شأنه أن ينتج بالضرورة، عن التواجد بمفردنا فى نفس القمرة. وقد حدثت بيننا كثير من المشاجرات، وعلى سبيل المثال، فإنه كان فى وقت مبكر من الرحلة عند "باهيا" Bahia فى "البرازيل" Brazil، يدافع وبشيد بالاسترقاق، وهو الشىء الذى أمقته، وأخبرنى أنه قام بزيارة أحد الملاك الكبار للعبيد، الذى قام باستدعاء عدد كبير من عبيده، وسألهم ما إذا كانوا سعداء، وما إذا كانوا يودون أن يصبحوا أحرارا، فأجاب الجميع بـ "لا". وعندئذ سألته- وربما كان ذلك بسخرية- عما إذا كان قد دار بخلده، إن كانت إجابة العبيد فى وجود سيدهم تساوى أى شىء؟. وقام ذلك بإثارة غضبه بدرجة كبيرة، وقال بما أننى أشك فى كلمته، فلن نستطيع أن نتعايش معاً أكثر من ذلك. وقد اعتقدت أنه سوف يجبرنى على مغادرة السفينة، ولكن بمجرد انتشار الخبر، وهو الشىء الذى حدث بسرعة، لأن القبطان أرسل فى طلب المساعد الأول، لتسكين غضبه بالإساءة

إلى، تمت ترضية خاطري بشكل عميق، عندما تلقيت دعوة من جميع ضباط غرفة المدفعية، لكي أقيم معهم. ولكن بعد مرور ساعات قليلة، قام "فيتزروي" بالكشف عن شهامته المعتادة، بأن أرسل إلى ضابطا يحمل اعتذاره، و رجاءه بالاستمرار في المعيشة معه. لقد كانت شخصيته من نواح عديدة، واحدة من أكثر الشخصيات التي عرفتها نبلا.

كانت رحلة "البيجل" إلى مدى بعيد، أكبر حدث مهم في حياتي، وقد قامت بتحديد مسار حياتي بأكمله، ومع ذلك فإنها اعتمدت على مصادفات غاية في الضالة، مثل قيام خالي باصطحابي في عربته، لمسافة ثلاثين ميلا إلى "شروزبرى"، وهو الشيء الذي من شأن القليل من الأخوال والأعمام القيام به، وعلى شيء غاية في التفاهة، مثل شكل أنفي. ولقد شعرت دائما، بأنى مدين لهذه الرحلة، بأول تدريب أو تنقيف حقيقي لذهني، فقد تمت قيادتي إلى الانتباه بشكل حميم، إلى العديد من فروع التاريخ الطبيعي، وتم بهذا الشكل تحسين قدراتي على الملاحظة، رغم أنها كانت دائما ظاهرة بشكل واضح.

كان فحص طبقات الأرض، في جميع الأماكن التي تمت زيارتها، أكثر أهمية بشكل كبير، حيث كان الترتن ووزن الأمور^(١) يلعب هنا دورا. فقد لا يبدو عند الفحص الأول لأى منطقة جديدة، أن هناك شيئا أكثر بعثا للحنوط، عن الفوضى التي تنتثر بها الصخور، لكن التسجيل لترتيب الطبقات، وطبيعة الصخور والمستحاثات، في مواقع متعددة، يؤدي دائما إلى الاستنتاج والتنبؤ بما سوف يتم العثور عليه في موقع آخر، وسرعان ما يسطع الضوء على المنطقة، ويصبح تركيب كل الأشياء قابلا للفهم بشكل أو بآخر. وقد اصطحبت معي الجزء الأول من كتاب "لايل" Lyell، بعنوان "أساسيات علم طبقات الأرض" Principles of Geology، الذي قمت بدراسته باهتمام شديد، وأفادني الكتاب إلى أقصى حد



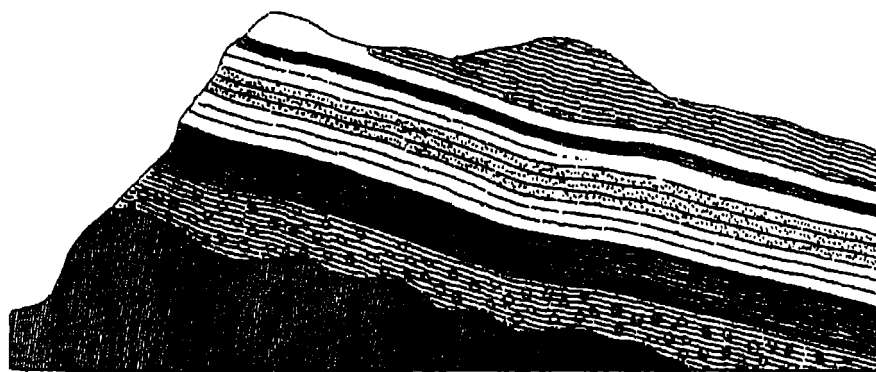
لوحة (١٨)

خط إبحار السفينة "البيجل" حول العالم (١٨٣١ إلى ١٨٣٦)

بطرق كثيرة. وقد قام الموقع الأول الذى قمت بفحصه على الإطلاق، وهو بالتحديد "سانت جاجو" St. Jago، الموجود فى "جزر الرأس الأخضر" Cape de Verde Islands، بالكشف لى بوضوح، عن التفوق المدهش لطريقة "لايل"، فى معالجة علم طبقات الأرض، بالمقارنة بكتب أى مؤلف آخر كانت معى، أو قمت بقراءتها فيما بعد.

كانت الأشياء الأخرى التى تشغلنى تتمثل فى جمع الحيوانات من جميع الطبقات، ووصفها باختصار، والقيام بالتشريح بشكل استقرابى، للكثير من الحيوانات البحرية، لكن ثبت نتيجة لعدم قدرتى على الرسم، ونتيجة لعدم إلمامى بشكل كاف بالمعلومات التشريحية، أن قنرا كبيرا من المذكرات التى دونتها أثناء الرحلة، كان غير مفيد على الإطلاق تقريبا. وفقدت بهذا الشكل الكثير من الوقت، باستثناء ذلك الذى قضيته فى اكتساب بعض المعلومات عن الحيوانات القشرية^(١) وقد أفادنى ذلك كثيرا فى السنوات القادمة، عندما توليت القيام بدراسة منفردة^(٢) عن الحيوانات هداية الأقدام^(٣).

كنت أقوم بتدوين يومياتى^(٤)، خلال جزء من اليوم، وعانيت كثيرا من محاولات الوصف بعناية وبشكل حى، لجميع ما قد شاهدته، لكن هذا كان تدريبا جيدا. وكانت يومياتى مفيدة أيضا، فى جزء منها، كخطابات لموطنى، وكان يتم إرسال أجزاء منها إلى إنجلترا، كلما كانت هناك فرصة لذلك.



لوحة (١٩)

الرافة الأرضية البيضاء - "سانت چاچو"

جزر الرأس الأخضر

لم تكن الدراسات المتنوعة المذكورة أعلاه، رغم كل شيء ذات أهمية، بالمقارنة مع عادة المثابرة^(١) النشيطة والانتباه المركز، لأى شيء كنت منغمسا فيه، وهى الأشياء التى اكتسبتها فى ذلك الحين. وكان يتم توجيه كل شيء يدور حول ما أفكر فيه أو أقرأ عنه لى ينصب بشكل مباشر، على ما رأيته، أو كان من المنتظر أن أراه، وقد استمر هذا السلوك ذهنى، طوال سنوات الرحلة الخمس. وأشعر بالتأكيد أن هذا التدريب، هو الذى جعلنى قادرا على القيام بأى شيء، أنجزته فى العلم.

أستطيع بالالتفات إلى الوراء إدراك كيف طغى حىي للعلم بالتدريج على كل ولع آخر. فقد استطاع شغفى القديم بالصيد بالبندق فى غصون العامين الأولين، الاستمرار فى البقاء بنفس قوته، وقد قمت بإطلاق النار بنفسى، على جميع الطيور والحيوانات الضرورية لمجموعتى، لكنى بدأت بالتدريج فى التخلّى عن بندقيتى بشكل أكبر فأكبر، وأخيرا تخلّيت عنها تماما لخادى، حيث تعارضت الرماية مع عملى، وبشكل أكثر خصوصية، مع القيام بالإعداد للتركيب الجيولوجى لأى منطقة. ولقد اكتشفت - ولو بشكل غير واع وغير محسوس - أن السرور المستمد من المراقبة والترزين، كان أعلى بكثير، من ذلك الخاص بالمهارة فى الصيد. ومن المحتمل أن ذهنى أصبح أكثر تطورا، من خلال الجهود العلمية التى قمت بها فى غصون الرحلة، وقد اتضح ذلك عن طريق تعليق قام به والدى، الذى كان أقوى مراقب حاد شاهدته على الإطلاق، وذو نزعة^(٢) شكوكية^(٣)، وبعيدا عن الإيمان بعلم الفراسة الدماغية، عند رؤيتى لأول مرة بعد الرحلة، حيث استدار إلى أخواتى، وهتف "يا للعجب، لقد تغير شكل رأسه".

Industry

(١) مثابرة

Disposition

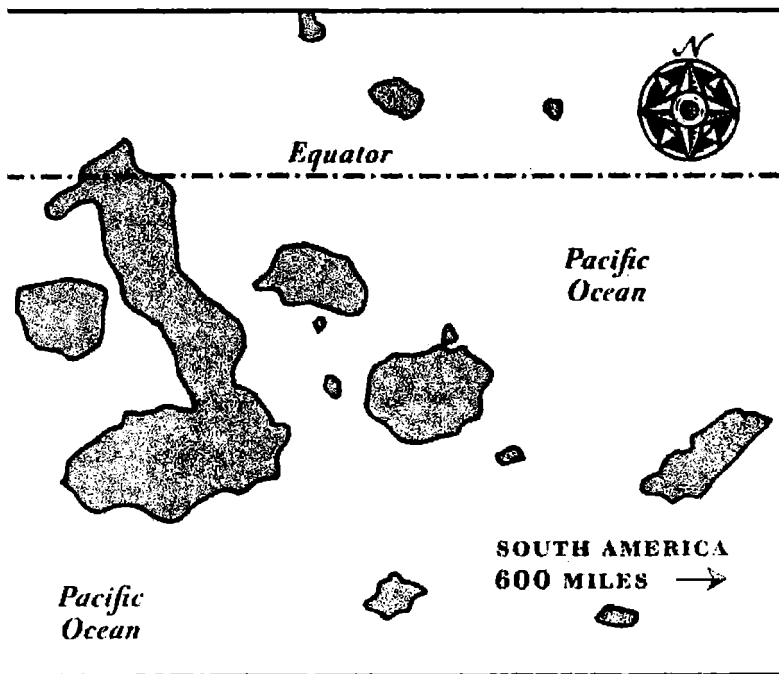
(٢) نزعة

Sceptical = Skeptical

(٣) شكوى

دعنا نعد إلى الرحلة: فقد قمت في الحادى عشر من سبتمبر (١٨٣١)، بزيارة خاطفة مع "فيتزروى"، إلى السفينة البيجل الراسية في "بليموث" Plymouth. وبعدها إلى "شروزبرى"، لوداع أبى وأخواتى، توقعا لفراق طويل المدة. وقمت في الرابع والعشرين من أكتوبر، باتخاذ مستقر لى في "بليموث"، وظللت هناك إلى السابع والعشرين من ديسمبر، عندما غادرت البيجل بشكل نهائى شواطئ إنجلترا، فى دورتها البحرية حول العالم. ولقد قمنا بمحاولتين مبكرتين للإقلاع، لكن كنا نضطر للعودة فى كل مرة، بسبب العواصف العاتية. وكان هذان الشهران اللذان تم قضاؤهما فى "بليموث"، من أنعس الأيام التى أمضيتهما على الإطلاق، رغم قيامى بشغل نفسى قدر المستطاع. وكنت منقبض النفس، نتيجة لتفكيرى فى مبارحة كل عائلتى وأصدقائى لمدة بهذا الطول، وبدا لى الجو كئيبا بشكل لا يمكن التعبير عنه. وأصبحت أعانى من متاعب فى شكل خفقان^(١) وألم فى منطقة القلب، وكنت مقتنعا مثل الكثير من الياقعين الجهلة، وخاصة واحد بمعلومات سطحية عن المعارف الطبية، بأننى أعانى من مرض قلبى. ورغم ذلك لم أقم باستشارة طبيب، لأننى كنت أتوقع سماع القرار، بأننى غير صالح للرحلة، وكنت قد وطلدت العزم على الذهاب، رغم جميع المخاطر.

لست محتاجا فى هذا المكان للإشارة، إلى أحداث الرحلة - من حيث أين ذهبنا وماذا فعلنا - لأننى قمت بتقديم تقرير كامل بشكل كاف، فى يومياتها التى تم نشرها. ولكن ما زالت عظمة النباتات الاستوائية، تقوم بالإشراق أمام ذهنى فى الوقت الحالى، بشكل أكثر حيوية من أى شىء آخر، رغم أن الإحساس بالتسامى، الذى قامت صحارى "پاتاгонيا" Patagonia العظيمة، وجبال "أرض النار" Tierra del Fuego المكسوة بالغابات باستثارتته داخلى، قد قام بترك انطباع لا يحى من ذهنى. وكانت الرؤية لإنسان همجى^(٢) موجود فى أرضه الأصلية،



لوحة (٢٠)
خريطة "أرخييل جالا پاجوس"

حدثاً لا يمكن نسيانه على الإطلاق. وكانت جولاتي العديدة على صهوات الجياد خلال الأقطار الوحشية، أو فى القوارب، التى استغرق بعضها أسابيع عديدة، مشوقة بشكل عميق، وكان من الصعب اعتبار انعدام الراحة والتعرض لدرجة من الخطر التى كانت تشوبها، فى ذلك الوقت، على أساس أنها عوائق، وقد تم بالطبع نسيان ذلك تماماً فيما بعد. وأقوم أحياناً بتقليب الفكر بارتياح شديد، على بعض الأعمال العلمية التى أنجزتها، مثل حل مشكلة الجزر المرجانية^(١)، وتحديد التركيب الجيولوجى لكل جزيرة، وعلى سبيل المثال، جزيرة "سانت هيلينا" St. Helena. ولا يمكن المرور مر الكرام، على الاكتشاف للروابط الاستثنائية الخاصة بالحيوانات والنباتات التى تقطن جزر "أرخبيل جالاپاجوس" Galapagos Archipelago، العديدة وعلاقة جميعها مع القاطنين لأمريكا الجنوبية.

لقد بذلت أقصى جهدى بقدر استطاعتي الحكم على نفسى، فى العمل أثناء الرحلة، نتيجة لمجرد الشعور بالسرور، المستمد من البحث، ونتيجة للرغبة فى إضافة القليل من الحقائق، إلى المجمال العظيم من حقائق العلوم الطبيعية. لكننى كنت أطمح أيضاً، إلى شغل مكانة عادلة ضمن الرجال العلميين - ولا أستطيع الإدلاء برأى فيما يتعلق، بهل كنت طموحاً أكثر أم أقل، من معظم الزملاء العاملين فى نفس المجال.

كانت طبقات "سانت جاجو" St. Jago الأرضية، لافتة للنظر بشكل كبير، رغم بساطتها، فقد تدفق فيما مضى، مجرى من الحمم البركانية^(٢)، فوق قاع البحر، المكون من قواقع ومرجانيات^(٣) حديثة التكوين، والتى تم خبزها^(٤) إلى صخر أبيض صلب. وارتفعت الجزيرة منذ ذلك الحين بأكملها إلى أعلى. لكن

Coral islan

Lava

Corals

Bake

(١) جزيرة مرجانية

(٢) حمم بركانية

(٣) مرجانيات

(٤) يخبز

كشفت لى خط الصخر الأبيض، عن حقيقة جديدة ومهمة، وهى بالتحديد، أنه قد كان هناك فيما بعد، هبوط^(١) حول فوهات البراكين^(٢)، التى كانت فى نشاط دائم منذ ذلك الحين، وقامت بصب المزيد من الحمم. وقد استقر فى روعى لأول مرة عندئذ احتمال قيامى بتأليف كتاب عن علم الطبقات الأرضية للأقطار المختلفة التى نزورها، وجعلنى ذلك أشعر بالارتجاف من فرط السرور. وقد كانت تلك لحظة لا تنسى بالنسبة لى، ومازلت أستطيع الاستدعاء لذهنى بكل وضوح، الجرف^(٣) المنخفض المكون من الحمم البركانية، الذى كنت أستريح تحته، مع الشمس المتوقدة الحرارة، والقليل من النباتات الصحراوية الغربية النامية بالقرب منى، والمرجانيات الحية الموجودة فى البرك، التى تركها الجزر تحت أقدامى. وقد طلب منى "فيتزروى" فى وقت لاحق من الرحلة، أن أقرأ له بعضاً من يومياتى، وأعلن أنها تستحق النشر وأصبح هناك بهذا الشكل، كتاب آخر متوقع.

تلقيت قبيل نهاية الرحلة خطاباً، عندما كنت فى جزيرة "أسينشون" Ascension، قامت فيه أخواتى بابلأغى، بأن "سيد جويك" مر على والدى، وقال إن من شأنى تبوء مكان بين الرجال العلميين البارزين. ولم أستطع فى ذلك الوقت استيعاب كيف تاتى له العلم بأى شكل عن إنجازاتى، لكننى سمعت (وأعتقد أن ذلك تم فيما بعد) أن "هنسلو"، قام بقراءة بعض الخطابات التى أرسلتها له، أمام "الجمعية الفلسفية" Philosophical Society فى كامبريدج^[15]، وأنه قام بطابعها للتوزيع الشخصى. وقد أثارت مجموعتى من العظام الأحفورية^(٤)، التى كنت قد أرسلتها إلى "هنسلو"، القدر الكبير من الانتباه، بين علماء المستحاثات^(٥). وقمت بعد قراءتى لهذا الخطاب، بارتقاء الجبال الموجودة فى "أسينشون" بخطوات واثقة،

Subsidence

(١) هبوط = انخساف

Crater

(٢) فوهة بركان

Cliff

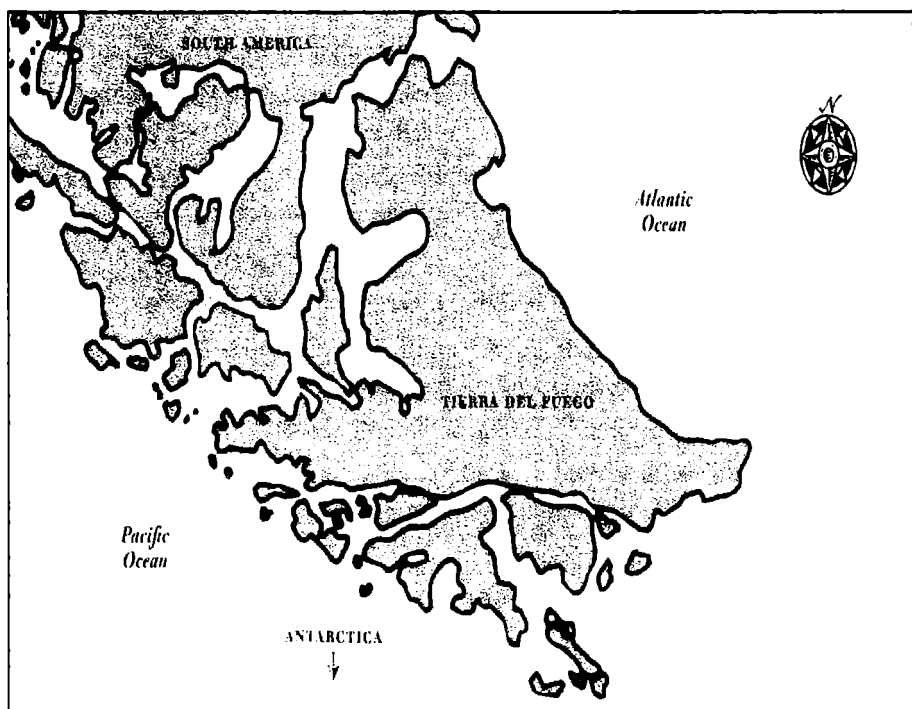
(٣) جرف = منحدر صخرى

Fossil bones

(٤) عظام أحفورية

Palaentology

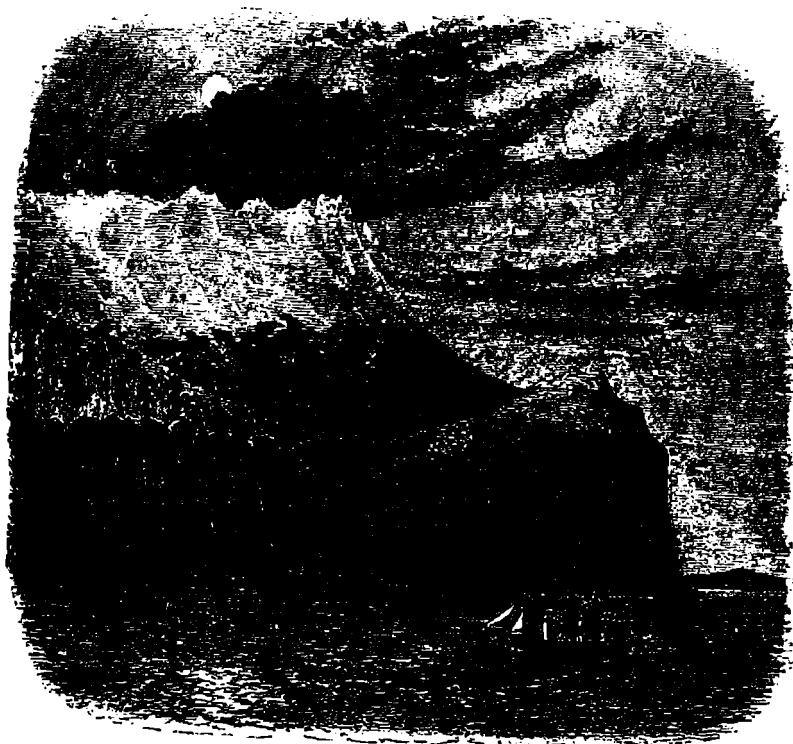
(٥) علم المستحاثات = علم الأحافير



لوحة (٢١)

خريطة "أرض النار" Tierra del Fuego

وجعلت الصخور البركانية تدوى تحت وقع مطرقتى الجيولوجية. ويقوم كل ذلك، بتوضيح مدى الطموح الذى شعرت به، لكننى أعتقد أن بإمكانى أن أقول بصراحة، أننى رغم اهتمامى فى السنوات التالية، إلى أقصى درجة، بمديح رجال مثل "لايل" Lyell و"هوكر" Hooker، الذين كانوا أصدقاء لى، فإننى لم أهتم كثيراً بالعامّة من الناس. ولا أقصد أن أقول إن أى نقد مؤاتٍ أو أى مبيعات واسعة النطاق لكتبى، لم يؤد إلى إسعادى بشكل كبير، لكن هذا السرور كان شعوراً عابراً، وأنا متأكد أننى لم أنحرف ولو بوصة واحدة خارجاً عن مسارى، لكى أقوم باكتساب الشهرة.



لوحة (٢٢)
السفينة "البيجل" في مضائق "ماجيلان"

لندن

منذ عودتي الى إنجلترا (٢ أكتوبر ١٨٣٦)

إلى زواجي (٢٩ يناير ١٨٣٩)

كانت تلكما السنتان والأشهر الثلاثة، أكثر الفترات نشاطا في حياتي على الإطلاق، بالرغم من أنني كنت أشعر بالمرض في بعض الأحيان، وفقدت بذلك بعضا من الوقت. واتخذت بعد تردي جينة وذهابا لمرات عديدة، فيما بين "شرزبري"، و"مير"، و"كامبريدج"، و"لندن"، مستقرا في "كامبريدج" [16] في ١٣ ديسمبر، حيث كانت كل مجموعاتي تحت عناية "هنسلو". وظللت هناك لمدة ثلاثة أشهر، وأتممت فحص المعادن والصخور التي أحضرتها، بمساعدة "الأستاذ ميلر" Prof. Miller.

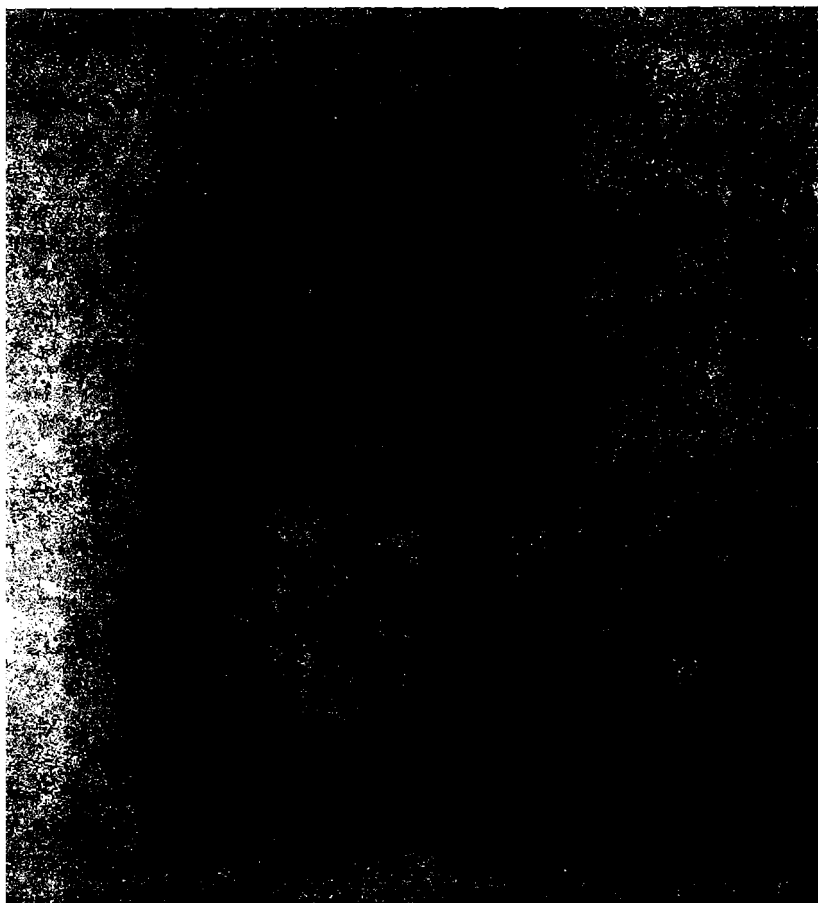
بدأت في الإعداد لكتابي "يوميات الرحلات" Journal of Travels، الذي لم يكن عملا شاقا، لأنني كنت قد دونت يومياتي المكتوبة باليد بعناية، وكان جهدي الرئيسي منصبا، على تحرير ملخص بنتائج العلمية الأكثر تشويقا، وقمت أيضا، بناء على طلب من "لايل"، بإرسال تقرير قصير بملاحظاتي، حول الزيادة في ارتفاع ساحل "شيلي" Chile، إلى الجمعية الجيولوجية [17].

اتخذت لنفسى مقاما في ٧ مارس ١٨٣٧، في شارع "جريت مالبورو" Great Malborough في لندن، وظللت هناك لما يقرب من العامين، إلى أن تزوجت. وأتممت في غضون هذين العامين، تدوين يومياتي، وقمت بقراءة العديد من المقالات العلمية، أمام الجمعية الجيولوجية، وبدأت في إعداد كتاباتي اليدوية، من أجل كتابي "الملاحظات الجيولوجية" Geological

Observations، وقمت بترتيب النشر لكتاب "حيوانيات رحلة البيجل" Zoology of the Voyage of the Beagle. وافتتحت في يوليو أول كراسة، عن الحقائق المتعلقة بكتاب "نشأة الأنواع الحية" (أصل الأنواع)، الذي قمت بتقليب الفكر حوله لمدة طويلة، ولم أتوقف عن ذلك على الإطلاق، طيلة العشرين عاما التالية.

قمت في غضون هذين العامين، بالاندماج قليلا في المجتمع، وقمت بالعمل كأحد الأمناء الشرفيين للجمعية الجيولوجية. وتقابلت كثيرا مع "لايل". وقد كانت إحدى الصفات الرئيسية له، تتمثل في تعاطفه مع عمل الآخرين، وقد كنت مبهورا ومبتهجا للاهتمام الذي أبداه، عندما شرحت له عند عودتي إلى إنجلترا، وجهات نظري حول الحيود المرجانية^(١). وقد كان ذلك مشجعا لى بشكل كبير، وكان لنصائحه وقدرته، تأثير كبير على. وتسنت لى في غضون هذا الوقت، المقابلة لمرات عديدة، مع "روبرت براون" Robert Brown، واعتدت في كثير من الأحيان، المرور عليه والجلوس معه، أثناء تناوله الفطور في صبيحات أيام الأحد، وكان يقوم بالسرد، لكنوز غنية من الملاحظات الغربية، والتعليقات الحاذقة، لكنها كانت متعلقة بشكل دائم تقريبا بنقاط دقيقة، ولم يتناقش معى على الإطلاق، حول التساؤلات الكبيرة أو العامة في العلم.

انطلقت في غضون هذين العامين في العديد من الجولات القصيرة، كوسيلة للاسترخاء، وبجولة أطول إلى الطرق المتوازية Paralled Roads، الموجودة في "جلين روى" Glen Roy، وتم نشر تقرير عنها، في "محاضر الجلسات الفلسفية" Philosophical Transactions [18]. وقد حققت هذه المقالة العلمية فشلا نريعا، وخلفت لدى شعورا بالخزي منها. فلأننى كنت متأثرا بشكل عميق، بما شاهدته من ارتفاع للأرض في أمريكا الجنوبية، عزوت الخطوط المتوازية، إلى مفعول البحر، ولكننى اضطررت إلى التخلي عن هذه الوجهة من النظر، عندما قام



لوحة (٢٣)

إيما ويد جورد داروين

زوجة "تشارلس داروين"

"أجاسيز" Agassiz بإعلان نظريته الخاصة "بالبحيرة الثلجية" Glacier-lake. ولما لم يكن هناك أى تفسير محتمل آخر، تحت ظل الحالة التى كانت عليها معارفنا فى ذلك الوقت، فإننى جادلت مؤيدا مفعول البحر، وكان إخفاقى درسا جيدا لى، فيما يتعلق بعدم الوثوق على الإطلاق فيما يتعلق بأمور العلم، بمبدأ الاستبعاد^(١).

حيث لم يكن باستطاعتى الانكباب طوال اليوم، على العمل فى مجال العلم، فقد قمت بالقراءة بقدر كبير أثناء هذين العامين"، حول موضوعات متنوعة، بما فى ذلك البعض من الكتب المتعلقة بما وراء الطبيعة^(٢)، إلا أننى لم أكن معدا بشكل كاف، لمثل هذه الدراسات. وشعرت فى غضون هذا الوقت بالكثير من المتعة، من قراءة أشعار "وارد زورث" Wordsworth و"كوليريدج" Coleridge، وأستطيع التفاخر بأننى قرأت ديوان "تزهة" Excursion بأكمله مرتين. وقبل ذلك، كان ديوان "ميلتون" Milton بعنوان "الفردوس المفقود" Paradise Lost، الكتاب الرئيسى المفضل لى، وعندما كنت خلال جولاتى فى غضون رحلة البيجل، لا أستطيع الاصطحاب إلا لمجلد واحد فقط، فإننى كنت دائما ما أختار "ميلتون".

الفترة من زواجى فى ٢٩ يناير ١٨٣٩، وإقامتى فى شارع "أبرجور" Upper Gower Street، إلى مغادرتنا "لندن" واستقرارنا فى "داون" Down، فى ١٤ سبتمبر ١٨٤٢.

يستطرد "داروين" بعد حديثه عن حياته الزوجية السعيدة وعن أطفاله، قمت فى غضون السنوات الثلاث والأشهر الثمانية التى أقمتها فى "لندن"، بإنجاز أعمال علمية أقل، رغم أننى عملت بجد قدر المستطاع، بمقدار أكبر من أى مدة زمنية

مساوية في حياتي. وقد كان ذلك نتيجة للتوسع المتكرر الذي كان يعاودني، للمرض الشديد طويل المدة. وكان الجزء الأكبر من وقتي مكرسا- عندما كنت قادرا على القيام بأي شيء- لعملي على كتاب "الحيود المرجانية" Coral Reefs، الذي بدأت فيه قبل زواجي، والذي أتممت التصوير لآخر صفحات مراجعته، في ٦ مايو ١٨٤٢. وقد كلفني هذا الكتاب- رغم صغر حجمه- عشرين شهرا من العمل الشاق، حيث كان عليّ قراءة كل عمل صدر عن جزر المحيط الهادئ، أرجوع إلى الكثير من الخرائط البحرية^(١). وقد تم تقديره بشكل كبير، عن طريق الرجال العلميين، وأعتقد أن النظرية التي تضمنها، استقرت تماما في الوقت الحالي.

لم يبدأ أي عمل آخر من أعمالي، يمثل هذه الروح المصممة، التي صاحبت هذا العمل، حيث تم التفكير في النظرية بأكملها، على الساحل الغربي لأمريكا الجنوبية، قبل مشاهدتي لأي حيد مرجاني حقيقي. وبهذا الشكل، فقد كان عليّ فقط أن أقوم بالتأكيد والتوسع في وجهات نظري عن طريق الفحص الدقيق للحيود الحية، ولكن يجب ملاحظة أنني كنت منكبا بشكل مستمر، في غضون العامين السابقين لذلك، على دراسة تأثيرات الارتفاع المتناوب للأرض، على سواحل أمريكا الجنوبية، بالإضافة إلى التجريد^(٢) والإيداع^(٣) للرواسب. وقد قادني هذا بالضرورة، إلى تقليد الفكر، حول تأثيرات الانخساف^(٤)، وكان من السهل الاستعاضة في الخيال، للإيداع المستمر للرواسب، عن طريق النمو إلى أعلى للمرجانيات. ومن أجل القيام بهذا كان عليّ صياغة نظريتي عن تشكيل الحيود المرجانية والجزر المرجانية الحلقية.

Charts

Denudation

Deposition

Subsidence

(١) الخرائط البحرية

(٢) التجريد : زوال سطح الأرض بفعل الماء *

(٣) الإيداع = الترسيب

(٤) الانخساف = الهبوط



لوحة (٢٤)

تشارلس داروين فى ريعان شبابه

قمت بالإضافة إلى انكبابى على العمل فى كتاب الحيدود المرجانية، فى غضون فترة إقامةى فى "لندن"، بالقراءة أمام الجمعية الجيولوجية، لمقالات علمية، تدور حول الجلاميد الصخرية المجروفة، الموجودة بأمريكا الجنوبية [19]، وعن الزلازل [20]، وعن تشكيل الثرى^(١) عن طريق مفعول الديدان^(٢) الأرضية [21]. وواصلت أيضا الإشراف، على نشر كتاب "حيوانيات رحلة البيجل". ولم أتوقف على الإطلاق، عن جمع الحقائق التى لها علاقة بموضوع "نشأة الأنواع الحية" (أصل الأنواع)، وقد كان بإمكانى فى بعض الأحيان القيام بذلك، عندما كنت لا أستطيع القيام بشئ آخر، بسبب المرض.

كنت فى صيف عام ١٨٤٢، أكثر قوة عما كان عليه حالى لزم من طويل، وقمت بجولة بمفردى فى "شمال ويلز"، من أجل المراقبة لتأثيرات المجالد^(٣) القديمة، التى كانت تملأ فى الماضى، جميع الوديان الكبرى. وقمت بنشر تقرير قصير، يدور حول ما شاهدته، فى "المجلة الفلسفية" Philosophical Magazine [22]. وقد قامت تلك الجولة، بإثارة اهتمامى بشكل كبير، وكانت تلك هى المرة الأخيرة، التى كنت فيها قويا بدرجة كافية، لتسلىق الجبال، أو القيام بمثل تلك المسيرات الطويلة الضرورية من أجل العمل الجيولوجى.

كنت قويا بشكل كاف أثناء الجزء المبكر من حياتنا فى "لندن"، للاندماج فى المجتمع العام، وتقابلت مع عدد كبير من الرجال العلميين المختلفين، وعدد كبير آخر، من الرجال المثيرين للتعزز بشكل أو بآخر. وسوف أقوم بتقديم انطباعاتى، فيما يتعلق ببعض منهم، رغم أن لدى القليل الذى يستحق القول.

Mould

Earth-worms

Glacier

(١) الثرى = التراب

(٢) الديدان الأرضية

(٣) مجلدة (جمعها مجالد) = نهر جليدى



لوحة (٢٥)

الحدود البحرية المرجانية - جزيرة "إيميو"

تقابلت مع "لايل" في فترات، أكثر من أى رجل آخر، سواء قبل أو بعد زواجي. وكان ذهنه يتميز - كما بدا لي - بالصفاء، والاحتراس^(١)، والحكم الصحيح على الأشياء، وقدر كبير من الأصالة^(٢). وعندما كنت أقوم بتقديم أى تعليق له عن الطبقات الأرضية، لا يهدأ له بال حتى يرى الحالة بأكملها بوضوح، وكثيرا ما كان يجعلنى أراها، بشكل أوضح مما قمت به من قبل. فقد كان من شأنه أن يقوم، بتقديم جميع الاعتراضات الممكنة على اقتراحى، ويظل متشككا حتى بعد أن يتم الاستفاد لهذه الاعتراضات. وكانت الخاصية الأخرى تتمثل فى صورة تعاطفه القلبى، مع عمل الرجال العلميين الآخرين [23].

شرحت له عند عودتى من رحلة البيجل، وجهات نظرى، حول الحيود المرجانية، والتي كانت مختلفة عن تلك الخاصة به، وقد أصبت بالدهشة الشديدة والتشجيع، نتيجة الاهتمام القوى الذى أبداه. فقد كان ابتهاجه بالعلم متوقدا، وكان يشعر بالاهتمام إلى أقصى درجة، بالتقدم المستقبلى للصف البشرى^(٣). وكان رفيق القلب، ومتحررا بشكل تام فى اعتقاداته الدينية، أو بالأصح الانعدام لتلك الاعتقادات، لكنه كان مؤمنا قويا بالله مع الإنكار للوحى^(٤). وكانت صراحته^(٥) ملحوظة بشكل كبير. وقد قام بإبداء ذلك، عن طريق أنه أصبح من المتحولين إلى نظرية النشوء^(٦)، رغم أنه اكتسب الكثير من الشهرة، عن طريق المعارضة لآراء "لامارك" Lamarck، وحدث ذلك بعد أن تقدم فى العمر. وقد ذكرنى، بأننى قضيت الكثير من السنين، قبل أن أقول له - أثناء النقاش حول اعتراض المدرسة القديمة للعلماء فى طبقات الأرض، على وجهات نظره الجديدة -: "قد يكون من الأشياء الجيدة، لو كان من شأن كل رجل علمى أن يتوفى، عندما يبلغ الستين من عمره، لأن من شأنه أن يتأكد من قيامه بعد ذلك، بالمعارضة لجميع العقائد^(٧) الجديدة". ولكنه كان يأمل، فى إمكان السماح له الآن، بالاستمرار فى الحياة.

Caution

Originality

Mankind

Thiest

Candour

Descent theory

Doctrines

(١) إحتراس

(٢) الأصالة - الإبداع

(٣) للصف البشرى *

(٤) مؤمن بالله ومنكر للوحى

(٥) صراحة

(٦) نظرية النشوء

(٧) عقيدة - مذهب



لوحة (٢٦)
تشارلس لايل

أعتقد أن علم الطبقات الأرضية، مدين بشكل هائل لـ "لايل"، أكثر من أى رجل آخر عاش على الإطلاق. وقد نصحت عند انطلاقى فى رحلة البيجل، عن طريق "هنسلو" الفطين^(١)، الذى كان يعتقد فى ذلك الوقت- مثل جميع الجيولوجيين الآخرين- فى التغيرات العنيفة^(٢) المتعاقبة، بالحصول والدراسة، للمجلد الأول من كتاب "الأساسيات" Principles، الذى كان قد نشر عندئذ، ولكن ألا أقوم بأى حال من الأحوال، بقبول وجهات النظر المشار إليها فيه. وانظر إلى كيف يتحدث الآن أى شخص بشكل مختلف عما بكتاب "الأساسيات". وأنا فخور بأن أتذكر، أن المكان الأول الذى قمت فيه بالدراسة الجيولوجية، وهو بالتحديد "سانت جاجو"، الموجود فى "أرخبيل الرأس الأخضر"، أفنعنى بالتفوق الذى لا حدود له لوجهات نظر "لايل"، عن تلك التى ينادى بها أى كتاب آخر معروف لى.

يمكن رؤية التأثيرات القوية لأعمال "لايل" بوضوح منذ وقت طويل فى التقدم المختلف للعلوم فى فرنسا وإنجلترا. ومن الممكن أن يعزى النجاهل التام الحالى، لفرضيات^(٣) "إيلي دى بومونت" Elie de Beaumont الطائشة، مثل فريضته الخاصة بـ "قوهات الارتفاع" "Craters of Elevation"، و"خطوط الارتفاع" Lines of Elevation (وتلك الفرضية الأخيرة، هى التى سمعت "سيد جويك" فى الجمعية الجيولوجية، يقوم برفعها إلى السماوات)، بشكل كبير إلى "لايل".

تقابلت كثيرا مع "روبرت براون" Robert Brown، عالم النبات الرئيسي للسلس Facile Princeps Botanicorum، كما كان يدعى عن طريق "هامبولت" Humboldt. وبدا لى أنه جدير بالملاحظة بشكل رئيسى، من أجل دقة ملاحظاته، وانضباطها التام. وكانت معلوماته عظيمة بشكل يفوق المعتاد، والكثير

Sagacious

Cataclysm

Hypothesis (Pl. Hypotheses)

(١) فطين

(٢) التغيرات العنيفة = الجائفة

(٣) فرضية

منها توفي معه، نتيجة لخوفه الزائد عن الحد، من ارتكاب أى خطأ على الإطلاق. وقد قام بالإغداق على بمعلوماته، بشكل غاية فى عدم التحفظ، مع أنه كان يشعر بالغيرة بشكل غريب، عند البعض من النقاط. وقد مرت عليه مرتين أو ثلاث مرات، قبل قيامى برحلة البيجل، وطلب منى فى إحدى المناسبات، أن أقوم بالنظر خلال المجهر، ووصف ما رآه. وقد قمت بذلك، وأعتقد الآن أنها كانت التيارات الرائعة للجبل الأولى^(١)، الموجودة فى بعض الخلايا النباتية. وسألته فى ذلك الوقت، عن الشيء الذى أشاهده، لكنه أجابنى "هذا هو سرى الصغير".

لقد كان قادرا على أكثر التصرفات كرما. وعندما أصبح عجوزا، ومفتقدا بشكل كبير للصحة، وغير لائق تماما للقيام بأى مجهود، فإنه كان يقوم يوميا (كما أخبرنى "هوكر" Hooker) بزيارة خادم عجوز، كان يعيش على مسافة بعيدة (وكان يقوم بإعالتة)، والقراءة له بصوت مرتفع. ويكفى هذا للتعويض عن أى درجة من التقدير^(٢) أو الغيرة العلمية.

يعن لى أن أذكر فى هذا المجال القليل من الرجال البارزين، الذين كنت القاهم أحيانا، ولكن ليس لدى سوى القليل، الذى من الممكن أن يستحق القول عنهم. فقد شعرت بتبجيل كبير لـ "السير ج. هيرتشيل" Sir J. Herschel، وكنت غاية فى السرور لتناول العشاء معه، فى منزله الخلاب الموجود فى "رأس الرجاء الصالح" Cape of Good Hope، ثم بعد ذلك، فى منزله الموجود فى "لندن". وقمت بلاقائه أيضا، فى القليل من المناسبات الأخرى. ولم يكن يتكلم كثيرا على الإطلاق، لكن كانت كل كلمة ينطقها، تستحق الاستماع إليها.

قابلت فى إحدى المرات على الإفطار، فى منزل "السير ر. مورتيسون"، العالم اللامع "هامبولدت" Humboldt، الذى شرفنى بالتعبير عن رغبته فى لقائى.

ولقد أصبت بالقليل من خيبة الأمل، عند لقائي بالرجل العظيم، ولكن من المحتمل أن توقعاتى، كانت غاية فى الارتفاع. ولا أستطيع أن أتذكر أى شىء دار فى لقائنا، عدا أن "هامبولدت" كان غاية فى الابتهاج، وأنه تكلم كثيرا.

يذكرنى هذا بـ"باكُل" Buckle، الذى قابلته مرة واحدة، فى منزل "هنسلى ويدجود". وكنت سعيدا لتعلم منهاجه فى جمع الحقائق. فقد أخبرنى أنه كان يبتاع جميع الكتب التى يقرأها، وقام بعمل فهرس كامل لكل واحد منها، خاص بالحقائق التى من الممكن أن تكون مفيدة له، وأنه يستطيع دائما تذكر، أين يوجد أى شىء فى أى كتاب قرأه، لأن ذاكرته كانت مدهشة. وعندما سألته كيف يستطيع أن يحدد فى أول الأمر، الحقائق التى من شأنها أن تكون مفيدة، وأجاب بأنه لا يعلم ذلك، ولكن هناك نوعا من الغريزة، يقوم بإرشاده. ونتيجة لعادة القيام بعمل فهرس، فإنه قد كان قادرا على التقديم لعدد مذهل من المراجع، التى تدور حول جميع الضروب من المواضيع، وهو الشىء الذى من الممكن العثور عليه، فى كتابه "تاريخ الحضارة" History of Civilisation، وأعتقد أن هذا الكتاب على أعلى درجة من التشويق، وقد قمت بقراءته مرتين، ولكنى أشك فى ما إذا كانت لتعميماته أى قيمة. وكان "باكُل" متحدثا عظيما، وقد استمعت إليه وكان من الصعب أن أقول أى كلمة، ولم أستطع أن أقوم بذلك بالفعل، لأنه لم يكن يترك أى ثغرات. وقد ففرت عندما بدأت "السيدة فارير" Mrs. Farrer فى الغناء، وقلت إننى لا بد أن أصغى إليها، فالتفت وقال لأحد الأصدقاء وسأله (لأن ذلك تطرق إلى سمع أخى): حسنا يبدو أن كتب السيد داروين أفضل بكثير، عن تبادل الحديث معه.



لوحة (٢٧)
چوزيف هوكر

فيما يتعلق بالرجال الأدباء واسعى الاطلاع^(١) العظماء الآخرين، فإنني تقابلت في إحدى المرات، مع "سيدنى سميث" Sydney Smith، في منزل "دين ميلمان" Dean Milman. ولقد كان هناك شيء مسلّ بشكل من المتعذر تفسيره، في كل كلمة تقوه بها. ومن المحتمل أن ذلك قد كان بشكل جزئى، ناتجا عن توقع أن يكون الحديث مسليا. وقد كان يتحدث عن "اللادى كورك" Lady Cork، التى كانت في ذلك الوقت متقدمة جدا في العمر. وكما قال، فإنها كانت السيدة التى تأثرت بشكل كبير بإحدى خطبه الخيرية، وقامت باقتراض جنيه من أحد الأصدقاء، لتضعه في الطبق. ثم قال بعد ذلك "من المعتقد بوجه عام أن صديقتى العجوز العزيزة "اللادى كورك" قد تم إغفالها"، وقد قال هذا بطريقة لا تترك مجالا للشك ولو للحظة، فى أنه كان يعنى أن صديقتة العجوز قد تم إغفالها، عن طريق الشيطان. وأنا لا أعرف كيف استطاع التعبير عن ذلك.

تقابلت بالمثل في إحدى المرات مع "ماكولاى" Macaulay في منزل "اللورد ستانهوب" Lord Stanhope المؤرخ، وحيث لم يكن هناك سوى رجل آخر فقط على العشاء، فإننى تمتعت بفرصة رائعة، لسماع حديثه الذى كان مرضيا جدا. ولم يسهب فى الكلام ومن المؤكد أن مثل هذا الرجل لا يستطيع الكلام كثيرا، حيث كان يسمح للآخرين بأن يدوروا حول مجرى حديثه، وهذا ما قام به.

قام "اللورد ستانهوب" بإعطائى برهانا صغيرا غريبا، عن دقة وسعة ذاكرة "ماكولاى": فقد اعتاد العديد من المؤرخين الالتقاء فى كثير من الأحيان، فى منزل "اللورد ستانهوب"، وكان من شأنهم أحيانا أثناء التناول للمواضيع المتنوعة، الاختلاف مع "ماكولاى"، وكانوا يرجعون كثيرا فى الماضى إلى بعض الكتب، ليروا من هو الصحيح، ولكن مؤخرا، كما لاحظ "اللورد ستانهوب"، لم يعد أى مؤرخ يتجشم هذه المشقة، وكان أى شيء يقوله "ماكولاى"، هو رأى النهائى.

تقابلت فى مناسبة أخرى فى منزل "اللورد ستانهوپ"، مع إحدى مجموعاته المؤلفة من المؤرخين، والأدباء واسعى الاطلاع الآخرين، وقد كان من بينهم "موتلى" Motley و"جروت" Grote. وقمت بعد تناول وجبة الغذاء، بالسير فى أرجاء "حديقة تشيڤينينج" Chevening Park، لمدة ساعة تقريبا مع "جروت"، وقد تمتعت كثيرا بمحادثته، وسررت من البساطة، والغياب لأى تظاهر فى تصرفاته.

كنت أقوم فى الماضى بتناول العشاء أحيانا مع الايرل Earl العجوز، والد المؤرخ، وقد كان رجلا غريبا، لكننى أحببت القليل الذى عرفته عنه. فقد كان صريحا، وكراما، ولطيفا. وكان يتمتع بملامح واضحة بقوة، وبشرة^(١) بنية اللون، وعندما شاهدته، كانت جميع ملابسه بنية اللون. وبدا لى أنه يؤمن بكل شىء، يعتبره الآخرون غير قابل للتصديق. وقد قال لى فى أحد الأيام "لماذا لا تتخلى عن عبثياتك الخاصة بطبقات الأرض والحيوانات، وتلتفت إلى العلوم الخفية^(٢)". وبدأت الصدمة على وجه المؤرخ، الذى كان فى ذلك الوقت "لورد ماهون" Lord Mahon، نتيجة لتوجيه مثل هذا الكلام إلى، كما بدا الطرب على وجه زوجته الفاتنة.

الرجل الأخير الذى سوف أقوم بذكره هو "كارليل" Carlyle، الذى رأيته مرات عديدة فى منزل أخى، ومرتين أو ثلاث مرات فى منزلى. وكان يتحدث بشكل مفعم جدا بالحيوية ومثير للانتباه، بشكل مماثل لكتاباتة بالضبط، لكنه كان يقوم فى بعض الأحيان، بالاستطراد لوقت طويل جدا، حول نفس الموضوع. وأتذكر عشاء مضحكا فى منزل أخى، حيث كان هناك ضمن بعض الآخرين، "باباج" Babbage و"لايل" Lyell، وكلاهما كان مغرما بالكلام. إلا أن "كارليل" أسكت كل شخص، عن طريق إلقاء محاضرة على مدى فترة العشاء بأكملها، تدور

حول مميزات السكوت. وقام "باباچ" بعد العشاء، بطريقة متجهمة إلى أقصى حد، بشكر "كارليل" على محاضراته المشوقة جدا، التي دارت حول السكوت.

كان "كارليل" يسخر من كل شخص تقريبا: وأطلق يوما في منزلي، على كتاب "جروتى" Grote بعنوان "التاريخ" History أنه "مستقنع" ^(١) نتن ^(٢)، لا يحتوى على أى شيء روحانى. وكنت أظن دائما- إلى أن ظهر كتابه بعنوان "الذكريات" Reminiscences- أن سخرياته كان ممازحات بشكل جزئى، ولكن هذا يبدو الآن من الأمور المشكوك فيها. فقد كانت تعبيراته خاصة بإنسان مكتئب ^(٣)، وقانط ^(٤) تقريبا، لكنه هادف إلى الصالح العام ^(٥)، وكان من الغريب كيف يقوم بالضحك من قلبه. وأعتقد أن نزعته الخيرية كانت حقيقية، حتى ولو كان يشوبها قدر ليس بالقليل من الغيرة. ولا يستطيع أى شخص الشك فى قدرته الخارجة عن المعتاد، على القيام برسم صور للأشياء والناس، بشكل أكثر حيوية، كما يبدو لى، عما يقوم "ماكولاى" Macaulay برسمه .. وسواء كانت تلك الصور الخاصة بالناس حقيقية أو لا، فهذه مسألة أخرى.

كان عظيم القدرة، على القيام بطبع البعض من الحقائق الأخلاقية العظيمة، فى أذهان الناس. لكن على الجانب الآخر، كانت آراؤه حول موضوع الاسترقاق ^(٦) مقرزة. وكان الجبروت فى نظره عادلا. وبدا لى أن ذهنه ضيق جدا، حتى بعد استبعاد جميع فروع العلم التجريبي، الذى كان يحتقره. وقد كان من المدهش بالنسبة لى، تصدى "كينجسلى" Kingsley للكلام عنه، على أساس أنه رجل معد

Quagmire

Fetid

Depressed

Despondent

Benevolent

Slavery

(١) مستقنع

(٢) نتن (الرائحة)

(٣) مكتئب = مشبط

(٤) قانط

(٥) هادف الى الصالح العام = ذو نزعة خيرية

(٦) الاسترقاق = العبودية

بشكل جيد لأحداث تقدم فى العلم. وقد سخر لازدراء^(١) الفكرة، بأن عالم رياضيات مثل "هيوويل" Whewell، يستطيع الحكم، وأنا أصر على أنه يستطيع، على وجهات نظر "جوته" Goethe، التى تدور حول الضوء. وكان يظن أنه من المثير للضحك إلى أقصى حد، أن يكون من شأن أى شخص، الاهتمام بما إذا كانت إحدى المجالد، تتحرك بشكل أكثر سرعة بقليل أو أكثر بطئا، أو أنها كانت تتحرك على الإطلاق. وحسب قدرتى على الحكم على الأشياء، فإننى لم أتقابل على الإطلاق مع إنسان، له عقل غير معد إلى هذه الدرجة للبحث العلمى.

ترددت أثناء معيشتى فى "لندن"، بشكل منتظم قدر المستطاع، على الاجتماعات الخاصة بالعديد من الجمعيات العلمية، وقمت بمهام الأمين للجمعية الجيولوجية. ولكن هذا التردد على الجمعيات، والمجتمع العادى، كانا مناسبين لصحتى بشكل ردىء، بحيث استقر رأينا، على المعيشة فى الريف، الذى كان كلانا يفضلهُ، ولم نندم إطلاقا على ذلك.

الإقامة في "داون" Down

ابتداء من ١٤ سبتمبر ١٨٤٢، وإلى الوقت الحالي ١٨٧٦

عثرنا بعد العديد من المحاولات للبحث غير المجدى، فى مقاطعة "سارى" Surrey وأماكن أخرى، على هذا المنزل، وقمنا بشرائه. وقد كنت سعيدا بالمنظر المتنوع للنباتات، المميّزة لمنطقة طباشيرية^(١)، وغير المماثلة بشكل تام، لما كنت معتادا عليه، فى أقطار "الأرض الوسطى" Mindland، وأكثر سعادة بكثير، بالهدوء المتناهى، والسمات الريفية^(٢)، الموجودة بالمكان. ورغم ذلك، فإنه ليس مكانا منعزلا، كما قام أحد الكتاب فى مجلة أسبوعية ألمانية بتصويره، حيث قال إنه من الممكن الوصول إلى منزلى، عن طريق درب للبالغ^(٣)! وقد عاد علينا استقرارنا فى هذا المكان، بميزة تثير الإعجاب بطريقة لم نكن نتوقعها، وهى بالتحديد، أنه كان ملائما جدا لقيام أطفالنا، بزيارتنا بشكل متكرر.

يستطيع القليل من الناس أن يعيشوا حياة أكثر عزلة عما قمنا به. فبجانب البعض من الزيارات القصيرة إلى منازل الأقرباء، وأحيانا إلى شاطئ البحر أو أى مكان آخر، فإننا لم نكن نذهب إلى أى مكان. وقمنا فى غضون الجزء الأول من إقامتنا، بالاندماج قليلا فى المجتمع، وقمت باستقبال القليل من الأصدقاء، لكن صحتى كانت تعاني دائما تقريبا من الإثارة، وكان ذلك يجلب لى نوبات من الارتعاش العنيف والقيء. واضطرت بناء على ذلك - لعدد كبير من السنين - إلى التخلي عن حضور جميع الولائم، وقد مثل ذلك حرمانا بشكل ما بالنسبة لى،

Chalk

Rustic

Mule-track

(١) طباشير = جير

(٢) ريفى

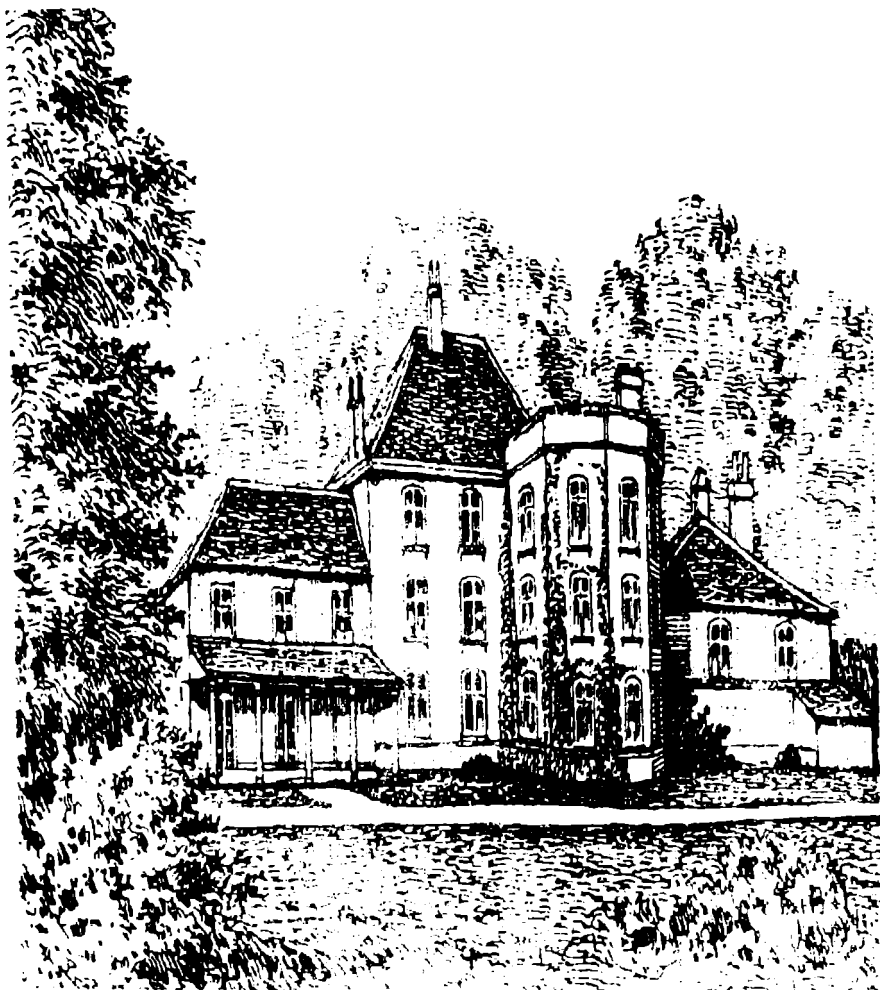
(٣) درب للبالغ

لأن تلك الاجتماعات، كانت تضعنى فى روح معنوية مرتفعة. وكنت قادرا نتيجة نفس السبب على دعوة، العدد القليل جدا من المعارف العلميين.

كان استمئاعى الرئيسى وشاغلى الوحيد - على مدى حياتى كلها- هو العمل العلمى، وكانت الاستثارة الناتجة عن مثل هذا العمل، تجعلى فى ذلك الوقت أشعر بالنسيان، أو الإقصاء تماما لتوعكى اليومى. ولهذا فليس لدى شىء أسجله عن البقية الباقية من حياتى، مع الاستثناء للقيام بنشر كتيبى العديدة. وربما يكون البعض من التفاصيل الخاصة بكيفية انبثاقهم، يستحق التقديم.

منشوراتى العديدة:

تم فى الجزء المبكر من عام ١٨٤٤، نشر مشاهداتى حول الجزر البركانية، التى قمت بزيارتها فى غضون رحلة البيجل. وفى عام ١٨٤٥ عانيت كثيرا، أثناء قيامى بتصويب إصدار^(١) جديد، لكتاب "يوميات الأبحاث" Journal of Researches (سرد أحداث رحلة البيجل) الذى كان قد نشر فى عام ١٨٣٩، على أساس أنه جزء من كتاب لـ "فيتز روى". وقد كان نجاح هذا الكتاب، وهو أول طفل ثقافى لى، يقوم دائما بمداعبة خيالى، أكثر من أى من كتيبى الأخرى. ومازالت مبيعاته مستمرة بشكل منتظم، إلى يومنا الحالى، فى إنجلترا وفى الولايات المتحدة، وقد تمت ترجمته للمرة الثانية إلى الألمانية، وإلى الفرنسية وإلى لغات أخرى. ويعتبر هذا النجاح لكتاب عن الرحلات- وخاصة أنه ذو طابع علمى، وبعد سنوات عديدة من أول نشر له- شيئا مثيرا للدهشة. وقد تم بيع عشرة آلاف نسخة فى إنجلترا من الإصدار الثانى. ثم تم فى عام ١٨٤٦ نشر كتابى عن "الملاحظات الجيولوجية حول أمريكا الجنوبية" Geological Observations on South America. وقد سجلت فى مفكرة صغيرة، أقوم دائما بالاحتفاظ بها،



لوحة (٢٨)
منزل "داروين" ببلدة "داون"

أن كتبي الجيولوجية الثلاثة، (بما في ذلك كتاب "الحيود المرجانية" Coral Reefs) استهلك أربعة أعوام ونصفاً من العمل المتصل، "وقد مر الآن عشرة أعوام على عودتي إلى إنجلترا. وهذا يوضح الوقت الكبير الذي فقدته، عن طريق مرضي". وليس لدى شيء أقوله حول هذه الكتب الثلاثة، عدا أنه قد تم مؤخراً لاندهاشي الشديد، المناداة بطبع إصدارات حديثة لها [24].

بدأت في أكتوبر ١٨٤٦ العمل في كتاب "هدايات الأقدام" Cirripedia. فعندما كنت على ساحل "شيلي"، عثرت على شكل غريب إلى أقصى حد منها، كان يقوم باتخاذ وجار^(١)، داخل قواقع "المحار الحرشفى"^(٢)، والذي كان يختلف بشكل كبير، عن جميع الحيوانات هداية الأقدام الأخرى، إلى درجة أنه كان على، أن أقوم بتشكيل رتبة فرعية^(٣) لاستقباله وحده. وقد تم العثور مؤخرا، على طبقة^(٤) وجارية متقاربة، على شواطئ "البرتغال" Portugal. ولكي أستطيع استيعاب التركيب الجسماني، للحيوان هداي الأقدام الجديد الخاص بي، فقد كان على أن أقوم بالفحص والتسريح، للكثير من الأشكال الشائعة، وقد قادني ذلك بالتدريج، إلى أن أقوم بتناول المجموعة كلها. ولقد قمت بالعمل بشكل منتظم في هذا الموضوع، للأعوام الثمانية التالية، وقمت في نهاية الأمر، بنشر اثنين من المجلدات السمكية [25]، التي تحتوى على وصف لجميع أنواعه الحية المعروفة، واثنين من الكتيبات النحيفة، حول الأنواع المنقرضة^(٥). وليس لدى شك، في أن "السير إ. ليتون بولور" Sir E. Lytton Bulwer، كان يضعنى في ذهنه، عندما قام بتقديمى في إحدى قصصه، على أساس أنى "الأستاذ لونج" Prof. Long، الذى قام بكتابة اثنين من المجلدات الضخمة، عن البطليوسيات^(٦).

Burrowed

رغم انكبابى طوال ثماني سنوات على هذا العمل، إلا أنني سجلت فى دفتر يومياتى، أنني فقدت حوالى عامين، عن طريق المرض. ذهبت بناء على هذا التقرير فى عام ١٨٤٨ لبضعة أشهر، إلى "مالفيرن" Malvern، للعلاج التجريبي بالمياه^(١)، وهو الشيء الذى كان فيه نفع كبير لى، وكنت بهذا الشكل، عند عودتى إلى المنزل، قادرا على مواصلة العمل. فقد كنت مفتقدا للصحة بشكل كبير، إلى درجة أنني كنت غير قادر عند وفاة والدى العزيز، فى ١٣ نوفمبر ١٨٤٨، على حضور جنازته، أو التصرف كواحد من المنفذين لوصاياه.

حاز كتابى الذى يدور حول هدايات الأقدام حسب اعتقادى، قيمة لها اعتبارها لأنه علاوة على وصفه للعديد من الأشكال الجديدة والملاحظة، فإننى وضعت فيه، تماثلات^(٢) الأجزاء المتنوعة - واكتشفت الجهاز اللاصق^(٣) لهم، رغم أنني تخبطت بشكل مخيف، حول غدد المادة اللاصقة^(٤) و قمت أخيرا بإثبات الوجود فى طبقات معينة، لذكور دقيقة، تكميلية ملحقة^(٥) ومتطفلة^(٦)، على الخناث^(٧). وقد تم مؤخرا تأكيد هذا الاكتشاف الأخير بشكل كامل، رغم أن كاتباً ألمانيا عزا فى وقت ما، التقرير بأكمله، إلى خيالى الخصب. وتشكل الحيوانات هداية الأقدام مجموعة من الأنواع الحية عالية التباين^(٨) وصعبة التصنيف، وقد كان عملى ذا فائدة لها اعتبارها بالنسبة لى، عندما كان على القيام فى كتابى "أصل الأنواع" (نشأة الأنواع الحية) The Origin of Species، بتناول قواعد التبوب^(٩) الطبيعى. ورغم ذلك، فإننى أشك فيما إذا كان الكتاب، يستحق استغناء مثل هذا الوقت الطويل.

Hydropathic treatment

Homology

Cementing

Cement glands

Complemental

Parasitic

Hermaphrodite

Varying

Classification

(١) العلاج التجريبي بالمياه

(٢) تماثل

(٣) يلصق

(٤) غدد المادة اللاصقة *

(٥) تكميلي = ملحق

(٦) متطفلة

(٧) الخنثى

(٨) متغاير *

(٩) التبوب (حيث التصنيف = Taxonomy)

JOURNAL OF RESEARCHES

INTO THE

NATURAL HISTORY AND GEOLOGY

OF THE:

COUNTRIES VISITED DURING THE VOYAGE OF
H.M.S. BEAGLE ROUND THE WORLD,

UNDER THE

Command of Capt. Fitz Roy, R.N.

By CHARLES DARWIN, M.A., F.R.S.

— — — — —
SECOND EDITION, CORRECTED, WITH ADDITIONS.
— — — — —

LONDON:

JOHN MURRAY, ALBEMARLE STREET.

1845.

لوحة (٢٩)

الصفحة الافتتاحية لكتاب "رحلة البيجل" (١٨٣٩ / ١٨٤٥)

سرد أحداث
رحلة البيجل
"خمس أعوام حول العالم"

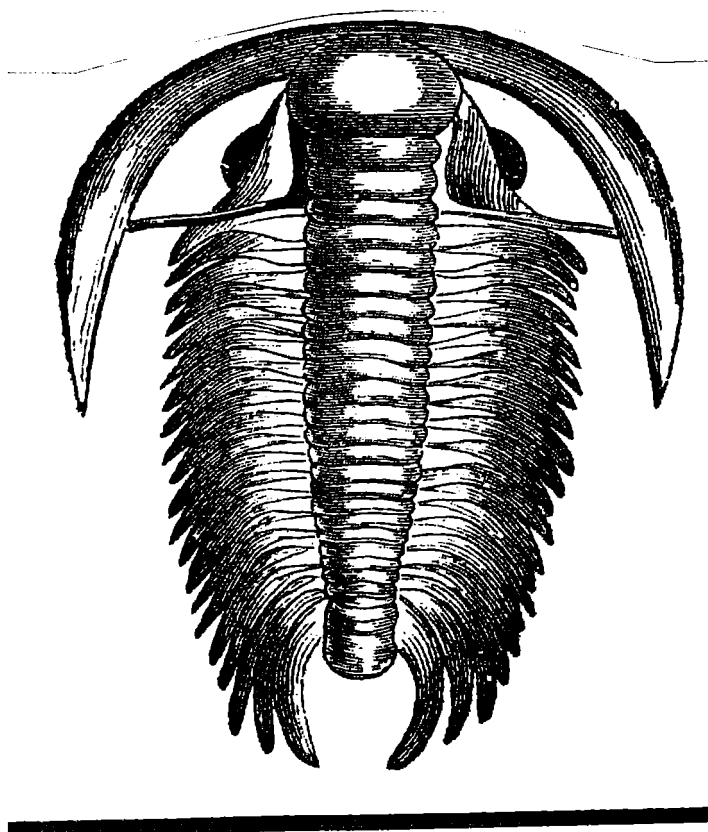


لوحة (٣٠)
الصفحة الافتتاحية لكتاب "رحلة البيجل"
المترجم للغة العربية

قمت ابتداء من سبتمبر ١٨٥٤ بتكريس وقتى بأكمله، لترتيب الكومة الهائلة من مذكراتي، والمراقبة، وإجراء التجارب المتعلقة بتحول^(١) الأنواع الحية. فقد تولد لدىّ في غضون رحلة البيجل، انطباع عميق، عن طريق الاكتشاف في "التكوين البامبياني"^(٢)، لحيوانات أحفورية ضخمة مغطاة بالدروع، مثل تلك الموجودة على الحيوانات المدرعة^(٣)، الموجودة حالياً، وثانياً عن طريق الأسلوب الذي تقوم الحيوانات المتقاربة بشكل حميم باتباعه، للخلول محل بعضها الآخر، أثناء التقدم تجاه الجنوب على القارة، وثالثاً، عن طريق الطابع الأمريكي الجنوبي، الخاص بمعظم المنتجات الموجودة في "أرخبيل جالا بيغوس" Galapagos Archipelago، وبشكل أكثر خصوصية، بالطريقة التي يختلفون بها بشكل بسيط، على كل جزيرة من المجموعة، رغم أنه لم يبد على أى من الجزر، أنها كانت عتيقة جداً، من الوجهة الجيولوجية.

كان من الواضح أن حقائق على هذه الشاكلة، علاوة على حقائق كثيرة أخرى، لا يمكن تفسيرها إلا بناء على الافتراض بأن الأنواع الحية، قد أصبحت معدلة بشكل تدريجي، وقام هذا الموضوع بملازمة ذهني. ولكنه من الواضح بشكل مساو، أنه لا يمكن لمفعول الظروف المحيطة، ولا إرادة الكائنات الحية^(٤) (وخاصة في حالة النباتات)، أن تكون مسؤولة، عن الحالات التي لا حصر لها، التي أصبحت فيها الكائنات التابعة لكل صنف، متكيفة بشكل جميل مع سلوكياتها الحياتية^(٥)، وعلى سبيل المثال، لأن يقوم طائر ناقر للخشب^(٦)، أو ضفدعة شجرية^(٧)، بتسلق الأشجار،

Transmutation	(١) التحول = التبديل
Pampean Formation	(٢) التكوين البامبياني (من طبقات الأرض)
Armadillo	(٣) الحيوان المدرع: حيوان ثديي جنوب أمريكي من الدردارات مغطى بالدروع العظمية
Organisms	(٤) الكائنات الحية
Habits of life	(٥) السلوكيات الحياتية
Wood pecker	(٦) (طائر) ناقر الخشب
Tree-frog	(٧) ضفدعة شجرية •



لوحة (٣١)
حيوان هداى

أو قيام بذرة بالانتثار^(١) عن طريق الكلاب^(٢) أو الريشات^(٣). ولقد كنت دائما ما أصطدم بمثل تلك التكيفات البيئية^(٤)، إلى أن يصبح فى الإمكان إيجاد تفسير لتلك الأشياء، لا توجد فائدة، من محاولة الإثبات عن طريق البراهين المباشرة، على أن الأنواع الحية قد تم تعديلها.

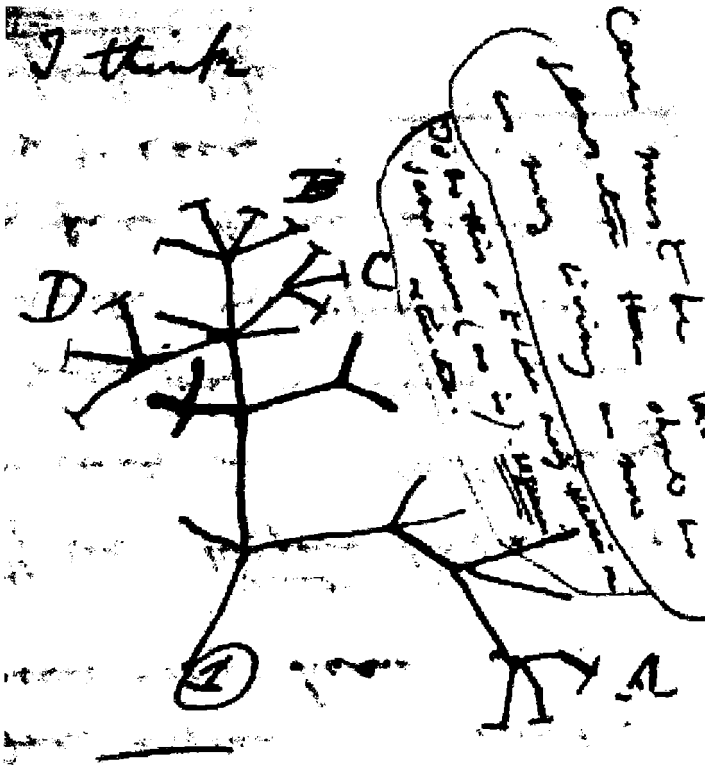
بدا لى بعد عودتى إلى إنجلترا، أنه من الممكن عن طريق اتباع "لايل"، كقدوة فى علم طبقات الأرض، وعن طريق الجمع لجميع الحقائق، التى تتصل بأى طريقة، بتغاير^(٥) الحيوانات والنباتات، تحت تأثير التدجين^(٦) وتحت تأثير الطبيعة، إلقاء بعض الضوء، على الموضوع بأكمله. وقد فتحت أول كراسة لملاحظتى، فى يوليو ١٨٣٧. وعملت بناء على مبادئ "بيكون" Baconian principles الدقيقة، وقمت بدون أى نظرية فى ذهنى، بجمع الحقائق على نطاق إجمالى، وبشكل أكثر خصوصية، بالنسبة إلى المنتجات المدجنة، وذلك عن طريق الاستفسارات المطبوعة، وتبادل الحديث مع المستولدين^(٧) والبستانيين^(٨) البارعين، وعن طريق القراءة واسعة النطاق. وعندما أرى قائمة الكتب من جميع الأصناف، التى قرأتها وقمت بتلخيصها، بما فى ذلك سلاسل كاملة من السجلات^(٩) ومحاضر الجلسات^(١٠)، أشعر بالدهشة من مثابرتى^(١١). وسرعان ما أدركت أن الانتقاء^(١٢)،

Dispersal	(١) إنتثار
Hook	(٢) كلاب = خطاف = عقيفة
Plume	(٣) ريشة
Adaptation	(٤) تكيف (بيئى)
Variation	(٥) التغاير
Domestication	(٦) التدجين
Breeder	(٧) مستولد
Gardener	(٨) بستانى
Journal	(٩) سجل
Transaction	(١٠) محضر جلسة
Industry	(١١) مثابرة = كد
Selection	(١٢) الانتقاء •

قد كان هو المرتكز^(١) لنجاح الإنسان، في تكوين أعراق^(٢) مفيدة من الحيوانات والنباتات. ولكن ظل إمكان تطبيق الانتقاء، على الكائنات التي تعيش في البيئة الطبيعية^(٣)، لبعض الوقت، لغزا بالنسبة لى.

تصادف في أكتوبر ١٨٣٨، وهذا يعنى بعد خمسة عشر شهرا، من الابتداء لاستفساراتى النظامية^(٤)، أن قمت بالقراءة على سبيل التسلية، لكتاب "مalthus عن "التعداد السكانى" Population، ولأننى كنت على استعداد تام، لإدراك دور التنازع على البقاء Struggle for Existence، الذى يدور فى كل مكان، نتيجة للمراقبة المستمرة المتطاولة المدة، لسلوكيات الحيوانات والنباتات، فقد خطر ببالى على الفور، أن من شأن التغيرات المواتية^(٥) تحت تأثير تلك الظروف، أن تميل إلى أن يتم الإبقاء عليها^(٦)، وأن يتم تدمير^(٧) التغيرات غير المواتية. ومن شأن النتيجة أن تتمثل، فى التشكيل لأنواع حية جديدة. وحصلت فى النهاية بناء على ذلك على نظرية، أستطيع الانطلاق فى العمل عن طريقها، لكننى كنت حريصا على تجنب الحكم المسبق^(٨) على الأمور، إلى درجة أننى لم أقم لبعض من الوقت، بكتابة أى مسودة مختصرة عنها، وسمحت لنفسى لأول مرة فى يونيو ١٨٤٢، بالشعور بالإشباع عن طريق التدوين لمخلص مختصر جدا عن نظريتى بالقلم الرصاص، فى ٣٥ صفحة، وقد تم توسيع ذلك المخلص، فى غضون صيف ١٨٤٤، إلى ٢٣٠ صفحة، وهى التى قمت بنسخها بشكل جيد، ومازالت فى حوزتى.

Keystone	(١) المرتكز = حجر العقد
Race	(٢) عرق
State of nature	(٣) البيئة (الحالة) الطبيعية
Systematic	(٤) نظامى = تصنيفى
Favourable = Favorable	(٥) مواتى
Preserve	(٦) يبقى على = يحتفظ
Destroy	(٧) تدمير = اهلاك
Prejudice	(٨) الحكم المسبق



لوحة (٣٢)

أول رسم تخطيطي قام "داروين" برسمه للشجرة التطورية

إلا أنني أغفلت في ذلك الوقت، مشكلة ذات أهمية بالغة، وقد كان المثير لدهشتي كيف تسنى لى إغفالها وإغفال حلها، إلا إذا كان ذلك، بناء على مبدأ "كولومبوس" Columbus وبيضته. وكانت هذه المشكلة، تتمثل في النزعة الموجودة لدى الكائنات المتعضية^(١) المنحدرة عن نفس الأصل، لأن تتشعب في الطابع^(٢)، عندما تصبح معدلة^(٣). وقد كان من الواضح أنها تشعبت بشكل هائل، من الطريقة التي يمكن بها الترتيب^(٤) للأنواع من جميع الأصناف، تحت طبقات، والطبقات^(٥) تحت فصائل^(٦)، والفصائل تحت رتب فرعية^(٧)، وهلم جرا، وأستطيع أن أتذكر بشكل محدد، النقطة الموجودة على الطريق أثناء وجودي في عربتي، التي خطر عندها الحل على بالي، وكان ذلك بعد وقت طويل من حضوري إلى "داون". وأعتقد أن الحل هو أن الذراري^(٨) المعدلة لجميع الأشكال المهيمنة^(٩) والمتزايدة، تميل إلى أن تصبح متكيفة^(١٠)، على الكثير والمتنوع^(١١) بشكل كبير، من الأماكن الموجودة في المنظومة الطبيعية^(١٢).

نصحتني "لايل" في وقت مبكر من عام ١٨٥٦، بأن أقوم بتحرير وجهات نظري بشكل كامل تماما، وبدأت على الفور في القيام بذلك، بمعدل يصل إلى ثلاثة أو أربعة أضعاف، ما قمت باتباعه فيما بعد، في تحريرى لكتابى "أصل الأنواع"

Organic beings	(١) الكائنات المتعضية
Character	(٢) الطباع
Modified	(٣) معدل
Class	(٤) يرتب = رتبة
Genus (Pl. Genera)	(٥) طبقة *
Family	(٦) فصيلة - عائلة
Sub-order	(٧) رتبة فرعية
Offspring	(٨) الذراري: جمع ذرية
Dominant	(٩) مهيمن = مسيطر
Adapted	(١٠) متكيف = متماهي
Diversified	(١١) متنوع
Economy of nature	(١٢) المنظومة الطبيعية *

(نشأة الأنواع الحية)، إلا أن ذلك كان ملخصاً فقط، للمادة العلمية التي جمعتها، واستطعت الإنجاز لحوالى نصف العمل بهذا المعدل. ولكن خططى انقلبت رأساً على عقب. حيث أرسل لى فى وقت مبكر من صيف عام ١٨٥٨، "السيد والاس" Mr. Wallace، الذى كان فى ذلك الوقت موجوداً فى "أرخبيل الملايو" Malay archipelago، مقالة علمية بعنوان "حول نزعة الضروب الحية للانفصال بشكل غامض عن النمط الأصلى" On the Tendency of Varieties to depart indefinitely from the Original Type، وكانت تلك المقالة تحتوى بالضبط، على نفس نظريتى. وعبر "السيد والاس" عن رغبته، فى أن يكون من شأنى لو شعرت بالاستحسان لمقالته، إرسالها إلى "لايل" للتمعن .

تم إثبات الظروف التى وافقت تحت تأثيرها، على طلب "لايل" و"هوكر"، على السماح لمخلص مأخوذ عن مخطوطاتى اليدوية، بالإضافة إلى خطاب موجه إلى "آسا جراى" بتاريخ ٥ سبتمبر ١٨٥٧، لكى يتم نشرهما فى نفس الوقت، مع مقالة "والاس"، فى سجلات اجتماعات الجمعية اللينيائية Journal of the Proceedings of the Linnean Society، فى عام ١٨٥٨ صفحة ٤٥. وقد كنت فى البداية غير ميال للموافقة، على أساس أننى ظننت أن "السيد والاس"، قد يعتبر أننى قمت بذلك، دون مبرر، لأننى لم أكن أعلم فى ذلك الوقت، مدى كرم ونبيل أخلاقه. ولم يكن كل من ملخص كتاباتى اليدوية، أو الخطاب الموجه إلى "أساجراى"، معدين للنشر، وكانا مكتوبين بشكل ردىء. وعلى الجانب الآخر كانت مقالة "السيد والاس" دقيقة وواضحة بشكل مثير للإعجاب. ورغم كل شيء، فقد أثار إنتاجنا المشترك انتباهاً قليلاً جداً، وقد تمت كتابة المذكرة المنشورة الوحيدة لهما، التى أستطيع أن أتذكرها، بواسطة "الأستاذ هوتون" Prof. Houghton من "دبلن" Dublin، والذى كان قراره، أن كل المستجدات التى جاءت بهما تمثل أشياء زائفة، وكل ما كان حقيقياً كان قديماً. وهذا يوضح مدى ضرورة الشرح لأى وجهة نظر جديدة بتطويل كبير، لكى تنشر الانتباه العام.

بدأت في سبتمبر ١٨٥٨ في العمل، بناء على نصيحة "لايل" و"هوكر"، لإعداد مجلد عن تحول الأنواع الحية، لكن كانت تتم إعافتي في كثير من الأحيان، عن طريق صحتي المعنلة، وزياراتي القصيرة إلى "الدكتور لان" Dr. Lane، في مؤسسته الممتعة للعلاج التجريبي بالمياه، الموجودة في "مورپارك" Moor Park. وقد قمت بتلخيص المخطوطات اليدوية، وبدأت على نطاق واسع بكثير، في عام ١٨٥٦، لإتمام المجلد بنفس هذا المستوى المختزل. وقد كلفني ذلك ثلاثة عشر شهرا وعشرة أيام، من العمل الشاق. وتم نشره تحت عنوان "أصل الأنواع" (نشأة الأنواع الحية) Origin of Species، في نوفمبر ١٨٥٩. ورغم الإضافات والتصويبات الكثيرة، التي حدثت في الإصدارات التالية، فإنه ظل نفس الكتاب في جوهره.

لا شك أن هذا الكتاب، يمثل العمل الرئيسي في حياتي. وقد كان منذ البداية غاية في النجاح. وقد تم بيع الإصدار المتواضع الأول، المكون من ١٢٥٠ نسخة، في نفس يوم صدوره، وتبعه سريعا الإصدار الثاني المكون من ٣٠٠٠ نسخة. وقد تم إلى الآن (١٨٧٦) بيع ستة عشر ألف نسخة في إنجلترا، ومع الوضع في الاعتبار صعوبة الكتاب، فإن ذلك يعتبر حجما ضخما من المبيعات. وقد تمت ترجمته إلى كل لسان أوروبي تقريبا، حتى إلى لغات مثل الإسبانية والبهيمية، والسولندية، والروسية. وقد تمت أيضا، بناء على ما نقوله "الأنسة بيرد" Miss Bird، ترجمته إلى اللغة اليابانية [26]، وتمت دراسته هناك بشكل كبير. ووصل الأمر إلى ظهور مقالة عنه باللغة العبرية توضح أن النظرية موجودة في كتاب العهد القديم!. وقد كانت استعراضاته ^(١) كثيرة جدا، وقد قمت لبعض الوقت بجمع كل ما ظهر عن الكتاب، وعن كتيبي الأخرى المتعلقة به، ووصلت (مع الاستبعاد لاستعراضات الجرائد) إلى ٢٦٥ تعليقا، لكنني توقفت عن المحاولة، يائسا بمرور الوقت. وقد ظهر العديد من المقالات المنفصلة والكتب، التي تدور حول الموضوع، ويتم في ألمانيا صدور بيان مصور ^(٢) أو مسرد ^(٣)، يدور حول "الداروينية" Darwinismus، كل عام أو عامين.



لوحة (٣٣)

ألفريد راسيل والاس في سنغافورة

أعتقد أن نجاح كتاب "النشأة" Origin، من الممكن أن يعزى في جزء كبير منه، إلى سبق قيامى بالكتابة منذ وقت طويل، لاثنتين من المسودات المكثفة، ولأننى قمت في آخر الأمر بتلخيص مخطوطات يدوية أكبر بكثير، والتي كانت في حد ذاتها ملخصا. وقد تمكنت عن طريق تلك الوسائل، أن أقوم بانتقاء الحقائق والاستنتاجات الأكثر لفتا للأنظار.

كان لدى أيضا فى غضون الأعوام الكثيرة التالية، قاعدة ذهبية، وهى بالتحديد، قيامى - كلما تم نشر حقيقة أو ملحوظة جديدة أو فكرة تمر بخاطرى معارضة لنتائجى العامة- بكتابة مذكرة عنها على الفور وبدون إخفاق، لأننى وجدت عن طريق التجربة، أن مثل تلك الحقائق والأفكار، قابلة للهرب من الذاكرة، بشكل أكبر بكثير، عن الحقائق والأفكار المواتية. ونتيجة لهذه العادة، فإن النزر اليسير جدا من الاعتراضات، التى قامت ضد وجهات نظرى، هى التى لم ألاحظها، ولم أحاول الرد عليها.

قيل فى بعض الأحيان، إن نجاح كتاب "النشأة"، قد أثبت "أن الموضوع كان مطروحا"، أو "أن أذهان الناس كانت مستعدة له". وأنا لا أعتقد أن هذا صحيح بشكل تام، لأننى كنت أقوم أحيانا، بسبر غور عدد ليس بالقليل من العلماء فى الطبيعة، ولم يحدث على الإطلاق، أن تقابلت مع واحد منهم يبدو أن لديه شكاً، فى استدامة^(١) الأنواع الحية. بل رغم أنه كان من شأن "لايل" و"هوكر" الإنصات إلى باهتمام، إلا أن الموافقة لم تبذ عليها على الإطلاق. ولقد حاولت مرة أو مرتين، أن أشرح لرجال محنكين، ما أعنيه بالانتقاء الطبيعى، لكننى فشلت فى ذلك تماما. والشئ الذى أعتقد أنه صحيح تماما، هو أنه قد تم التخزين لعدد لا حصر له، من الحقائق الملحوظة بشكل جيد، فى أذهان العلماء الطبيعيين، استعدادا لتبوء أماكنها الصحيحة، بمجرد أن يتم الشرح بشكل كاف، لأى نظرية تستطيع استيعابها.



لوحة (٣٤)

صورة جوزيف هوكر (فی شیخوخته)

وقد كان هناك عاملٌ آخر مسئولٌ عن نجاح الكتاب، ألا وهو حجمه المتوسط، وأنا مدين بذلك إلى ظهور مقالة "السيد والاس"، لأننى لو كنت نشرته على نفس المستوى - الذى بدأت فيه الكتابة فى عام ١٨٥٦- لكان من شأن الكتاب أن يصل إلى أربعة أو خمسة أضعاف حجم كتاب "النشأة"، وكان من شأن العدد القليل جدا من الناس أن يكون لديهم الصبر الكافى على قراءته.

فزت بالكثير عن طريق تأجيلى للنشر، من حوالى عام ١٨٣٩، عندما تم التصور الواضح للنظرية، إلى عام ١٨٥٩، ولم أفقد أى شىء عن طريق ذلك؛ لأننى لم أهتم إلا بشكل قليل جدا، اذا ما كان الناس يعزون معظم الأصالة إلى، أو إلى "والاس"، ولا شك فى أن مقالته العلمية، قد ساعدت على استقبال النظرية، وقد أصبت بإحباط فى نقطة مهمة واحدة فقط، التى دائما ما دفعنى كبريائى للندم عليها، وهى بالتحديد، التفسير عن طريق اللجوء إلى العصر الجليدى، لتواجد نفس الأنواع من النباتات، والبعض القليل من الحيوانات، على النقم الجبلية المتباعدة، وفى المناطق القطبية. وقد أسعدتنى هذه الوجهة من النظر بشكل كبير، إلى درجة أننى قمت بتدوينها بالتطويل، وأعتقد أنها أذيعت بواسطة "هوكر"، قبل بضع سنوات من قيام "إ. فوربس E. Forbes"، بنشر مذكراته المشهورة [27] حول هذا الموضوع. وما زلت أظن فى النقاط القليلة جدا التى اختلفنا فيها، أننى كنت على صواب. وبالطبع، فإننى لم أقم على الإطلاق - بالإشارة فى أى مطبوعات - إلى أننى قمت بشكل مستقل، بالتفكير فى هذه الوجهة من النظر.

نادرا ما كانت هناك أى نقطة، قامت بمنحى إشباعا كبيرا، عندما كنت أعمل فى كتاب "النشأة"، مثل التفسير للاختلاف العريض الموجود فى طبقات كثيرة، بين الجنين والحيوان البالغ، والتمائل الوثيق للأجنة، فى غضون نفس الطبقة. ولم يتم الانتباه إلى هذه النقطة، طبقا لما أتذكره، فى الاستعراضات المبكرة لكتاب "النشأة"، وأتذكر تعبيرى عن الدهشة حول هذا الأمر، فى خطاب إلى "آساجراى". وقد قام فى غضون الأعوام الأخيرة، العديد من المستعرضين، بإعطاء الفضل كله،

ON
THE ORIGIN OF SPECIES
BY MEANS OF NATURAL SELECTION,
ON THE
PRESERVATION OF FAVOURED RACES IN THE STRUGGLE
FOR LIFE.

By CHARLES DARWIN, M.A.,
FELLOW OF THE ROYAL, GEOLOGICAL, LINNÆAN, ETC., SOCIETIES;
AUTHOR OF 'JOURNAL OF RESEARCHES DURING H. M. S. BEAGLE'S VOYAGE
ROUND THE WORLD.'

LONDON:
JOHN MURRAY, ALBEMARLE STREET.
1859.

لوحة (٣٥)
الصفحة الافتتاحية من كتاب "نشأة الأنواع الحية" (أصل الأنواع)
(الإصدار الأول - عام ١٨٥٩)

أصل الأنواع

نشأة الأنواع الحية
عن طريق الانتقاء الطبيعي
أو
الاحتفاظ بالأعراق المفضلة
في أثناء الكفاح من أجل الحياة

تأليف : تشارلس داروين

ترجمة : مجدى محمود المليجى

تقديم : سمير حنا صادق



٢٠٠٤

لوحة (٣٦)

الصفحة الافتتاحية للترجمة العربية لكتاب
أصل الأنواع (نشأة الأنواع الحية)

إلى "فريتز موللر" Fritz Muller و"هاكل" Hackel، اللذين قاما بدون شك ببحثه، بشكل أكثر اكتمالا، ومن بعض الجهات، بشكل أكثر صحة مما قمت به. لقد كانت لدى من المواد، ما يشغل بابا كاملا حول هذا الموضوع، وكان من الواجب على أن أقوم بجعل المناقشة أطول، وحيث من الواضح، أنني فشلت في التأثير على قرائي، والشخص الذى ينجح فى القيام بذلك يستحق فى رأى، الحصول على الفضل كله.

يقودنى هذا إلى التعليق، بأنه قد تمت معاملتى دائما تقريبا، بشكل صادق، عن طريق المستعرضين لأعمالى، مع المرور مر الكرام، على هؤلاء المفتقدين لأى معرفة علمية، على أساس أنهم لا يستحقون أى اهتمام. وقد تم فى كثير من الأحيان، التحريف بشكل جسيم، لوجهات نظرى، وتمت معارضتها بشكل مرير، وتمت السخرية بها، لكننى أعتقد أن كل ذلك قد تم بشكل عام، بنية صافية. ولا أشك فى مجمل الأمر، فى أن أعمالى قد تم مدحها، بشكل أكبر كثيرا مما تستحق. وأشعر بالسعادة لأننى تجنبنا الجدالات، وأنا مدين بذلك لـ "لايل"، الذى نصحنى بقوة منذ سنوات طويلة ماضية، بالنسبة لكتبى السجولوجية، بألا أقوم بالاشتباك فى مجادلة، على أساس أنها من النادر أن تؤدي إلى أى شىء جديد، وأنها تتسبب فى فقدان المزرى، للوقت والمزاج.

كنت أستمّد أكبر قدر من الراحة، كلما اكتشفت أنني تعثرت، أو أن علمى كان منقوصا، أو عندما كان يتم انتقادی بازدراء، أو حتى عندما يتم إطرائى بشكل زائد، إلى درجة تجعلنى أشعر بالخجل، بأن أقول لنفسى مئات المرات: "لقد قمت بالعمل الشاق والجيد قدر استطاعتي، ولا يستطيع إنسان أن يفعل أكثر من ذلك". وأتذكر عندما كنت فى "خليج النجاح الجيد" Goog Success Bay، الموجود فى "أرض النار" Tierra del Fuego، أنه دار فى ذهنى (وأعتقد أنني قمت بذكر ذلك فى خطاب مرسل للوطن)، أنني لا أستطيع استغلال حياتى بشكل أفضل، من قيامى بإضافة أى شىء قليل، إلى العلوم الطبيعية. وقد قمت بذلك إلى أقصى حد مستطاع،

ويستطيع النقاد أن يقولوا ما يريدون، ولكن ليس في استطاعتهم تحطيم هذا الاقتناع.

انهمكت في غضون الشهرين الأخيرين من عام ١٨٥٩، إلى أقصى حد، في الإعداد لإصدار ثان لكتاب "النشأة"، علاوة على عدد هائل من المراسلات. وبدأت في الأول من يناير ١٩٦٠، في ترتيب أوراقى، للعمل على كتاب "تمايز الحيوانات والنباتات، تحت تأثير التهجين" Variation of Animals and Plants under Domestication، لكنه لم ينشر إلا في بداية عام ١٨٦٨، وقد كان هذا التأخير جزئياً، بسبب توقعاتى المتكررة، والتي استمر أحدها لسبعة أشهر، وفي جزء آخر، عن طريق إغرائى بالكتابة عن مواضيع أخرى كانت تثير انتباهى بشكل أكبر، في ذلك الوقت.

تم في ١٥ مايو ١٨٦٢ نشر كتابى الصغير، عن "تلقيح السحليبات" Fertilisation of Orchids، الذى كلّفنى عشرة أشهر من العمل، وقد تراكت معظم الحقائق الموجودة به بشكل بطيء، على مدى العديد من السنوات السابقة. حيث انقذت في غضون صيف ١٨٣٩- وأعتقد في غضون الصيف السابق إلى الاهتمام بالتلقيح المتبادل^(١) للزهور، بمساعدة الحشرات، نتيجة لانتهاى إلى الاستنتاج، أثناء تأملاتى حول نشأة الأنواع الحية، إلى أن التهجين لعب دوراً مهماً، في الإبقاء على ثبات أشكال محددة. وقد عنيت بهذا الموضوع، في غضون كل صيف تال تقريباً، وزاد اهتمامى به بشكل كبير، عند حصولى وقراءاتى، في نوفمبر ١٨٤١، من خلال نصيحة "روبرت براون" Robert Brown، على نسخة من كتاب "س.ك. سبرنجل" C.K. Sprengel بعنوان "الكشف عن أسرار الطبيعة" Das entdeckte Geheimniss der Natur. وعنيت بشكل خاص على مدى بضع السنوات السابقة لعام ١٨٦٢، بتلقيح سحليبات^(٢) البريطانية، وبدا

لى أن أفضل خطة، هى القيام بإعداد بحث مكتمل قدر استطاعتى، عن هذه المجموعة من النباتات، بدلا من استخدام المادة العلمية الضخمة، التى جمعتها ببطء، فيما يتعلق بالنباتات الأخرى.

ثبت أن قرارى كان حكيما، حيث تم بعد صدور كتابى ظهور عدد مذهل من الأبحاث العلمية، والأعمال المنفصلة، حول موضوع التلقيح لجميع الأصناف من الزهور، وقد تم القيام بتلك الأبحاث بشكل أفضل بكثير، عما كان من المحتمل أن أقوم به. وبذلك تم الاعتراف بشكل كامل بجدارية "سپرنجل" العجوز المتواضع، التى تم إغفالها لمدة طويلة، بعد مضى سنوات طويلة على وفاته.

قمت فى غضون نفس السنة بنشر مقالة علمية، فى "سجلات الجمعية اللينينية"، بعنوان "حول الشكلين، أو الحالة ثنائية الشكل، لزهرة الربيع" On the two Forms, or Dimorphic Condition of Primula، وأتبعها خلال الأعوام الخمسة التالية، بخمس مقالات علمية أخرى، عن النباتات ثنائية الشكل^(١) وثنائية الشكل^(٢). ولا أعتقد أن هناك شيئا آخر فى حياتى العلمية، منحى هذا القدر الكبير من الإشباع، أكثر من التوصل إلى معنى التركيب بتلك النباتات. فقد لاحظت فى عام ١٨٣٨ أو ١٨٣٩، الازدواج الشكلى لنبات الكتان الأصفر^(٣)، وظننت فى أول الأمر، أن ذلك مجرد حالة لا معنى لها من التباين^(٤)، لكننى وجدت عند فحص الأنواع الشائعة من زهرة الربيع، أن الشكلين كانا على درجة كبيرة من الانتظام والثبات، تمنع أن يتم النظر إليهما على هذا الأساس. وأصبحت بناء على ذلك مقتنعا تقريبا، بأن زهر الربيع العطرى^(٥) الشائع، وزهر الربيع^(٦)، قد كانا فى

Dimorphic

Trimorphic

Linum flavum

Variability

Cowslip

Primrose

(١) ثنائى الشكل - مزدوج الشكل

(٢) ثلاثى الشكل

(٣) الكتان الأصفر •

(٤) التباين

(٥) زهر الربيع العطرى - شفة البقر •

(٦) زهر الربيع - كعب الثلج - الزهر مزوم الشفة

الطريق الى أن يصبحا منفصلى الجنس^(١)، وأن المدقة^(٢) القصيرة الموجودة فى واحد من الأشكال، والأسدية^(٣) القصيرة الموجودة فى الشكل الآخر، كانا يميلان تجاه الإجهاض^(٤). وكانت النباتات بوا الشكل معرضة، بناء على هذه الوجهة من النظر، لمحنة^(٥)، ولكن عندما نبين أن الأزهار الحائزة على المدقات القصيرة الملقحة بغبار الطلع المستمد من الأسدية القصيرة، تقوم بالإدراج لبذور أكثر، من أى من الاتحادات الأربعة الأخرى، تم القضاء على نظرية الإجهاض. وأصبح من الواضح بعد القيام ببعض التجارب الإضافية، أنه - بالرغم من أن كلا الشكلين كانا خنثيين بشكل كامل - فإنهما يحملان نفس الدرجة من القرابة لأحدهما الآخر تقريبا، مثلما يفعل الشقان الجنسيان الخاصان بأحد الحيوانات المعتادة. ولدينا مع نبات الحناء^(٦) حالة مدهشة بشكل أكبر، خاصة بثلاثة من الأشكال، التى تقف على درجة متماثلة من القرابة من أحدها الآخر. وقد وجدت فيما بعد، أن الذرية الناتجة عن اتحاد اثنين من النباتات التابعة لنفس الأشكال، تقوم بتقديم تناظر^(٧) حميم وغريب، مع الأنغال^(٨) الناتجة عن الاتحاد الخاص بنوعين متباينين.

Dioecious

(١) منفصل الجنس

(٢) المدقة : عضو التأنيث فى الزهرة

Stamen

(٣) السداة (جمعها أسدية): العضو الذكري فى الزهرة

Abortion

(٤) إجهاض

Trial

(٥) محنة

Lythrum

(٦) نبات الحناء - الفرندل

Analogy

(٧) تناظر

Hybrid

(٨) نغل (جمعها أنغال)

THE VARIATION
OF
ANIMALS AND PLANTS
UNDER
DOMESTICATION

Second Edition, Revised

Charles Darwin

VOLUME ONE

New York: D. Appleton & Co.

1883

لوحة (٣٧)

الصفحة الافتتاحية لكتاب تَمايز الحيوانات والنباتات تحت تأثير

التدجين - ١٨٨٣ (لم تتم ترجمته إلى الآن)

انتهيت في خريف ١٨٦٤، من مقالة علمية طويلة، حول "النباتات المتسلقة" Climbing Plants، وقمت بإرسالها إلى "الجمعية اللينينية". وقد كلفتني كتابة هذه المقالة أربعة أشهر، لكنني كنت متوعكا جدا عند استلام صحاف التجارب الطباعية^(١)، واضطرت لتركها في حال سيء، وكان الكثير من التعبيرات يشوبه الغموض. ولم يتم الاهتمام بالمقالة العلمية إلا بشكل قليل، ولكن عندما تم في عام ١٨٧٥ تصويب المقال، وتم نشره ككتاب منفصل، كانت مبيعاته جيدة. وقد انقذت إلى تناول هذا الموضوع عن طريق قراءة لمقالة علمية قصيرة، تم نشرها بواسطة "آسجراي"، في عام ١٨٥٨. ثم أرسل إلى بعض البذور، وعندما قمت بإنبات ورعاية بعض النباتات، كنت مفتونا ومتحيرا، بالحركات الالتفافية الخاصة بالمحاليق^(٢) والسيقان^(٣)، كانت تلك الحركات غاية في البساطة في حقيقتها، رغم أنها تبدو لأول وهلة، غاية في التعقيد، مما دفعني إلى جلب أصناف متنوعة أخرى من النباتات المتسلقة، وقمت بدراسة الموضوع بأكمله. وأصبحت مع مرور الوقت أكثر تعلقا بالموضوع، لأنني لم أكن مقتنعا على الإطلاق، بالتفسير الذي قدمه لنا "هنسلو" في محاضراته، عن النباتات الملتفة^(٤)، وهو بالتحديد، أنها حائزة على نزعة طبيعية للنمو في شكل لولبي^(٥). وقد ثبت أن هذا التفسير خاطئ تماما. فإن البعض من التكيفات، التي يتم استعراضها بواسطة النباتات المتسلقة، تكون على نفس الدرجة من الجمال، المماثل لتلك الخاصة بالسحليات، من أجل التأكد من حدوث التلقيح المتبادل.

Proof-sheets

Tendrils

Stem

Twining

Spire

(١) صحاف التجارب الطباعية

(٢) محلاق (جمعها محاليق)

(٣) ساق (النبات)

(٤) النباتات الملتفة

(٥) شكل لولبي

بدأ تدوين كتابي "تمايز الحيوانات والنباتات تحت تأثير التدجين" كما صرحت من قبل، في بداية عام ١٨٦٠، لكن لم يتم نشره إلى بداية عام ١٨٦٨. فقد كان كتابا ضخما، واستغرق مني أربعة أعوام وشهرين من العمل الشاق. وهو يقوم بتقديم جميع ملاحظاتي، ويشتمل على عدد هائل من الحقائق عن منتجاتنا الداجنة، التي تم جمعها من مصادر متنوعة. وقد تم في الجزء الثاني، تناول الأسباب والقوانين الخاصة بالتغاير، والوراثة، وخلافهما، إلى الحد الذي تسمح به حالتنا المعرفية الحالية. وقد قمت تجاه نهاية الكتاب، بتقديم فرضيتي، التي تم التعسف ضدها بشدة، الخاصة بـ "شمولية التكوين". ومن شأن الفرضية التي لا يتم إثبات صحتها، أن تكون ذات فائدة صغيرة، أو بدون أى فائدة على الإطلاق، لكن إن كان من شأن شخص أن يقاد في المستقبل إلى القيام بملاحظات من شأنها إثبات فرضية على هذه الشاكلة، فإنني أكون قد قمت بتقديم خدمة جليلة، حيث يمكن بهذا الشكل، الربط بين عدد مدهش من الحقائق المنعزلة، وجعلها قابلة للفهم. وقد تم النشر في عام ١٨٧٥، لإصدار ثان مدققاً على نطاق واسع، وهو الأمر الذي كلفني قدرا كبيرا من العمل الشاق.

تم الإصدار لكتابي "نشأة الإنسان" Descent of Man في فبراير ١٨٧١. فإنني بمجرد أن أصبحت مقتنعا في عام ١٨٣٧ أو ١٨٣٨، بأن الأنواع الحية قد كانت منتجات قابلة للتغيير^(١)، لم أتمكن من تجنب الاعتقاد، بأن الإنسان لابد أن يندرج تحت نفس القانون. وقمت بناء على ذلك بجمع المذكرات التي تدور حول الموضوع، من أجل الإشباع لذاتي، ولم يكن ذلك لوقت طويل، بأى نية للنشر. ورغم أنه لم يتم النقاش على الإطلاق، في كتاب "أصل الأنواع" (نشأة الأنواع الحية)، حول المنشأ الخاص بأى نوع حى محدد، إلا أن فكرى دار حول أنه من الأفضل، لتجنب قيام أى رجل محترم باتهامى بإخفاء وجهات نظرى، أن أضيف بأنه عن طريق هذا الكتاب، من شأنه أن يلقى الضوء على منشأ الإنسان، وعلى

(١) قابلة للتغيير أو التحويل أو التقلب - غير ثابت

تاريخه". وقد كان من العقيم والمؤذى لنجاح الكتاب، أن يتم عرضه، بدون التقديم لأى دليل على إيمانى الراسخ، فيما يتعلق بالنشأة الإنسانية.

عندما وجدت أن الكثير من علماء الطبيعة، قد تقبلوا بشكل كامل، مذهب تطور الأنواع الحية، فقد بدا لى أنه من المستحسن، القيام بتحديث تلك المذكرات بالتدريج، بمجرد حصولى عليها، وأن أقوم بنشر بحث خاص، عن نشأة الإنسان. وقد كنت أكثر من سعيد بالقيام بهذا العمل، لأنه منحنى فرصة القيام بالتناول الكامل، لموضوع الانتقاء الجنىسى^(١). وهو موضوع كان يثير اهتمامى بشكل كبير دائما. وقد كان هذا الموضوع، وذلك الخاص بتماييز منتجاتنا الداجنة، بالإضافة إلى الأسباب والقوانين المتعلقة بالتغاير، والوراثة، والتهجين المتبادل للنباتات، تمثل المواضيع الوحيدة، التى أتيت لى فرصة الكتابة عنها بشكل كامل، لكى أقوم باستخدام كل المادة العلمية، التى قمت بتجميعها. وقد استغرق منى كتاب "نشأة الإنسان"، ثلاثة أعوام من الكتابة، إلا أننى فقدت كما جرت العادة، بعضا من هذا الوقت، عن طريق اعتلال صحتى، وتم استهلاك بعضه، فى الإعداد لإصدارات جديدة، وأعمال صغيرة أخرى. وقد ظهر إصدار ثان مدققا على نطاق واسع، من "نشأة الإنسان"، فى عام ١٨٧٤.

تم نشر كتابى "التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات" Expression of the Emotions in Man and Animals فى خريف عام ١٨٧٢. وقد كان فى نيتى القيام بتقديم فصل واحد فقط عن هذا الموضوع، فى كتابى "نشأة الإنسان"، لكن بمجرد أن بدأت فى وضع مذكراتى مع بعضها، رأيت أنه يحتاج إلى بحث منفصل.



لوحة (۳۸)
آساجرای

ولد طفلى الأول فى ٢٧ ديسمبر ١٨٣٩، وبدأت على الفور فى تدوين مذكرات، ابتداء من أول فجر له فى الحياة، حول التعبيرات المختلفة، التى قام باستعراضها، حيث أننى شعرت بالافتناع، حتى عند هذه الفترة المبكرة، بأن أكثر أطياف التعبير تعقيدا ورقة لا بد أن يكون لها نشأة تدريجية وطبيعية. وقمت فى غضون صيف السنة التالية، ١٨٤٠، بقراءة كتاب "السير س. بيل" Sir C. Bell المثير للإعجاب عن التعبير، وقد أدى ذلك إلى الزيادة بشكل كبير، للاهتمام الذى شعرت به تجاه الموضوع، برغم أننى لم أستطع على الإطلاق، الموافقة على إيمانه، بأن العضلات المختلفة قد خلقت بشكل خصوصى، من أجل القيام بالتعبير. وقد قمت أحيانا ابتداء من هذا الوقت، بالاهتمام بهذا الموضوع، فى كل من الإنسان وحيواناتنا المدجنة. وقد بيع كتابى بشكل واسع، فقد تم التخلص من ٥٢٦٧ من النسخ، فى نفس اليوم الذى نشر فيه.

كنت أقوم فى صيف عام ١٨٦٠، بالاستجمام والراحة، بالقرب من "هارتفيلد" Hortfield، حيث يغزر التواجد لاثنتين من أنواع نبات ورد الشمس^(١)، ولاحظت أنه تم إيقاع العديد من الحشرات، فى شراك الأوراق الشجرية. وقمت بحمل بعض النباتات إلى المنزل، وعندما قمت بتقديم الحشرات لها، رأيت حركات المجسات^(٢)، وجعلنى ذلك أفكر فى احتمال، أن يكون قد تم الإمساك بالحشرات، من أجل غرض معين، وخطر لى لحسن الحظ القيام باختبار حاسم، وهو أن أقوم بوضع عدد كبير من الأوراق الشجرية، فى مختلف السوائل النيتروجينية وغير النيتروجينية، ذات الكثافة^(٣) المتساوية، وبمجرد أن وجدت أن الأولى فقط، هى التى قامت باستثارة الحركات النشيطة، فقد أصبح من الواضح، أنه يوجد هنا حقل جديد للأبحاث.

Drosera

Tentacle

Density

(١) نبات ورد الشمس: نبات يفرز عصارة تلتصق بها الحشرات

(٢) مجس

(٣) كثافة

كنت أقوم فى غضون السنوات التالية - كلما كان لدى وقت فراغ- بمتابعة تجارىي، ونشر كتابى عن "النباتات الملتهمه للحشرات" Insectivorous Plants، فى يوليو ١٨٧٥ - وهذا يعنى، بعد ستة عشر عاما من ملاحظاتي الأولى. وقد كان التأخير الذى حدث فى هذه المرة- كما كان مع جميع كتبى الأخرى- ذا ميزة كبيرة لى، لأن الإنسان يستطيع بعد فترة فاصلة كبيرة، انتقاد ما قام به من عمل بشكل جيد، كما لو كان ذلك خاصا بشخص آخر. وتمثل بالتأكد الحقيقة التى تقول إن من شأن نبات أن يقوم- كلما تمت استثارته بشكل صحيح- بإفراز سائل يحتوى على أحد الحوامض^(١) وعلى مادة مخمرة^(٢)، منظره بشكل حميم، للسائل الهضمى^(٣) الخاص بأى حيوان، اكتشافا جديرا بالانتباه.

سوف أقوم فى غضون هذا الخريف الخاص بعام ١٨٧٦، بنشر كتاب عن "تأثيرات التلقيح المتبادل والتلقيح الذاتى، فى المملكة النباتية" Effects of Cross and Self-Fertilisation in the Vegetable Kingdom. و سوف يشكل هذا الكتاب استكمالا لذلك الذى يدور حول "تلقيح السحليبات"، الذى وضحت فيه، مدى المثالية التى كانت عليها وسائل التلقيح المتبادل، وسوف أقوم هنا بتوضيح مدى أهمية النتائج. ولقد انتقدت على مدى أحد عشر عاما، إلى إجراء العديد من التجارب المسجلة فى هذا المجلد، عن طريق مجرد المراقبة العرضية، وكان الأمر يحتاج بالفعل، إلى إعادة الطرف العارض، قبل أن يتم إثارة انتباهى بشكل كامل، إلى الحقيقة بأن نباتات^(٤) الأصل الأبوى^(٥) الملقح ذاتيا، تكون أقل فى المستوى^(٦)، حتى فى الجيل الأول، فى الارتفاع والحيوية، عن نباتات الأصل الأبوى الملقح بشكل

Acid	(١) حامض
Ferment	(٢) مادة مخمرة
Digwstive	(٣) هضمى
Seedling	(٤) نبتة
Parentage	(٥) الأصل الأبوى
Inferior	(٦) أقل فى المستوى

THE DESCENT OF MAN *AND SELECTION IN RELATION TO SEX*

BY CHARLES DARWIN

SECOND EDITION, REVISED.

WITH ILLUSTRATIONS.

LONDON:
JOHN MURRAY, ALBEMARLE STREET.

1874

لوحة (٣٩)

الصفحة الافتتاحية لكتاب

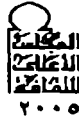
"نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي"

نشأة الإنسان

والانتقاء الجنسي

(المجلد الأول)

تأليف : تشارلس داروين
ترجمة وتقديم : مجدى محمود المليجى



لوحه (٤٠)

الصفحة الافتتاحية للترجمة العربية لكتاب
"نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي"

تبادلى. ولدى أمل أيضا فى إعادة نشر إصدار منقح، من كتابى عن السحليبات، وبعد ذلك، عن مقالاتى العلمية التى تدور حول نباتات ثنائية وثلاثية الشكل، علاوة على البعض من الملاحظات الإضافية، التى تدور حول مواضيع مقاربة، والتى لم يسمح لى الوقت بترتيبها. ومن المحتمل عندئذ، أن تكون قوتى قد استهلكت، وأن أكون قد أصبحت مستعدا لأن أقول : "لقد انتهى المشوار".

ما كتب فى أول مايو ١٨٨١:-

نشر كتاب "تأثيرات التلقيح المتبادل والتلقيح الذاتى" Effects of Cross and Self-Fertilisation فى خريف عام ١٨٧٦، وتقوم النتائج التى تم التوصل إليها هناك بالتفسير، حسب اعتقادى، للوسائل المستتبطة^(١) اللانهائية والمدهشة، من أجل القيام بنقل غبار الطلع، من أحد النباتات إلى نبات آخر تابع لنفس النوع. وبالرغم من ذلك، فإننى أعتقد فى الوقت الحالى، كنتيجة رئيسية لملاحظات "هيرمان موللر" Herman Muller، أنه كان على أن أصر بشكل أقوى مما قمت به، على سرد التكيفات الكثيرة للتلقيح الذاتى، برغم علمى التام بالكثير من التكيفات التى على هذه الشاكلة. وقد تم نشر إصدار موسع بشكل كبير، لكتابى بعنوان "تلقيح السحليبات" Fertilisation of Orchids، فى عام ١٨٧٧.

فى نفس العام ظهر كتاب "الأشكال المختلفة للزهور، إلى آخره" The Different Forms of Flowers, etc.، وصدر له فى عام ١٨٨٠، إصدار ثان. ويتألف هذا الكتاب بشكل رئيسى، من العديد من المقالات العلمية، التى تدور حول الزهور متغايرة الأنماط^(٢)، التى نشرت فى الأصل عن طريق الجمعية اللينيائية، وتم تصويبها وإضافة الكثير من المادة العلمية الجديدة عليها، علاوة على

Charles Darwin

THE EXPRESSION
OF THE
EMOTIONS IN
MAN AND ANIMALS

SECOND EDITION, REVISED.

WITH ILLUSTRATIONS.

LONDON:
JOHN MURRAY, ALBEMARLE STREET.

1874.

[The right of Translation is reserved.]

لوحة (٤٦)

الصفحة الافتتاحية لكتاب

"التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوانات"

التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات

تأليف : تشارلس داروين
ترجمة وتقديم : مجدى محمود المليجى



لوحة (٤٣)

الصفحة الافتتاحية للترجمة العربية لكتاب
"التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات"

الملاحظات التي تدور حول البعض من الحالات الأخرى، التي يقوم فيها نفس النبات، بحمل صنفين من الزهور. وكما تم التعليق من قبل، فلم يَقم أى اكتشاف صغير خاص بى على الإطلاق، بمنحنى هذا القدر الكبير من السرور، مثل التوصل إلى معنى الزهور متغيرة الأنماط. وأعتقد أن نتائج القيام بتهجين زهور على هذه الشاكلة، بإحدى الطرق التشغيلية^(١)، تمثل شيئا غاية فى الأهمية، على أساس ارتباطها بعقم^(٢) الأنغال، رغم أن تلك النتائج قد تمت ملاحظتها، عن طريق العدد القليل فقط من الأشخاص.

قمت فى عام ١٨٧٩، بنشر ترجمة كتاب "الدكتور إرنست كراوس" Dr. Ernst Krause بعنوان "حياة" إراسموس داروين "Life of Erasmus Darwin"، وأضفت إليه صورة وصفية لشخصيته وسلوكياته، منقولة عن معلومات كانت فى حوزتى. وقد كان الكثير من الناس مهتمين بهذه القصة الحياتية القصيرة لكننى دهشت من بيع ٨٠٠ أو ٩٠٠ نسخة فقط .

قمت فى عام ١٨٨٠، بالنشر بمعاونة ابنى "فرانك" Frank لكتابنا بعنوان "القدرة على الحركة الموجودة فى النباتات" "Power of Movements in Plants". وقد كان هذا قطعة صعبة من العمل. والكتاب له صلة بعض الشيء، بكتابى الصغير حول "النباتات المتسلقة"، بنفس الشكل الذى كان كتاب "التلقيح التهجينى"، متعلقا بكتاب "تلقيح السحلبات"، حيث كان من المستحيل التفسير - بناء على مبدأ التطور - أن تكون النباتات المتسلقة قد تطورت، إلى مجموعات مختلفة بهذا الشكل العريض، إلا إذا كانت جميع الأصناف النباتية حائزة قدرة بسيطة ما، على الحركة من نوعية مناظرة. وقد قمت بإثبات أن هذا هو الحال، وانقذت علاوة على ذلك، إلى بعض التعميم العريض بشكل ما، وهذا يعنى أن الطوائف



لوحة (٤٣)
منتصف العمر

العظيمة والمهمة من الحركات، المستثارة عن طريق الضوء، والجاذبية^(١) الخاصة بالنقل^(٢)، وخلافهما، تمثل جميعها أشكالاً معدلة من حركة الالتفاف الدائري^(٣) الجوهرية. وقد كان من المبهج لى دائما، أن أقوم برفع النباتات، فى مستوى الكائنات المتعضية، وبناء على ذلك، فقد شعرت بالسرور بشكل خاص، أثناء التوضيح لمدى الكثرة، ومدى التكيف الحسن، المثير للإعجاب، للحركات التى يتمتع بها طرف جذر النبات .

أرسلت الآن (أول مايو ١٨٨١) إلى المطبعة، المخطوط اليدوى لكتاب صغير، حول "تكوين التراب النباتى، من خلال مفعول الديدان" The Formation of Vegetable Mould, Through the Action of Worms. وهذا موضوع ذو أهمية صغيرة، ولا علم لى بمدى التشويق الذى يحمله لقرائى [28]، ولكنه قد كان مشوقا بالنسبة لى. وهو استكمال لمقالة علمية قصيرة، قرأتها أمام الجمعية الجيولوجية، منذ أكثر من أربعين عاما، وقمت فيها بإحياء أفكار جيولوجية قديمة.

لقد ذكرت بهذا الشكل، جميع الكتب التى قمت بإصدارها، وقد كانت تلك الكتب بمثابة علامات على طريق حياتى، ولا يتبقى بهذا الشكل إلا القليل، الذى من الممكن أن يقال. وليس لدى شعور عن حدوث أى تغيير فى ذهنى، فى غضون الثلاثين عاما الماضية، باستثناء نقطة واحدة، سوف أقوم بذكرها الآن، ولا يمكن بالفعل، أن يكون هناك أى تغيير متوقع، باستثناء ما يتعلق بالتدهور العام. لكن أبى عاش إلى أن بلغ الثالثة والثمانين، وذهنه نشيط كما كان دائما، وجميع قدراته لم يخفت توهجها، وأتمنى أن أموت، قبل أن يكف ذهنى عن الأداء بدرجة معقولة. وأعتقد أننى قد أصبحت أكثر مهارة بشكل قليل، فيما يتعلق بتخمين التفسيرات

Attraction

(١) الجاذبية = الجذب

Cravity

(٢) النقل

Circumnutation

(٣) الالتفاف الدائرى

الصحيحة، وفي الاستنباط للاختبارات التجريبية، لكن من المحتمل أن يكون ذلك نتيجة لمجرد الممارسة، وللمخزون الكبير من المعارف. ومازلت أعانى من قدر كبير من الصعوبة، فى التعبير عن نفسى بشكل واضح وموجز، وقد كلفتنى تلك الصعوبة، فقدان القدر الكبير جدا من الوقت، لكنها كانت تحمل ميزة تعويضية تتمثل فى دفعى إلى التفكير طويلا وبتركيز، حول كل جملة، وذلك ما قادنى إلى رؤية الأخطاء الموجودة فى وزنى للأمور، وفى ملاحظاتى أو فى ملاحظات الآخرين.

يبدو أن هناك شيئا قديرا^(١) فى ذهنى، يقودنى إلى القيام فى البداية، بوضع تصريحى أو اقتراحى بشكل خاطئ أو منحرف. وقد كنت معتادا فى الماضى التفكير حول الجمل، قبل أن أقوم بكتابتها، لكننى وجدت لسنوات عديدة، أننى أستطيع توفير الوقت، عن طريق الكتابة بلا اعتناء^(٢) بخط يد ردىء^(٣)، لصفحات كاملة بقدر ما أستطيع من السرعة، مع القيام بالاختزال لنصف الكلمات، ثم القيام بعد ذلك، بتصويب الكتابة بشكل مقصود. وكثيرا ما تكون الجمل غير المعنى بكتابتها بهذا الشكل، جملاً أفضل من تلك التى قد أقوم بكتابتها عن قصد.

سوف أضيف بعد السرد بهذا الشكل لطريقتى فى الكتابة، أننى قمت بالنسبة لكتبى الكبيرة فى الحجم، بقضاء وقت طويل فى الترتيب العام للأمر. فاننى أقوم فى أول الأمر بعمل شكل كفافى، على أقصى حد من البدائية، فى اثنتين أو ثلاث من الصفحات، ثم شكل أكبر بعد ذلك فى صفحات عديدة، ويقوم العدد القليل من الكلمات، أو كلمة واحدة، بتمثيل مناقشة كاملة، أو سلسلة من الحقائق. ويتم التكبير لكل واحد من تلك العناوين، وكثيرا ما يتم نقلها، قبل أن أبدا فى الكتابة بإسهاب. ويتم -كما هو الحال فى العديد من كتبى- استخدام الحقائق التى تمت ملاحظتها

عن طريق الآخرين، بشكل شامل جدا. وحيث كان علىّ بشكل دائم، تناول العديد من المواضيع المتباعدة تماما، فى نفس الوقت، يعن لى أن أذكر، أننى أحتفظ بحوالى ثلاثين أو أربعين محفظة للأوراق، الموضوعه فى خزائن ذات رفوف، عليها بطاقات معنونه، والتى أستطيع الوضع فيها على الفور، لأى من المراجع أو المذكرات المنفصلة. ولقد قمت بشراء العديد من الكتب، وكنت أقوم بوضع فهرس عند نهاياتها، تضم جميع الحقائق التى تتعلّق بموضوع العمل، أما إذا كان الكتاب ليس ملكى، فإننى أقوم بتحرير ملخص منفصل، ولدىّ من تلك الملخصات، ما يملأ أحد الادراج الضخمة. وأقوم باستعراض جميع الفهارس القصيرة، ووضع فهرس عام ومرتب، قبل أن أبدأ العمل على أى موضوع. وعند تناولى لواحد أو أكثر من المحافظ الصحیحه للأوراق، تكون لدىّ جميع المعلومات- التى تم جمعها على مدى حياتى - جاهزة للاستخدام.

قلت إن ذهنى قد تغیر، من إحدى الجهات، فى غضون العشرين أو الثلاثين عاما الأخيرة. فالى أن وصلت إلى الثلاثين من العمر، أو ما يتجاوز ذلك، كان الشعر من نوعيات كثيرة، مثل أعمال "میلتون" Milton، و"جراى" Gray، و"بايرون" Byron، و"وردزورث" Wordsworth، و"كوليريدج" Coleridge، و"شيللى" Shelley، يمنحنى الكثير من السرور، وكنت أشعر بالبهجة الغامرة، حتى عندما كنت صبیا مدرسیا، من قراءة أعمال "شكسبير"، وخاصة الموجودة فى مسرحياته التاريخیة. وقلت من قبل، إن الصور كانت تمنحنى البهجة التى لها اعتبارها، وكانت الموسيقى تمنحنى قدرا كبيرا جدا من السعادة. لكننى لا أستطيع منذ سنوات عديدة، تحمل قراءة سطر واحد من الشعر: ولقد حاولت مؤخرا أن أقوم بقراءة "شكسبير"، ووجدت ذلك مملا بشكل لا يطاق، إلى درجة شعورى بالغثبان. وقد فقدت تقريبا تذوقى للصور أو الموسيقى. وتقوم الموسيقى فى العادة، بتحفيزى على التفكير بشكل نشیط جدا، حول العمل الذى أنا بصدد، بدلا من منحى أى شعور بالسعادة. ومازلت أحتفظ ببعض من التذوق للمناظر الجمیلة،

ولكنها لا تثير في نفس السرور البهيج، الذى كانت تقوم به من قبل. وعلى الجانب الآخر، فإن القصص التى من نسيج الخيال، رغم أنها ليست ذات مرتبة عالية، كانت بالنسبة لى على مدى سنوات، باعثة على الراحة المدهشة، وكثيرا ما شعرت بالتقدير الشديد، لجميع الروائيين. ولقد تمت القراءة على مسامعى بصوت مرتفع، لعدد مدهش من الروايات، التى أحببتها، إذا كانت على مستوى متوسط من الجودة، وإذا لم تنته بشكل حزين - وهو الشيء الذى لابد أن يسن قانون لمنعه. فلا تصل الرواية، بناء على تذوقى، إلى الدرجة الأولى، إلا إذا كانت تحتوى على شخص، يستطيع المرء أن يشعر بالحب العميق له، ولو كان الأمر يتعلق بامرأة جميلة، فإن ذلك يكون أفضل بكثير.

يقوم هذا فقدان الغريب والمؤسف^(١)، للتذوقات الفنية الراقية، بممثل شيء أكثر شذوذا، إذا نظرنا إلى أن الكتب التى تدور حول التاريخ، والسرد لحياة الأشخاص، والرحلات (بغض النظر عن أى حقائق علمية قد تحتويها)، والمقالات التى تدور حول جميع الأنواع من المواضيع، تثير انتباهى بنفس القدر، الذى كانت تقوم به دائما. ويبدو أن ذهنى قد أصبح ضربا من الآلات، المعدة لاستخلاص^(٢) قوانين عامة، من المجموعات الضخمة من الحقائق، ولكنى لا أستطيع استيعاب لماذا يكون من شأن ذلك، أن يتسبب فى الضمور لذلك الجزء المنفرد من الدماغ، الذى تعتمد عليه التذوقات العليا، وأعتقد أن أى إنسان له ذهن أكثر رقيا فى التعضى، أو أفضل تشكلا عن ذهنى، لن يكون من شأنه أن يعانى بهذا الشكل، وإذا كان لى أن أعيش حياتى مرة أخرى، فمن شأنى أن أضع قاعدة تنص، على القراءة لبعض من الشعر، والاستماع لبعض الموسيقى، لمرة واحدة على الأقل كل أسبوع، حيث كان من المحتمل للأجزاء التى ضمرت من دماغى فى الوقت الحالى، أن يتم الاحتفاظ بها عاملة، من خلال الاستخدام. فالفقدان لهذه التذوقات، يمثل فقدان

السعادة، ومن المحتمل أن يكون مضرا بالذكاء، ومن المحتمل بشكل أكبر، للطابع المعنوى، عن طريق دبيب الوهن، إلى الجزء العاطفى الخاص بطبيعتنا.

بيعت كتنى بشكل واسع فى إنجلترا، وترجمت إلى الكثير من اللغات، ومرت خلال العديد من الإصدارات فى البلاد الأجنبية. ولقد سمعت أنه يقال إن نجاح العمل فى البلاد الخارجية، يمثل أفضل اختبار لقيمتة المستديمة. وأشك فيما إذا كان ذلك شيئا جديرا بالاعتماد عليه على الإطلاق، ولكن بالحكم عن طريق هذا المستوى، فمن شأن اسمى أن يبقى مترددا لعدة سنوات قادمة، وبالتالي، قد يستحق الأمر القيام بمحاولة، لتحليل الخواص الذهنية والظروف، التى اعتمد عليها نجاحى، رغم أننى أعلم تماما، أنه لا يوجد إنسان، يستطيع القيام بذلك بشكل صحيح.

أنا لا أمتلك سرعة عظيمة على الفهم^(١)، أو سرعة للبديهة^(٢)، التى تكون ملحوظة بشدة، فى البعض من الرجال الحاذقين، مثل "هوكسلى" Huxley. وبالتالي فإننى ناقد قليل البراعة: فعندما أقوم بالقراءة لأول مرة، لمقال علمى أو كتاب، فإن ذلك يقوم بشكل عام بإثارة إعجابى، ولا أستطيع إلا بعد قدر كبير من تقليب الفكر، إدراك النقاط الضعيفة. وقدراى على متابعة سياق طويل، وتام التجريد من التفكير، محدودة جدا، وبالتالي، فلم يكن من شأنى على الإطلاق، أن أنجح بالنسبة للغيبيات أو الرياضيات. وذاكرتى هائلة، إلا أنها مبهمة: لكنها كافية لأن تجعلى على حذر، عن طريق الإيماء إلى بشكل غامض، بأننى قد لاحظت أو قرأت شيئا معارضا للاستنتاج، الذى أنا فى الطريق للوصول إليه، أو على الجانب الآخر، أن يكون متماشيا معه، وأستطيع فى العادة بعد مرور بعض الوقت أن أقوم بالاستيعاب للموضع الذى أبحث فيه، عن مرجعياتى. وذاكرتى محدودة فى أحد الاتجاهات، إلى درجة أننى غير قادر على الإطلاق، على التذكر لأكثر من أيام معدودة، لأى موعد، أو بيت من أبيات الشعر.

قال بعض النقاد عني، "يا له من مراقب جيد، ولكن ليس لديه أى قدرة على ترزين الأمور". ولا أعتقد أن من الممكن أن يكون ذلك صحيحا، لأن كتاب " أصل الأنواع" (نشأة الأنواع الحية) عبارة عن مجادلة طويلة، من بدايته إلى نهايته، وقد استطاع إقناع عدد لا يستهان به من الرجال البارعين. ولا يمكن لأى شخص أن يقوم بكتابة مثل هذا الكتاب، دون أن يكون لديه قدرة على ترزين الأمور. ولدى نصيب عادل من القدرة على الابتكار، والحصافة أو القدرة على الحكم على الأشياء، مماثلة لما يجب أن يكون لدى أى محام أو طبيب ناجح، ولكننى أعتقد أنها ليست بأى درجة أعلى من ذلك.

أظن على الجانب المشرق من الميزان، أننى متفوق على السياق الشائع من الناس، فى ملاحظة الأشياء التى تفلت بسهولة من الانتباه، وفى المراقبة لها بشكل دقيق. وقد كانت مثابرتى، على أقصى قدر من الضخامة التى من الممكن تحقيقها، فيما يتعلق بالمراقبة وجمع الحقائق. والشىء الأكثر أهمية بكثير، أن حبى للعلوم الطبيعية، قد كان متصلا ومتقدا.

تم من الناحية الأخرى، مساعدة الحب الصافى بشكل كبير، عن طريق الطموح إلى كسب احترام زملائي من العلماء فى التاريخ الطبيعى. وكانت لدى منذ شبابى المبكر، رغبة عارمة للتفهم، أو إيجاد تفسير، لأى شىء ألاحظه، وهذا يعنى، أن أقوم بتجميع جميع الحقائق، تحت قانون عام ما. وقد قامت تلك الأسباب مجتمعة، بمنحى الصبر على تقليب الفكر أو التأمل^(١)، لأى عدد من السنين، حول أى مشكلة لم يتم تفسيرها. وبقدر استطاعتى الحكم على الأشياء، فاننى لست قادرا على الاتباع الأعمى، لسياق الأناس الآخرين. لقد حاولت بشكل مستمر، الحفاظ على ذهنى حرا، بدرجة تجعله يقوم بلفظ أى فرضية، مهما كان محبوبة (وأنا لا أستطيع مقاومة التشكيل لفرضية، حول كل موضوع يعترضنى)، بمجرد أن تظهر الحقائق أنها معارضة لها. ولم يكن لدى خيار بالفعل، إلا التصرف بهذه الطريقة، مع الاستثناء لموضوع "الحيود المرجانية"، لا أستطيع أن أتذكر فرضية واحدة تم

تشكيلها، لم يتم التخلي عنها، أو تعديلها بشكل كبير، بعد المرور لبعض الوقت. وقد قادنى ذلك بشكل طبيعى، إلى عدم الوثوق بشكل كبير، فى التوازن الاستنتاجى^(١) فى العلوم المختلطة^(٢). وعلى الجانب الآخر، فإننى لست شكوكياً^(٣) بشكل كبير، وهو إطار ذهنى، أعتقد أنه مضر بالنسبة للتطور العلمى. فمن المنصوح به، تجنب القدر الكبير من الشكوكية، فى الرجل العلمى، لتجنب فقدان الكبير للوقت، إلا أننى قابلت عدداً ليس بالقليل من الرجال، الذين أشعر بالتأكد، أنهم كثيراً ما أحجموا عن التجربة، أو القيام بمراقبات، كان من شأنها أن تقوم بالإثبات، بشكل مباشر أو غير مباشر، أنها مفيدة.

سوف أقوم للتوضيح بتقديم أغرب حالة مرت بى. فقد قام أحد الرجال الأفاضل (الذى سمعت فيما بعد أنه أصبح خبيراً نباتياً جيداً) بالكتابة لى من الأقطار الشرقية Eastern Countries، بأن بذور أو حبوب الفول الحقلية^(٤) الشائع، قد قامت فى هذا العام، بالنمو فى كل مكان، على الجانب المخالف للمألوف من القرونات. وقد قمت بالرد عليه بالكتابة، سائلاً إياه عن معلومات أكثر، حيث إننى لم أستوعب ما يعنيه، ولكننى لم أتلّق أى جواب منه لمدة طويلة جداً. ثم رأيت بعد ذلك، فى جريدتين يوميتين، صدرت إحداهما فى "كنت" Kent، والأخرى فى "يوركشاير" yorkshire، فقرات تنص على أنها لحقيقة جدية بالملاحظة، أن "جميع الحبوب فى هذه السنة، قد نمت، على الجانب المخالف للمألوف". ودار فى ذهنى على هذا الأساس، أنه لابد أن يكون هناك أساس، لمثل هذا التصريح العام. وبناء عليه، ذهبت إلى البستانى الخاص بى، وهو رجل من "كنت"، وسألته عما إذا كان قد سمع شيئاً يدور حول هذا الشأن، وقد أجابنى "لا يا سيدى، لابد أن يكون هناك خطأ، لأن الحبوب تنمو على الجانب المخالف للمألوف، فى السنة الكبيسة"^(٥)

Deductive Reasoning

Mixed Sciences

Sceptical = Skeptical

Field-bean

Leap-Year

(١) التوازن الاستنتاجى

(٢) العلوم المختلطة

(٣) شكوكى = ميل للشك

(٤) الفول الحقلية

(٥) سنة كبيسة (انتقالية)

فقط، وهذه ليست سنة كبيسة". ثم سألته بعد ذلك عن الكيفية التى تنمو عليها الحبوب فى السنوات العادية، وكيف تنمو فى السنوات الكبيسة، ولكن سرعان ما عرفت، أنه لا يعلم شيئا على الإطلاق، عن كيفية نموها فى أى وقت، لكنه كان متمسكا باعتقاده.

سمعت بعد مرور بعض الوقت من مبلغى الأول، الذى قال مع الكثير من الاعتذارات، إنه لم يكن من شأنه مراسلتى، لو لم يسمع هذا التصريح، يصدر عن العديد من المزارعين الأذكىاء، ولكنه قام بعد ذلك بالحديث مرة أخرى، مع كل واحد منهم، ولم يستوعب أى واحد، ما الذى كان يعنيه بكلامه. وبهذا الشكل، فلدينا هنا إيمان، - إذا كان من الممكن بالفعل تسمية أى تصريح بدون فكرة متعلقة به، على أساس أنه إيمان - قد انتشر فى جميع أرجاء إنجلترا تقريبا، بدون مقدار ذرة^(١) من الأدلة.

نمى إلى علمى على مدى حياتى، ثلاث حالات فقط من التصريحات العالمية المزيفة، ومن المحتمل أن واحدة منها قد كانت مجرد دعاية خادعة^(٢) (ولقد كان هناك العديد من الدعايات العلمية الخادعة)، إلا أنها رغم كل شيء، وجدت مكانا فى إحدى المجلات الزراعية الأمريكية. وكانت تتعلق بالاستيلاء فى "هولاندة" Holland، لسلالة جديدة من الثيران^(٣)، عن طريق التهجين^(٤) لأنواع متباينة من القبيلة الثيرانية^(٥)، (التي تصادف على علمى بأن بعضها عقيم بشكل تام)، وقد كان لدى الكاتب الصفاقة^(٦) الكافية للتصريح، بأنه ترأسل معى، وبأننى تأثرت بشكل عميق، بأهمية هذه النتيجة. وقد تم إرسال المقالة إلى، عن طريق القائم بإصدار إحدى المجلات الزراعية الإنجليزية، طالبا نصيحتى، قبل القيام بنشرها.

Vestige

(١) مقدار ذرة

Moax

(٢) دعاية خادعة •

Ox (Pl. Oxen)

(٣) ثور (جمعها ثيران)

Crossing

(٤) تهجين

Bos (Tribe)

(٥) القبيلة الثيرانية •

Impudence

(٦) صفاقة - وقاحة



لوحة (٤٤)
ٹوماس هوکسلی (فی شبابہ)

كانت الحالة الثانية تقريراً عن ضروب عديدة، تمت تربيتها بواسطة الكاتب، من أنواع متعددة من زهرة الربيع^(١)، التي قامت بالإنتاج بشكل تلقائي^(٢)، لمجموعة كاملة من البذور، بالرغم من أن النباتات الأبوية قد تمت حمايتها بعناية، من إمكانية وصول الحشرات إليها. وقد تم نشر هذا التقرير، قبل أن أكون قد اكتشفت، معنى تغاير قلم السمة^(٣)، ولا بد أن التصريح كان في مجموعه مخادعا^(٤)، أو أنه كان هناك إهمال في استبعاد الحشرات بشكل فادح، إلى حد يندر تصديقه.

كانت الحالة الثالثة أكثر غرابة، فقد نشر "السيد هوث" Mr. Huth، في كتابه عن "اقتران^(٥) وثيقى القربى^(٦)" Consanguineous Marriage، بعض المقتطفات عن أحد الثقات البلجيكيين، الذى قال إنه قام بالاستيلاء البينى^(٧) للآرانب، بطريقة حميمة إلى أقصى حد، للكثير جدا من الأجيال، بدون أى تأثيرات ضارة. وقد تم نشر التقرير فى أكثر المجلات العلمية احتراماً، وهى الخاصة بالجمعية الملكية البلجيكية Royal Society of Belgium، لكننى لم أستطع تجنب الشعور بالشك - ومن الصعب أن أقول لماذا، باستثناء أنه لم يكن هناك أى حادثة من هذا القبيل، وخبرتى فى استيلاء الحيوانات، تجعلنى أظن أن هذا بعيد الاحتمال جداً.

قامت بناء على ذلك بتردد كبير، بالكتابة إلى "الأستاذ فان بينيدين" Prof. Van Beneden لسؤاله، عما إذا كان الكاتب شخصاً جديراً بالنقّة. وسريعا ما تلقيت الإجابة، بأن الجمعية صدمت بشكل كبير، من اكتشاف أن التقرير بأكمله،

Primula = Primrose

Spontaneous

Heterostylism

Fraudulent

Marriage

Consanguineous

Interbreed

(١) زهرة الربيع

(٢) تلقائي - عفوى - ذاتى

(٣) تغاير قلم السمة *

(٤) مخادع

(٥) الاقتران

(٦) وثيقى القربى - من أصل واحد

(٧) الاستيلاء البينى *

كان خادعاً (تمت الإشارة إلى عدم صحة التصريحات المنشورة، التي قام السيد هوٲ" بالاعتماد عليها، عن طريقه شخصيا فى قصاصة، تم إلحاقها بجميع نسخ هذا الكتاب، الذى لم يبعه بعد ذلك). وقد تمت مواجهة الكاتب بشكل علنى فى المجلة، وتحديه بأن يقول أين قام بالتربية والاحتفاظ بقطيعه الكبير من الأرانب، أثناء قيامه بتجربته، التى لابد أنها استغرقت سنوات عديدة، ولم يمكن استخلاص أى إجابة منه.

كانت عادتى نظامية، ولم يكن لذلك أى فائدة ولو صغيرة، فى مجالى المحدد من العمل. وأخيرا أصبح لى مجال كبير للاستمتاع، نتيجة لأنه لم يكن على القيام بكسب معاشى. وقد قام حتى اعتلت صحته - ورغم إبادته لسنوات عديدة من حياتى - بحمايتى من التهات المجتمع ووسائل التسلية.

لذلك تم تحديد نجاحى كرجل علمى، مهما كان المدى الذى وصل إليه، حسب قدرتى على الحكم على الأشياء، عن طريق خواص ذهنية، وظروف معقدة ومتنوعة. وقد كان الأكثر أهمية من بينها: الحب للعلم والصبر الذى لا حدود له، فى قلب الفكر حول أى موضوع - والمثابرة على المراقبة والجمع-للحقائق - ونصيب عادل من الابتكار، علاوة على الحصافة. وأعتقد أنه مع مثل تلك القدرات المتوسطة، فإنه من المدهش بشكل حقيقى، أن يكون من شأنى التأثير إلى مدى له اعتباره، على إيمان الرجال العلميين، حول بعض النقاط المهمة.

الهوامش

١- منزل "السيد هنسلى ويدجوود" Mr. Hensleigh wedgwood فى "سارى"
Surrey.

٢- التى يديرها "المبجل ج. كاس" Rev. G. Case، قس Minister المصلى
التوحيدي Unitarian Chapel الموجود فى "هاى ستريت" High Street. وقد
كانت "السيدة داروين" توحيدية، وتتردد على مصلى "السيد كاس"، وكان أبى
عندما كان صبيا صغيرا يذهب هناك مع شقيقاته الكبريات سنا. ولكن تم
تعميد Christened كل من أبى وأخيه بقصد أن يكونا تابعين إلى كنيسة
إنجلترا Church of England، ويبدو بعد مرحلة صباه المبكرة أنه كان يذهب
فى العادة إلى الكنيسة وليس إلى مصلى "السيد كاس". واتضح (فى St.
James' Gazette، ١٥ ديسمبر ١٨٨٣) أنه تم إقامة لوح جدارى Mural
tablet لذكراه فى المصلى، الذى يعرف الآن باسم "الكنيسة المسيحية الحرة"
Free christian church.

٣- يتذكر "المبجل و. أ. ليتون" Rev. W.A. Leighton، الذى كان زميلا دراسيا
لأبى فى مدرسة "السيد كاس" جلبه لزهرة إلى المدرسة، قائلا إن والدته
علمته كيف يستطيع بالنظر إلى داخلية الزهور المتفتحة Blossom، اكتشاف
اسم النباتات. ويستطرد "السيد ليتون" بقوله "قام ذلك بلفت انتباهى وفضولى،
وسألته بشكل متكرر عن كيف يمكن القيام بذلك؟". لكن درسه كان بالطبع
غير قابل للفهم. [F.D.].

٤- منزل خاله "جوشوا ويدجوود" Josiah Wedgwood.

٥- "جوشوا ويدجوود"، ابن المشيد "لأعمال إتروريا" Etruria works.

٦- مقطع القصيدة الغنائية كان :-

Justum et tenacem propositivirum

Non civium ardor prava jubentium

Non vultus instantis tyranni

Mente quatit solida

٧- كان العاشر فى قائمة يناير ١٨٣١.

٨- "المبجل س. هويتلى" Rev. C. Whitley، الكاهن الشرفى Hon. Canon لـ "ديرهام" Durham، والذى كان من قبل قارنا فى الفلسفة الطبيعية Natural Philosophy فى جامعة "ديرهام".

٩- الراحل جون موريس هيربرت "Late John Maurice Herbert"، قاضى المحكمة الريفية Country Court فى "كارديف" Cardiff و"دائرة مونموث" Monmouth Circuit.

١٠- كان "سوم جينينز" Soame Jenyns المشهور جدا، من أبناء العمومة لوالد "السيد جينينز".

١١- قام "السيد جينينز" Mr. Jenyns (حاليا "بلومفيلد" Blomefield) بوصف الأسماك فى كتاب "حيوانيات البيجل" Zoology of the Beagle، وهو المؤلف لسلسلة طويلة من المقالات العلمية، التى تدور بشكل رئيسى عن علم الحيوان.

١٢- كان والدى فيما له علاقة بهذه الجولة- معتادا على سرد قصة تدور حول "سيدجويك" Sedgwick: حيث انطلقا من نزلهما فى صباح يوم، وبعد

أن قاما بالسير لمسافة ميل أو ميلين، توقف "سيدجويك" فجأة، وأقسم على العودة، لكونه متأكدا من "أن هذا الوغد = Scoundrel يقصد النادل = Waiter) لم يعط الخادمة المسئولة عن غرف النوم = Chambermaid سنة البنسات التي أمرت بتخصيصها لهذا الغرض. وتم في النهاية إقناعه بالتخلي عن هذا المشروع، ما دام لا يوجد هناك أى سبب يدعو إلى اتهام النادل بشكل خاص بالخيانة = Perfidy - [F.D.]

١٣- انظر Philosophical Magazine، عام ١٨٤٢.

١٤- المقصود "جوسيا ويدجود" Josiah Wedgwood.

١٥- تمت قراءة ذلك في الاجتماع الذى عقد فى ١٦ نوفمبر ١٨٣٥، وتم طبعه فى كتيب = Pamphlet من ٣١ صفحة، تم توزيعه فيما بين الأعضاء التابعين للجمعية.

١٦- فى شارع فيتزويليام Fitzwilliam Street.

١٧- انظر Geolog. Soc. Proc.، عام ١٨٣٨، صفحات ٤٤٦ - ٤٤٩.

١٨- فى عام ١٨٣٩، صفحات ٣٩ - ٨٢.

١٩- انظر Geolog. Soc. Proc.، الجزء الثالث، عام ١٨٤٢.

٢٠- انظر Geolog. Trans.، الجزء الخامس، عام ١٨٤٠.

٢١- انظر Geolog. Soc. Proc.، الجزء الثانى، عام ١٨٣٨.

٢٢- انظر Philosophical Magazine، عام ١٨٤٢.

٢٣- التكرار البسيط الملحوظ هنا يتم تفسيره عن طريق أن المذكرات التى تدور حول "لايل" Lyell، وغيره، قد تمت إضافتها فى إبريل ١٨٨١، وذلك بعد مرور بضع سنوات من كتابة باقى الاسترجاعات.

- ٢٤- انظر Geological Observations، الإصدار الثاني، عام ١٨٧٦. و Coral Reefs، الإصدار الثاني، عام ١٨٧٤.
- ٢٥- تم نشره بواسطة "جمعية الشعاع" Ray Society.
- ٢٦- أخطأت "الأنسة بيرد" Miss Bird، كما علمت من "الأستاذ ميتسوكوري" (F.D.) - Prof. Mitsukuri.
- ٢٧- انظر Geolog. Survey Mem، عام ١٨٤٦.
- ٢٨- تم البيع ما بين نوفمبر ١٨٨١ وفبراير ١٨٨٤، لـ ٨٥٠٠ نسخة.



لوحة (٤٥)
داروين فى العقد السادس

الجزء الثالث

استرجاعات عن حياة والدى اليومية

العادات والمظهر - الكلاب - المسيرات - ركوب الخيل - المراسلات - الأعمال - السعوط والتدخين - الموسيقى - الصور - القراءة - الرحلات - مع أطفاله - استرجاعات ابنته - الزوار - السلوك - الأصدقاء - العمل - الأسلوب - اعتلال الصحة.

أريد فى هذا الجزء تقديم صورة عن حياة والدى اليومية. وقد بدا لى أنه من الممكن القيام بهذا فى شكل وضع تصور سريع للحياة فى منزل "داون" Down، فى واحد من الأيام، الذى تتناثر فيه مثل تلك الاسترجاعات، بالشكل الذى يقوم التسجيل باستدعائها. ومن شأن الكثير من تلك الاسترجاعات التى لها معنى، بالنسبة لهؤلاء الذين كانوا على معرفة بوالدى، أن تبدو غير ممتعة^(١) أو تافهة^(٢) بالنسبة إلى الأغراب. ورغم ذلك، فقد قمت بتقديمها، أملا فى أنها قد تساعد على الحفاظ على ذلك الانطباع عن شخصيته^(٣)، الذى ما زال باقيا فى أذهان هؤلاء الذين عرفوه وأحبوه - وهو انطباع غاية فى الحيوية، ولا يمكن ترجمته إلى مجرد كلمات.

يصعب فى هذه الأيام ذات الصور المتعددة الطباعة^(٤) أن يكون من الضرورى قول الكثير عن مظهره الشخصى. فقد كان يبلغ حوالى ستة الأقدام فى الطول، لكنه نادرا ما كان يبدو طويل القامة، لأنه كان يحدوب^(٥) بقدر كبير، وقام

Colourless

Trifling

Personality

Multiplied

Stoop

(١) غير ممتع - عديم اللون

(٢) تافهة

(٣) الشخصية

(٤) متعدد (الطباعة)

(٥) يحدوب - يحنى ظهره

فى الأيام الأخيرة باستسلام للحديداب، لكننى أستطيع تذكر رؤيته منذ زمن طويل، وهو يطيح بذراعيه إلى الخلف، وفتح صدره على اتساعه، والاحتفاظ بنفسه فى وضع منتصب مشدود. وكان يعطى المرء الفكرة بأنه كان نشيطاً، أكثر من كونه قوياً: ولم تكن أكتافه عريضة بالنسبة لطول قامته، إلا أنها بالتأكيد لم تكن ضيقة. ولا بد أنه كان يتمتع فى شبابه، بقدر كبير من قوة التحمل، فقد حدث فى إحدى الرحلات البرية التى انطلقت من السفينة البيجل، عندما كان الجميع يعانون من ندرة المياه، أنه كان واحداً من الاثنين، اللذين كانا أفضل من باقى المجموعة، فى الاستمرار فى الكفاح بحثاً عن الماء. وكان نشيطاً فى صباه، وكان يستطيع القفز فوق حاجز^(١)، موضوع على ارتفاع "تفاحة آدم"^(٢) الموجودة فى عنقه.

كان يمشى بحركة متأرجحة^(٣)، مستخدماً عصا مبيطرة^(٤) بالحديد بشكل ثقيل، التى كان يدق بها بصوت مرتفع على الأرض، مصدراً أثناء سيره حول "ممشى الرمال" Sand-walk فى "داون"، صوت طقطقة^(٥) متواترة^(٦)، تمثل بالنسبة لنا جميعاً، ذكرى واضحة تماماً. وكان المرء كثيراً ما يرى عند عودته من جولته نصف النهارية، حاملاً المعطف الواقى من الماء^(٧) أو العباءة^(٨)، عندما يقوم بتفتنّه أكثر من اللازم، أنه كان يقوم بالاحتفاظ بخطواته المتأرجحة، بشيء من المجهود. وكانت خطواته داخل المنزل بطيئة ومجهدّة فى كثير من الأحيان، وكان من الممكن أثناء صعوده الدرجات بعد الظهر، سماع ارتقائه الدرجات، بوقع أقدام

Bar	(١) حاجز
Adam's apple	(٢) تفاحة آدم
Swinging	(٣) متأرجح
Shod	(٤) مبيطر - مزود بكعب أو حذوة
Click	(٥) صوت طقطقة - دقة
Rhythmical	(٦) متواتر - متكرر بانتظام - إيقاعى
The waterproof	(٧) المعطف الواقى من الماء
Cloak	(٨) عباءة - معطف فضفاضى

ثقيلة، كما لو كانت كل خطوة تمثل مجهودا. وكان يتحرك أثناء انهماكه في عمله، بشكل سريع وسهولة كافية، وكثيرا ما كان يقوم في منتصف قيامه بالإملاء، بالذهاب بتلفه إلى القاعة الرئيسية، للحصول على قبضة^(١) من السعوط^(٢)، تاركا باب غرفة المكتب^(٣) مفتوحا، وصائحا بالكلمات الأخيرة من جملته أثناء سيره. وكان يقوم بالاستخدام داخل المنزل أحيانا، لعصا من خشب البلوط^(٤)، تشبه العصا الألبية^(٥) الصغيرة، وكانت تلك علامة، على أنه يشعر بالدوار^(٦).

بالرغم من قوته ونشاطه، فإنني أعتقد أنه لم يكن يتمتع في أى وقت، بأى رشاقة في حركاته، وأنه كان غير بارع بطبيعته في استخدام يديه، ولم يكن قادرا على الرسم بشكل جيد على الإطلاق [1]. وقد كان يشعر دائما بالأسف لذلك بشكل كبير، وكان ينادى بشكل متكرر بالضرورة القصوى، لأن يسعى الباحث في التاريخ الطبيعى، إلى أن يجعل نفسه رساما^(٧) جيدا.

كان في استطاعته القيام بالتشريح بشكل جيد تحت المجهر^(٨) البسيط، لكنني أعتقد أن ذلك كان بفضل صبره ودقته البالغين. وكانت من الأشياء المميزة له، أنه كان يعتبر الكثير من التفاصيل الصغيرة، المتعلقة بالمهارة في التشريح، تمثل شيئا يتعدى المستوى البشرى. وكان معتادا على الحديث بإعجاب، عن البراعة التي شاهدها في تشريح "نيوبورت" Newport، لنحلة طنانة^(٩)، وفي قيامه باستخراج

-
- | | |
|-------------------------|---|
| Pinch | (١) قبضة |
| Snuff | (٢) السعوط = النشوق |
| Study | (٣) غرفة المكتب |
| Oak | (٤) خشب البلوط أو السنديان |
| Alpen stock | (٥) العصا الألبية: عصا بأفعلها حديدة مستنقة، لتسلق الجبال |
| Giddiness | (٦) دوار |
| Draughtsman = Draftsman | (٧) رسام |
| Microscope | (٨) المجهر = الميكروسكوب |
| Humble bee = Bumble bee | (٩) النحلة الطنانة |

الجهاز العصبى، ببضع جزات من مقص دقيق، ممسوكًا، كما كان أبى معتاذًا على التوضيح، مع الرفع للمرفق^(١)، وفى وضع جسمانى من شأنه بالتأكيد أن يؤدى، إلى غاية من الثبات الضرورى. وكان يعتبر القيام بتحضير المقاطع^(٢) أنجازا^(٣) عظيمًا، وقد قام فى السنة الأخيرة من عمره، بتحمل الكثير من العناء، بنشاط مدهش، لكى يتعلم كيفية القيام بتحضير مقاطع للجذور والأوراق النباتية. ولم تكن يده على درجة كافية من الثبات، للإمساك بالغرض الذى سوف يتم قطعه، وكان يقوم باستخدام قاطع مجهرى^(٤) عادى، الذى كان لب الإمساك بالغرض فيه مقموطًا^(٥)، وكان الموسى^(٦) ينزلق على سطح زجاجى، أثناء إنجاز المقاطع. وكان معتادا على السخرية من نفسه ومن مهارته فى جز المقاطع، التى كان يقول عنها، أنه "قائد النطق من فرط الإعجاب بها". ولكن لابد على الجانب الآخر، من أنه كان يتمتع بدقة العين، والقدرة على تنسيق^(٧) حركاته، حيث إنه كان ماهرا فى الرماية بالبندقية، عندما كان رجلا يافعا، وكان فى صباه ماهرا فى قذف الأشياء. وقد تمكن فى إحدى المرات، من قتل أرنب وحشى^(٨)، كان يجلس فى حديقة زهور "شروزبرى" بواسطة إلقاء بلية^(٩) تجاهه، وقام فى مرحلة الرجولة، فى إحدى المرات، بقتل طائر متصالب المنقار^(١٠) بقطعة من الصخر. وقد كان غاية فى التعاسة لقتله بدون نفع لهذا الطائر، لدرجة أنه لم يذكر ذلك لعدة سنوات، ثم قام بعد

Elbow	(١) مرفق = كوع
Section	(٢) مقطع
Feat	(٣) انجاز
Microtome	(٤) قاطع مجهرى = قاطع دقيق *
Clamped	(٥) مقموط: ممسوك بقطعة
Razor	(٦) الموس = المحلاق
Coordinate	(٧) ينسق
Hare	(٨) أرنب وحشى (مشقوق الشفة)
Marble	(٩) بلية: كرة صغيرة من الزجاج أو الرخام
Cross-beak	(١٠) الطائر متصالب المنقار *

ذلك بشرح الأمر، على أساس أنه لم يكن من شأنه إلقاء الحجر، لولا أنه شعر بشكل مؤكد، بأن حذقه القديم قد فارقه.

كان يقوم أثناء السير بحركة متململة^(١) بأصابعه، قام بوصفها في أحد كتبه على أساس أنها سلوك رجل عجوز. وكان كثيرا ما يقوم عند جلوسه بدون حركة، بالقبض على أحد معصميه^(٢) بواسطة اليد الأخرى، وكان يجلس وأرجله متقاطعة، ونتيجة لنحافتها البالغة، كان من شأنها أن تتصلب إلى حد بعيد جدا، كما يمكن أن ترى في إحدى الصور. وكان لديه كرسيه الخاص في غرفة المكتب، وفي غرفة الاستراحة^(٣)، اللذين تم رفعهما، لكي يكونا أعلى بكثير من الكراسي المعتادة، وقد تم القيام بذلك، لأن الجلوس على كرسي منخفض، أو أى كرسي معتاد، كان يتسبب له في البعض من عدم الراحة. وكنا معتادين أن نسخر منه، لأنه كان يجعل كرسيه العالي، الموجود في غرفة الاستراحة، أكثر ارتفاعا، عن طريق وضع مستقرات القدمين^(٤) عليه، ثم يقوم بعد ذلك بمعادلة^(٥) النتيجة، عن طريق إراحة أقدامه على كرسي آخر.

Fidgeting

(١) متململ

Wrist

(٢) معصم = رصغ

Drawing-room

(٣) غرفة الاستراحة • : لانسحاب بعد العشاء = المعيشة

Foot stool

(٤) مستقر للقدم •

Neutralise

(٥) يعادل



لوحة (٤٦)
بدأ "داروين" فى إطلاق لحيته
فى الستينيات من القرن.

كانت لحيته كثة وغير مشذبة تقريبا، وكان شعرها رماديا وأبيض، وكان ناعما أكثر منه خشنا، أو مموجا أو مجعدا^(١)، وكان شاربها مشوها بعض الشيء، بقصه قصيرا وبزاوية قائمة. وقد أصبح شديد الصلع^(٢)، ولم يبق لديه سوى حافة من الشعر الداكن من الخلف.

كان وجهه متورد اللون^(٣)، وربما جعل ذلك الناس يظنون أنه أقل اعتلا^(٤) عما كان عليه. وقد كتب إلى "الدكتور هوكر" Dr. Hooke (فى ١٣ يونيو ١٨٤٩) قائلا: "كل شخص يقول لى إننى أبدو ناضرا^(٥) وجميلا، ومعظمهم يظن أننى خجول، إلا أنك لم تكن على الإطلاق واحدا من هؤلاء". ولابد من تذكر، أنه كان فى ذلك الوقت مريضا^(٦) بشكل نعيس، بشكل أكبر بكثير من حاله فى السنوات التالية. وكانت عيونه رمادية تميل إلى الأزرق، تحت ظل حيود^(٧) عميقة متدلّية، مع حواجب عيون^(٨) سمكة كثة بارزة. وكانت جبهته المرتفعة مغضنة^(٩) بشكل كبير، ولكن عدا ذلك، لم يكن على وجهه الكثير من العلامات أو الخطوط، ولم تكن تعبيراته^(١٠) تظهر أى سمات تتم عن المشقة^(١١) المستمرة التى كان يعانى منها.

Frizzled	(١) مجعد (الشعر)
Bald	(٢) أصلع
Ruddy colour	(٣) متورد اللون
Invalid	(٤) معتل = مريض
Blooming	(٥) ناضر
Ill	(٦) مريض
Brows	(٧) حيود (العين) *
Eyebrows	(٨) حواجب العيون
Wrinkled	(٩) مغضن = مجعد
Expression	(١٠) تعبير
Discomfort	(١١) مشقة

عندما كانت تتم استثارته بمحادثة ظريفة، كانت تصرفاته بأكملها، تصبح مشرقة ومفعمة بالحياة^(١) بشكل مذهش، وكان وجهه يشترك بشكل كامل في هذه الحيوية العامة، وكانت ضحكته منطلقة ومرنانية^(٢)، كجلجلة الأجراس^(٣)، مثل تلك الخاصة بالإنسان، الذي يسلم نفسه بشكل ودي^(٤) وباستمتاع، إلى الشخص والغرض الذي قام بإضحائه. وكان يقوم في كثير من الأحيان، باستخدام نوع ما من الإيماء^(٥) مع ضحكته، مثل رفع ذراعيه إلى أعلى، أو الإنزال بوحدة منهما إلى أسفل بلطمة^(٦). وأعتقد بشكل عام، أنه كان ميالا إلى الإيماء، وكان يقوم في كثير من الأحيان باستخدام يديه، أثناء قيامه بشرح أى شيء (على سبيل المثال، التلقيح لزهرة)، بطريقة تبدو أنها كشيء مساعد لنفسه، عن كونها لمساعدة المستمع. وقد كان يقوم بذلك في المناسبات، التي من شأن معظم الناس، أن تلجأ فيها إلى توضيح تفسيراتهم، عن طريق الرسوم الإيضاحية السريعة، باستخدام القلم الرصاص.

كان يرتدى الملابس الداكنة، ذات القياس الفضفاض والسهل. وقام في السنوات الأخيرة، بالتخلي عن القبة العالية، وكان يقوم حتى عند وجوده في "لندن"، بارتداء قبة سوداء لينة في الشتاء، وقبة كبيرة من القش في الصيف. وكان لباسه خارج المنزل يتألف من العباءة القصيرة، التي أظهره فيها "إليوت" و"قراي" Fry، في الصورة الضوئية التي يستند فيها إلى عامود موجود في الشرفة^(٧). وكان الشيطان المميزان للباسه داخل المنزل، يتمثلان في قيامه بشكل دائم تقريبا،

Animated

(١) مفعم بالحياة

Sounding

(٢) مرنان

Peal

(٣) جلجلة الأجراس

Sympathetic

(٤) ودي - متجاوب • (من الشائع قصر ترجمتها على "متعاطف")

Gesture

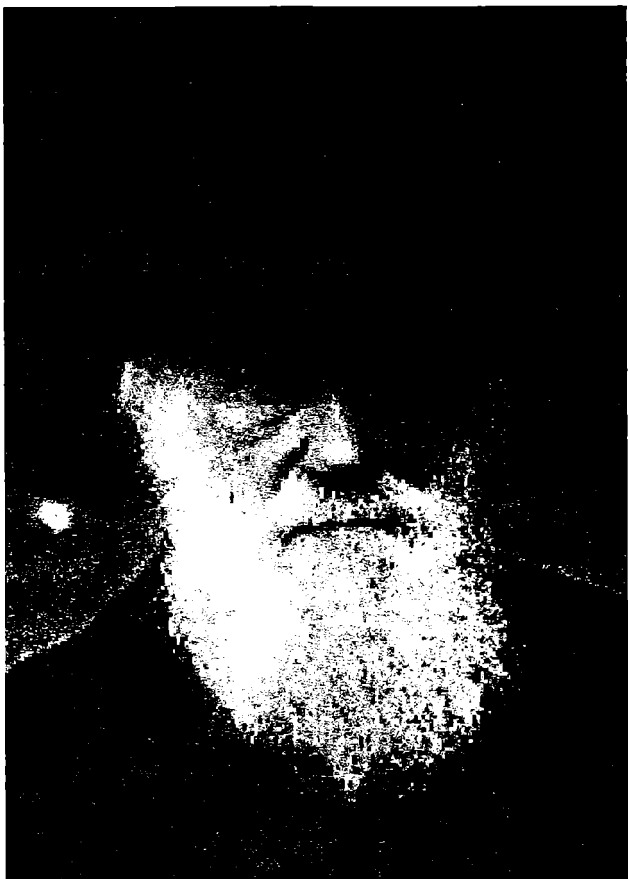
(٥) إيماء - إيماءة

Slap

(٦) لطمة - صفة

Verandah

(٧) شرفة



لوحة (٤٧)
داروين شيخا بقبعة لينة

بوضع شال فوق أكتافه، وكان لديه حذاء كبير طويل الرقبة من القماش مبطن بالفراء، الذى كان يستطيع ارتدائه، فوق الحذاء الذى يرتديه داخل المنزل. وكان يعانى مثل معظم الناس رقيقى الصحة^(١) من الحرارة، وكذلك من البرودة^(٢)، وبدا كما لو كان غير قادر على التوصل إلى الموازنة، بين التعالى فى الحرارة والتعالى فى البرودة، وكثيرا ما كان من شأن أى توتر ذهنى، أن يجعله يشعر بالحرارة الزائدة، بحيث كان من شأنه أن يقوم بخلع معطفه، إذا ارتبك شىء فى مسار عمله.

كان يستيقظ مبكرا، وقد كان ذلك بشكل رئيسى لأنه لم يكن يستطيع الاضطجاع فى السرير، وأعتقد أنه كان يفضل مغادرة الفراش، فى وقت أكثر تبكيرا عما كان يقوم به. وكان يقوم بجولة قصيرة قبل تناول الفطور، وهى عادة بدأت عندما ذهب لأول مرة إلى مؤسسة للشفاء بالماء^(٣). وقد احتفظ بهذه العادة، إلى نهاية حياته تقريبا. وكنت أحب وأنا صبى صغير، الخروج معه، ولدى إحساس مبهم باحمرار شروق الشمس فى الشتاء، واسترجاع الصحبة اللطيفة، وبنوع معين من التشريف والافتخار، فى القيام بذلك. وكان معتادا على بعث البهجة فى نفسى عندما كنت صبيا، عن طريق إخبارى، حتى فى مسيرتنا المبكرة، فى صبيحات الشتاء المعتمة، كيف تقابل مرة أو مرتين، مع ثعالب أثناء هرولتها^(٤) إلى مواطنها عند بزوغ الفجر^(٥).

كان يبدأ العمل على الفور بعد تناوله الإفطار منفردا، حوالى الساعة ٧،٤٥ صباحا، معتبرا الساعة والنصف الواقعة ما بين الثامنة والناسعة والنصف، أفضل الأوقات للعمل. ثم يأتى فى الساعة التاسعة والنصف، إلى غرفة المعيشة، للاطلاع

Delicate

Chilliness

Water-cure

Trotting

Dawning

(١) رقيق الصحة

(٢) برودة

(٣) الشفاء بالماء

(٤) هرولة = خيب

(٥) بزوغ الفجر

على رسائله - معلنا ابتهاجه إذا كان البريد خفيفا، وشاعرا في بعض الأحيان بالكثير من القلق، إن لم يكن كذلك. وكان من شأنه بعد ذلك، أن يستمع إلى القراءة وبصوت مرتفع لأى خطابات عائلية، وهو مضطجع على الأريكة^(١).

كانت القراءة بصوت مرتفع- التى كانت تتضمن جزءا من إحدى الروايات- تستمر إلى حوالى العاشرة والنصف، يعود بعدها للعمل إلى حوالى الساعة الثانية عشرة، أو بعدها بربع الساعة. و كان يعتبر عند هذا الوقت، أن عمله اليومى قد انتهى، ومن شأنه فى كثير من الأحيان، أن يقول بصوت راض: "لقد أنجزت عملا يوميا جيدا". وكان يقوم بعد ذلك بالخروج من المنزل، سواء كان الجو مطيرا أو صحوا، وكانت "پولى" Polly ، كلبته الأرضية البيضاء ترافقه فى الجو الصحو، لكنها كانت ترفض القيام بذلك فى الجو الممطر، أو كان من الممكن رؤيتها مترددة فى الشرفة، مع تعبير يمثل خليطاً من الاشمزاز^(٢)، والخزى^(٣) من افتقادها الشجاعة، إلا أن ضميرها كان يسود فى العادة وبمجرد أن يتبين لها بشكل واضح أنه ذهب، كانت لا تحتمل أن تبقى متخلفة عنه.



لوحة (٤٨)

أحد الكلاب التي كان "داروين" مشغولاً بها

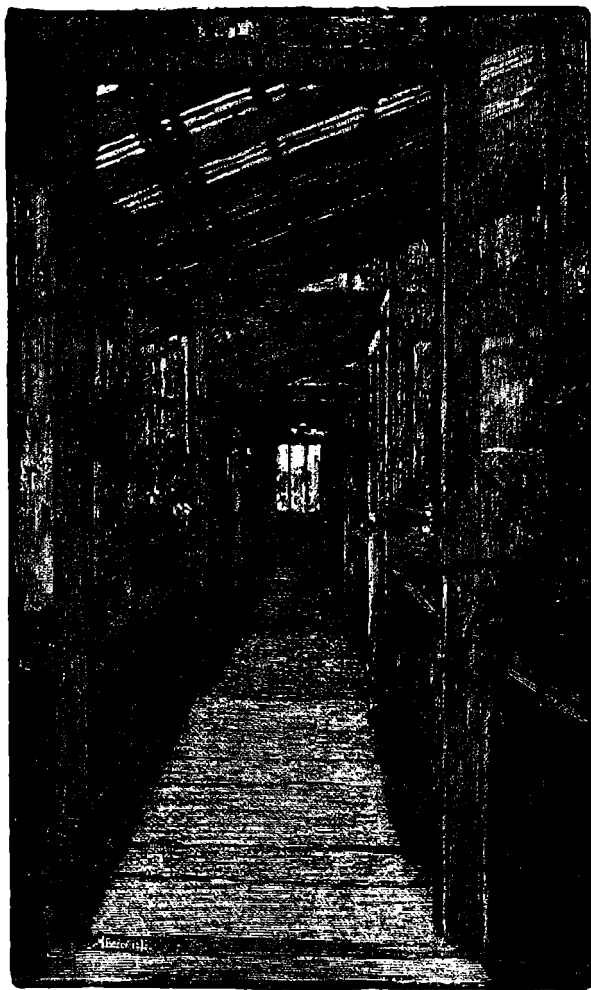
كان والدى مشغوفاً دائماً بالكلاب، وكانت لديه القدرة عندما كان يافعاً، على اختلاس مودة الحيوانات المدللة^(١) الخاصة بأخواته البنات، واكتسب عندما كان فى "كامبريدج"، حب كلب ابن عمه "و.د.فوكس"، وربما كان هذا هو الحيوان الصغير، الذى كان معتاداً على التسلل من أسفل داخل فراشه، وينام عند قدميه كل ليلة. وكان لدى والدى كلبٌ فظ^(٢)، والذى كان مخلصاً^(٣) له، ولكنه كان غير ودود لكل شخص آخر، وقد تذكره الكلب عند عودته من رحلة "البيجل"، ولكن بطريقة غريبة كان والدى مغرمًا بروايتها. حيث ذهب إلى الساحة، وصاح بطريقته القديمة، فاندفع الكلب خارجاً، وبدأ فى السير معه، غير مظهر لأى انفعال^(٤) أو استئارة، كما لو كان نفس الشيء قد حدث فى اليوم السابق، بدلاً من منذ خمس سنوات مضت. وقد تم استخدام تلك القصة، فى كتاب "نشأة الإنسان" Descent of Man، الإصدار الثانى، صفحة ٧٤.

مازلت أذكر اثنين فقط من الكلاب اللذين كانا على علاقة بوالدى. أحدهما كان كلباً مسترجعاً^(٥) ضخماً نصف أصيل^(٦)، لونه أسود وأبيض، يدعى "بوب" Bob، كنا مغرمين به كثيراً، عندما كنا أطفالاً. وقد كان هو الكلب الذى سردت عنه قصة "وجه البيت الدافئ"^(٧)، فى كتاب "التعبير عن الانفعالات" Expression of Emotions.

Pet	(١) حيوان منل أو أليف
Surly	(٢) فظ
Devoted	(٣) مخلص - متفانى
Emotion	(٤) انفعال
Retriever	(٥) كلب مسترجع
Half-bred	(٦) نصف أصيل
Hot-house	(٧) البيت الدافئ (للنباتات)

لكن الكلبة الأكثر ارتباطاً بوالدى، كانت تلك التى سبق ذكرها، "بولى"، وهى كلبة أرضية ثعلبية^(١) خشنة بيضاء اللون. وكانت كلبة حادة الذكاء^(٢) وحنونة^(٣)، وعندما كان سيدها يزعم الذهاب فى رحلة، كانت تكتشف دائما هذه الحقيقة، عن طريق علامات حزم الأغراض فى غرفة المكتب، وبناء عليه، كانت تصبح منخفضة المعنويات^(٤). وكانت تبدأ أيضا فى الشعور بالاثارة، عن طريق رؤية الإعداد لغرفة المكتب ترقبا لعودته إلى المنزل. لقد كانت كانتا ضئيلا ماكر^(٥)، وكانت معتادة على الارتجاف أو اتخاذ هيئة التعاسة، عندما يمر والدى عليها، أثناء انتظارها لوجبة العشاء، وكأنها تعرف بالضبط، أن من شأنه أن يقول عنها (كما كان يفعل فى كثير من الأحيان)، "أنها تتضور من الجوع"^(٦). وكان أبى معتادا على جعلها تقوم بالإمساك بقطعة من الكعك الجاف موضوعة على أنفها، وكانت لديه طريقة ودودة ومتسمة بالجلال^(٧)، فى القيام بالشرح لها قبل ذلك، بأنها لا بد أن تكون "فتاة صالحة جدا". وقد كانت لديها علامة على ظهرها، تمثل موضع حرق قديم، وعاد فيها الشعر إلى النمو بلون أحمر بدلا من الأبيض، وكان والدى يمدحها^(٨) على هذه الخصلة^(٩) من الشعر، على أساس أنها تتوافق مع نظريته المتعلقة بشمولية التكوين^(١٠)، حيث كان أبوها كلبا أرضيا ثورانيا^(١١).

Fox-terrier	(١) كلب أرضى ثعلبى *
Sharp-wit	(٢) ذكاء حاد
Affectionate	(٣) حنون = عطوف = ودود
Low-spirited	(٤) منخفض المعنويات
Cunning	(٥) ماكر
Famishing	(٦) يموت (يتضور) من الجوع
Mock-solemn	(٧) متسم بالجلال *
Commen	(٨) يمدح = يشئ على
Tuft	(٩) خصلة (من الشعر)
Pangensis	(١٠) شمولية التكوين (نظرية داروين عن الوراثة)
Bull-terrier	(١١) كلب أرضى ثورانى *



لوحة (٤٩)

مستدفاً النباتات الزجاجي

الملحق بمنزل "تشارلس داروين"

وهكذا كان الظهور للشعر الأحمر بعد الحرق، يوضح الوجود لبريهمات^(١) حمراء كامنة^(٢). لقد كان رقيقاً بشكل ممتع مع "بولى"، ولم يَقم على الإطلاق بإظهار أى نفاذ للصبر، تجاه سبل الرعاية التى كانت تحتاج إليها، مثل السماح لها بالدخول من الباب، أو الخروج من نافذة الشرفة، لكى تتبج على الأناس الأشقياء^(٣)، وهو واجب فرضته على نفسها، وكانت تستمتع كثيراً بالقيام به. وقد ماتت، أو بالأصح كان لابد من إنهاء حياتها، بعد أيام قليلة من وفاته [2].

كانت مسيرة منتصف اليوم لوالدى تبدأ فى العادة، بزيارة لببيت النباتات الزجاجي، حيث كان يقوم بالتطلع إلى أى بذور^(٤) نابتة^(٥)، أو أى من النباتات التجريبية، التى كانت تحتاج للفحص العارض، لكن كان من النادر أن يقوم على الإطلاق، بأى مشاهدة جادة فى ذلك الحين. ثم يذهب بعد ذلك فى تريضه^(٦)، سواء حول "الممشى الرملى" Sand-walk، أو إلى خارج حدود أرضه، فى الجوار الملاصق للمنزل. وكان الممشى الرملى عبارة عن شريط^(٧) ضيق من الأرض، تبلغ مساحته واحداً ونصف فدان^(٨)، مع ممشى من الحصى يحيط به. وكان يوجد على واحد من جوانبه أجمة^(٩) عريضة قديمة، بها أشجار سنديان ذات حجم متوسط، التى صنعت ممشى مستورا مظلاً، وكان الجانب الآخر مفصّولا عن الحقل العشبي المجاور، بواسطة سياج^(١٠) منخفض من نبات الزعرور البرى^(١١)، الذى كان من

Gemmules	(١) بريهمات = براعم صغيرة
Latent	(٢) كامن = دفين
Naughty	(٣) شقى = مشاغب
Seed	(٤) بذرة
Germinate	(٥) ينبت
Experimental	(٦) تريض = نزهة رياضية
Constitutional	(٧) شريط
Acre	(٨) فدان: مقياس للأرض بمساحة ٤٨٤٠ ياردة مربعة أى حوالى ٤٠٠٠ متر مربع
Shaw	(٩) أجمة = دغل
Hedge	(١٠) سياج
Quickset	(١١) نبات الزعرور البرى

المستطاع التطلع من فوقه، إلى المنظر الموجود هناك، وهو واد صغير هادئ، ينتهى فى الأرض المرتفعة، الموجودة تجاه حافة تل "وسترهام" Westerham، مع أَيْكة^(١) من أشجار البندق^(٢)، وغابة^(٣) من أشجار الأرز^(٤)، وهى البقايا لما كانت فى الماضى غابة شاسعة، تمتد إلى طريق "وسترهام". ولقد سمعت والدى يقول، إن سحر هذا الوادى البسيط الصغير، هو الذى ساعد على جعله يستقر فى "داون".

قام والدى بزراعة الممشى الرملى بأنواع مختلفة من الأشجار، مثل البندق، والحمراية^(٥)، والزيزفون^(٦)، والدردار المستدق^(٧)، والبتولا^(٨)، والنوار الأبيض^(٩)، والقرنوس^(١٠)، ومع صف طويل من نباتات البهشية^(١١) على طول الجانب المكشوف. وكان يقوم فى الأيام الخوالى بعدد معين من الدورات كل يوم، وكان معتادا على إحصائها باستخدام كومة من صخور الصوان، التى كان يركل واحدة منها لكى تستقر على الممشى، فى كل مرة يمر فيها على الكومة. وأعتقد أنه فى السنوات الأخيرة، لم يكن يلتزم بعدد معين من الدورات، لكنه كان يقوم بأكبر عدد يشعر بالقدرة عليه. وكان الممشى الرملى يمثل أرض اللعب بالنسبة لنا ونحن أطفال، وكنا نرى هنا والدى باستمرار عند سيره حوله. فقد كان يحب أن يرى ما الذى نقوم به، وكان مستعدا دائما للتعاطف مع أى لهو يدور. ومن اللافت للنظر

Coppice	(١) أَيْكة
Hazel	(٢) شجر البندق
Wood	(٣) غابة
Larch	(٤) شجر الأرز = الأرزية: من الفصيلة الصنوبرية
Alder (tree)	(٥) شجر الحمراية = حورة رومية = جار الماء: شجر حرجى يألف الماء
Lime tree	(٦) شجر الزيزفون
Hornbeam	(٧) شجر الدردار المستدق *
Birch	(٨) شجر البتولا = التامول = شجر القضبان
Privet	(٩) شجر النوار الأبيض = ياسم = فاغو
Dogwood	(١٠) شجر القرنوس = القرانيا
Holly	(١١) نبات البهشية = عود الخير = شرابة الراعى = طيم

التفكير فى أن ارتباط الممشى الرملى مع والدى، يجعل استرجاعى المبكرة إلى أقصى حد، تتوافق مع استرجاعى الأخيرة، وهى توضح كيف كانت عاداته غير قابلة للتغيير .

عندما كنا ننفرّد ببعضنا فى بعض الأحيان، كان يقف ثابتاً أو يسير بانسلا(١)، لمراقبة الطيور أو الحيوانات(٢). وقد قامت فى إحدى هذه المرات، بعض السناجب(٣) البافعة بالركض متسلقة ظهره وساقيه، فى الوقت الذى كانت أمها تتبج عليها بالتباج، من أعلى الشجرة . وكان يستطيع دائما العثور على أعشاش الطيور، حتى إلى السنوات الأخيرة من حياته، وكنا ونحن أطفال نعتبر أن لديه نبوغا خاصا للقيام بهذا الاكتشاف. وكان يلتقى مصادفة أثناء تجولاته الهادئة مع الطيور الأقل شيوعا، لكننى أظن أنه كان معتادا على إخفائها عنى عندما كنت صبيّا صغيرا، لأنه لاحظ المعاناة الذهنية التى كنت أتحملها لعدم رؤيتى طائر السسكين(٤) أو الحسون الذهبى(٥). أو أى طائر كان . وكان يروى لنا، كيف أنه كان يزحف بدون إحداث صوت فى الغابة الكبيرة، عندما عثر على ثعلب نائم أثناء النهار، والذى بوغت بشكل كبير، إلى درجة أنه أخذ فى التحديق فيه لوقت طويل، قبل أن يقوم بالفرار. وقد كان بصحبته كلبٌ مستدق الخطم(٦)، الذى لم يظهر أى علامة من الاستثارة عند مشاهدته للثعلب، وكان معتادا على إنهاء القصة بالتعجب، من كيف كان الكلب واهن العزيمة.

Stealthily

(١) بانسلا

Beasts

(٢) الحيوانات

Squirrel

(٣) سنجاب

Siskin

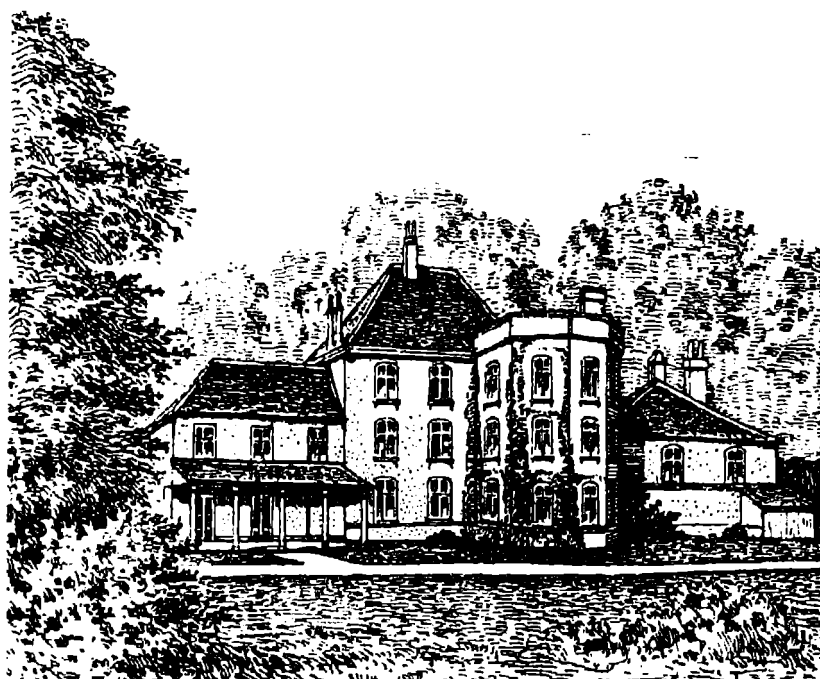
(٤) طائر السسكين : كالحسون ولكنه حاد المنقار

Goldfinch

(٥) طائر الحسون الذهبى: من المصافير

Spitz dog

(٦) كلب مستدق الخطم *



لوحة (٥٠)

منزل "تشارلس داروين" في بلدة "داون"

كان المكان المفضل الآخر هو "منحدر السحلب"^(١) Orchis Bank، الذى يقع فوق وادى "كودهام" Cudham الهادئ، حيث تنمو أشجار ذباب السحلب^(٢) ومسك السحلب^(٣)، فيما بين أشجار السرو الجبلى^(٤)، ورأسيات المآبر^(٥) والنيوتيا^(٦)، تحت أغصان^(٧) أشجار الزان^(٨)، وكان مغرما أيضا بالغابة الصغيرة "هانجرووف" Hangrove، التى تقع فوق الأولى مباشرة، وأتذكر هنا قيامه بجمع الأعشاب، عندما أصبحت لديه هواية اكتشاف أسماء الأصناف الشائعة هناك. وكان مغرما باقتباس قول أحد أولاده الصغار، الذى قام عند عثوره على أحد الأعشاب التى لم يرها والده من قبل، بوضعه بجوار طبقه أثناء تناول العشاء، معلقا بقوله "أنا مكتشف فوق العادة للعشب!".

كان والدى يستمتع بشكل كبير بالتجول ببطء فى الحديقة، بصحبة والدتى أو البعض من أطفاله، أو تكوين مجموعة تجلس على أريكة خشبية، موجودة على المرج المعشوشب^(٩)، إلا أنه كان يقوم عادة بالجلوس على العشب، وأتذكر أنه كان كثيرا ما يستلقى تحت إحدى أشجار الزيزفون الضخمة، واضعا رأسه على الرابية^(١٠) الخضراء الموجودة عند قاعدتها. وكان يتم فى الجو الصيفى الجاف، أثناء جلوسنا فى الخارج، سماع العجلة الهوائية^(١١) الخاصة بالبنر^(١٢)، وهى تدور

Orchis	(١) السحلب
Fly-orchis	(٢) شجر ذباب السحلب
Musk-orchis	(٣) شجر مسك السحلب
Juniper	(٤) شجر السرو الجبلى - العرعر - شيزى
Cephalanthera	(٥) شجر رأسيات المآبر
Neottia	(٦) شجر النيوتيا #
Bough	(٧) غصن أو فرع شجرة
Beech	(٨) شجر الزان
Lawn	(٩) المرج المعشوشب *
Mound	(١٠) رابية
Fly-wheel	(١١) العجلة الهوائية *
Well	(١٢) بنر

حول محورها بشكل مألوف، وأصبح هذا الصوت بهذا الشكل مرتبطاً بتلك الأيام السعيدة. وكان يحب في العادة أن يراقبنا، ونحن نقوم بلعب كرة المضرب على الأرض المعشوشبة^(١)، وكثيراً ما كان يقوم بإعادة أى كرة شاردة^(٢) إلينا، عن طريق قرعها بمقبض عصاه المقوس.

رغم عدم قيامه بالاشتراك الشخصى فى أعمال الحديقة، فإنه كان يستمد الكثير من البهجة من جمال الزهور، مثل مجموعة زهور الغار الشيحى^(٣)، التى كانت عادة ما تحتل مكاناً فى غرفة المعيشة. وأعتقد أنه كان يقوم فى بعض الأحيان بدمج إعجابه بتركيب أى زهرة، مع جمالها الجوهري^(٤)، مثل حالة الأزهار الضخمة المتدلية^(٥)، ذات اللون القرنفلى^(٦) والأبيض، الموجودة فى الزهور ثنائية الأغلفة^(٧). وكان لديه بنفس الطريقة تعلق، نصف فنى ونصف علمى نباتى، بزهور التبغ الهندى^(٨) الضئيلة الزرقاء. وكان من شأنه فى كثير من الأحيان أثناء اعترافه بالإعجاب بها، أن يسخر من الألوان الفنية الغبراء مرتفعة المستوى، ويقابلها^(٩) بمسحات الطبيعة اللونية الزاهية. وكنت أحب سماعه وهو يقوم بالتعبير عن إعجابه، بجمال زهرة، وكأنه ضرب من الشعور بالعرفان بالجميل للزهرة نفسها، وولع شخصى بشكلها الرقيق ولونها. ويبدو أنى مازلت أتذكر قيامه بلمس أى زهرة، تبعث فيه البهجة، وكان ذلك نفس الإعجاب البسيط، الموجود لدى أى طفل.

Lawn-tennis

(١) لعب كرة المضرب على أرض معشوشبة •

Stray

(٢) شارد

Azalea

(٣) زهر الغار الشيحى - بقيل - الأزاليا

Intrinsic

(٤) جوهري - داخلى

Pendulous

(٥) متدلى

Pink

(٦) لون قرنفل

Dielytra

(٧) الزهور ثنائية الأغلفة أو الأغمد •

Lobelia

(٨) نبات التبغ (الدخان) الهندى

Contrast

(٩) يقابل - يفاير

كان لا يستطيع الامتناع عن إضفاء الصفات البشرية^(١) على الأشياء الطبيعية. وكان هذا الشعور يبرز في السباب، كما يبرز في المديح - وعلى سبيل المثال، كان يقول عن البعض من النباتات - تلك المتسولات^(٢) الضئيلات يفعلن بالضبط، ما لا أريدهن القيام به". وكان من شأنه أن يتحدث بطريقة نصف مستفزة ونصف معجبة، عن إيداع^(٣) ورقة شجر السنط^(٤)، في القيام بلولة نفسها خارجة^(٥) من حوض ماء، حاول القيام بتثبيتها داخله. ومن الممكن للمرء أن يرى نفس الروح، في الطريقة التي يتحدث بها عن نبات الندية^(٦)، والديدان الأرضية، وخلافهما [3].

في حدود تذكري، فإن الاستجمام^(٧) الآخر الوحيد له، بجانب السير، قد كان ركوب الخيل، الذي قام باتباعه بناء على توصية من "الدكتور بنس جونز" Dr. Bence Jones، وقد حالقنا الحظ في العثور له، على أسلس وأهدأ جواد كبة^(٨) في العالم، وقمنا بترتيب عدد من الدورات القصيرة، التي كانت كفيلة بعودته إلى المنزل، في الوقت المحدد لوجبة الغذاء. ويتناسب ريفنا مع هذا الغرض، نتيجة إلى العدد الكبير من الوديان الصغيرة، التي تعطي تنوعا، لما قد يكون في أى بلد منبسطة، مجرد دورة مملة على الطريق. وأعتقد أنه لم يكن مغرما بالحياد بطبيعته، ولا كانت لديه فكرة مرتقعة عن ذكائها. وكثيرا ما كانت تتم السخرية من "تومى" Tommy، للوجل الذى كان يظهره، عند المرور والعودة إلى المرور أمام نفس الكومة، من بقايا تقليم السياج، أثناء السير حول الحقل. وأعتقد أنه كان يشعر

-
- | | |
|-----------------|--|
| Personify | (١) إضفاء الصفات البشرية |
| Beggar | (٢) متسول = شحاذ |
| Ingenuity | (٣) إيداع |
| Mimosa = Acacia | (٤) شجر السنط = الخرنوب المصرى |
| Screw out | (٥) يلولب إلى الخارج * |
| Sundew | (٦) نبات الندية = ورود الشمس = الدروسيرة |
| Recreation | (٧) الاستجمام |
| Cob | (٨) جواد كبة * |

بالدهشة من نفسه، عندما يتذكر كيف كان ممطياً^(١) جسوراً للجياذ، وكيف أن التقدم في العمر والاعتلال في الصحة، قد انتزعا جلده بشكل تام. وكان من شأنه القول، أن امتطاء الجياذ كان يمنعه من التفكير بشكل أكثر فاعلية بكثير عن المشى - وأن اضطرابه للانتباه إلى الجواد، كان يعطيه مشغولية كافية، لمنع أى تفكير عميق حقيقى. لكن التغيير فى المناظر الذى حصل عليه، كان شيئاً جيداً لمعنوياته ولصحته.

حدث لسوء الحظ، أن سقط "تومى" بشكل ثقيل وهو عليه، على طريق "كيستون" Keston العمومى. وقد قام ذلك، علاوة على حادث مع جواد آخر، بإحداث اضطراب فى أعصابه، وبناء على ذلك تم نصحه بالإقلاع عن ركوب الخيل.

إذا كان لى الذهاب إلى أبعد من تجربتى الخاصة، واسترجاع ما سمعته من قول عن ولعه بالرياضة وخلافها، فإننى أستطيع التفكير فى أشياء كثيرة، ولكن الكثير منها من شأنه أن يكون تكراراً، للموجود فى استرجاعاته. فقد كان مغرماً وهو فى المدرسة، بلعبة ضرب الكرة الخماسى^(٢)، وكانت تلك هى اللعبة الوحيدة التى يجيدها. وكان مغرماً ببندقية عندما كان صبياً صغيراً، وأصبح رامياً ماهراً، وكان معتاداً سرد قيامه فى أمريكا الجنوبية، بقتل ثلاثة وعشرين طائر شنقب^(٣)، بأربع وعشرين طلقة. وكان حريصاً أثناء روايته للقصة، على إضافة، أنه يظن أنها لم تكن على نفس الدرجة من الضراوة، مثل طائر الشنقب الإنجليزى.

Ride

Bat-fives

Snipe

(١) يمتطى = يركب (الجياذ)

(٢) لعبة ضرب الكرة الخماسى *

(٣) طائر الشنقب

كانت وجبة الغداء^(١) فى "داون" تأتى، بعد مسيرة منتصف النهار، وهنا يعنى لى أن أقول كلمة أو كلمتين، حول وجباته بشكل عام. حيث كان لديه ولع صبيانى بالحلويات^(٢)، وكان ذلك لسوء الحظ بالنسبة له، حيث كان يتم منعه بشكل مستمر عن تناولها. ولم يكن ناجحاً بشكل خاص فى الحفاظ على "عهوده"^(٣)، كما كان يطلق عليها، التى كان يقطعها على نفسه ضد تناول الحلويات، ولم يكن يعتبرها ملزمة له على الإطلاق، إلا إذا قطعها على نفسه بصوت مرتفع.

كان يشرب القليل من النبيذ^(٤)، ولكنه كان يستمتع به، ويصبح منتعشاً بالمقدار الضئيل الذى يحتسيه. وقد كان لديه دعر من احتساء الخمر، وكان يقوم باستمرار بتحذير أولاده من أنه من الممكن لأى شخص، أن ينفاد إلى شرب الخمر بإسراف. وأتذكر فى براعتى كصبي صغير، أننى قمت بسؤاله ما إذا كان قد شعر بالترنح من السكر فى يوم من الأيام، وقد أجاب بوقار شديد، إنه يشعر بالخزى لأن يقول، إنه احتسى فى يوم من الأيام، قدراً كبيراً من الخمر فى "كامبريدج". وقد قام ذلك بالتأثير على بشكل كبير، حيث إننى أعلم الآن، المكان الذى كان موضع هذا التساؤل.

كان يقوم بعد تناوله الغداء، بمطالعة الصحيفة اليومية، وهو مستلق على الأريكة الموجودة فى غرفة المعيشة. وأعتقد أن الصحيفة كانت المادة غير العلمية الوحيدة، التى كان يقوم بقراءتها لنفسه. أما كل شئ آخر، من روايات، وقصص رحلات، وتاريخ، فكانت تتم قراءتها له بصوت مرتفع. وكان لديه اهتمام واسع بالحياة، بحيث كان هناك الكثير الذى يقوم بشغل باله فى الصحف اليومية، رغم أنه

Luncheon

Sweets

Vow

Wine

(١) وجبة الغداء

(٢) حلويات = الأشياء الحلوة المذاق

(٣) عهد = وعد

(٤) النبيذ

كان يسخر من الإسهاب^(١) في المجادلات^(٢)، وأعتقد أنه كان يقوم بقراءتها بشكل مختصر فقط. وقد كان اهتمامه بالسياسة شينا له اعتباره، إلا أن آراءه فيما يخص تلك الأمور، قد تم تشكيلها بطريقة عارضة، عنها عن طريق أى كمية جدية من التفكير.

بعد الانتهاء من قراءة جريدته، يحل وقت تحرير الرسائل، التى كان يقوم بتدوينها بالإضافة إلى مخطوطات كتبه، أثناء جلوسه على كرسى ضخم من شعر الجياد، موضوع بجوار المدفأة، بينما تكون الأوراق مرتكزة على لوح من الخشب، مستقر على ذراعى الكرسي. وعندما كان عليه كتابة خطابات كثيرة أو طويلة، كان من شأنه أن يقوم بإملائها من نسخة مبدئية، وكان يتم تدوين تلك النسخ المبدئية، على ظهور المخطوطات اليدوية أو صفحات المراجعة، وكانت غير قابلة للقراءة تقريبا، وفي بعض الأحيان، حتى بالنسبة إليه شخصا. وكانت لديه قاعدة خاصة بالاحتفاظ بجميع الخطابات التى تلقاها، وكانت تلك عادة تعلمها عن والده، وقال إنها كانت ذات نفع كبير له.

كان يتلقى الكثير من الرسائل الصادرة عن أناس أغبياء، ومستهترين، وكانت جميعها تتلقى ردودا. وكان معتادا على القول بأنه إذا لم يرد عليها، فسوف يقع ذلك على ضميره فيما بعد، ولاشك أن الكياسة التى كان يقوم بها الرد على كل شخص، كان لها القدر الكبير من التأثير، الذى نتج عنه الإحساس العام والواسع الانتشار بلطف طبيعته، والذى كان واضحا بشكل كبير عند وفاته.

لقد كان غاية فى المراعاة لمراسليه فى أشياء أخرى أقل أهمية، وعلى سبيل المثال، فعندما كان يقوم بإملاء خطاب موجه إلى شخص غريب، كان من النادر إغفال أن يقول لى "من الأفضل أن تحاول إجادة الكتابة، لأنه موجه إلى شخص

غريب". وكان يتم تحرير خطابه في العادة، مع الافتراض بأن من شأنها أن تقرأ باستهتار، ولهذا، كان يحرص على أن يقول لى أثناء قيامه بالإملاء أن أجعل أى عبارة مهمة تبدأ بفقرة واضحة، "لكى تقوم باصطيد عينه"، وكان يقوم بترديد ذلك فى كثير من الأحيان. أما عن مقدار تفكيره فى المعاناة التى كان يتسبب فيها للآخرين، عن طريق توجيه الأسئلة إليهم، فإن ذلك سوف يتم توضيحه بشكل كامل، عن طريق الاطلاع على خطابه. ومن الصعب أن يقال أى شىء، حول اللهجة العامة المتبعة فى خطابه، فإنها سوف تقوم بالحديث عن نفسها. وقد كانت المجاملة غير المتغيرة الموجودة بها مثيرة للانتباه بشكل كبير، ولدى إثبات على تلك الصفة، من الشعور الذى كان يكنه له "السيد هاكون" Mr. Hacon، وهو محاميه الخاص. فرغم أنه لم ير والدى على الإطلاق، فإنه كان يحمل له شعورا مخلصا بالصدقة، وكان يتكلم بشكل خاص عن خطابه، على أساس أنه من النادر لأى إنسان، أن يتلقى شىئا عن طريق العمل مثل: "كل شىء قمت به كان صحيحا، وكل شىء مشكور بشكل غامر".

كانت لديه صيغة^(١) مطبوعة لاستخدامها فى الرد على المراسلين المزعجين^(٢)، ولكن كان من النادر أن يقوم باستخدامها، وأعتقد أنه لم يجد على الإطلاق أى مناسبة تدعوه إلى استخدامها بطريقة مفيدة. وقد تلقى خطابا من شخص غريب، يحتوى على أن الكاتب أخذ على عاتقه تأييد نظرية التطور فى اجتماع جدالى، ولكونه رجلا يافعا كثير المشغولية، وليس لديه وقت للقراءة، فإنه يرغب فى الحصول على مجمل يدور حول آراء والدى. وقد تلقى حتى ذلك الرجل العجيب ردا متمدنا، رغم أنني أعتقد أنه لم يحصل على الكثير من المعلومات من أجل حديثه. وكانت لديه قاعدة للقيام بتقديم الشكر لمانحي^(٣) الكتب، ولكن ليس

Form

Trouble some

Donor

(١) صيغة

(٢) مزعج .

(٣) مانح

لما نحى النشرات^(١). وقد عبر في بعض الأحيان عن دهشته، من قيام القليل من الناس بشكره، على كتبه التي كان يقوم بتوزيعها بشكل سخي، وقد قامت الخطابات التي تلقاها بمنحه القدر الكبير من السرور، لأنه كان معتادا تكوين تقدير غاية في التواضع، عن قيمة جميع أعماله، إلى درجة أنه كان يشعر بالمباغطة الحقيقية للاهتمام الذي تقوم باستثارته.

كان حريصا فيما يتعلق بأمور المال والأعمال، ودقيقا بشكل ملحوظ. وكان يقوم بالاحتفاظ بالحسابات بعناية شديدة، ويقوم بتصنيفها، وموازنتها عند نهاية العام، مثل أى تاجر. وأتذكر الطريقة السريعة التي كان من شأنه اتباعها، لتناول دفتر حساباته، لكي يقوم بتسجيل كل إيصال مصرفي^(٢) تم دفعه، كما لو كان في عجلة لتسجيله، قبل أن ينساه. ولا بد أن والده سمح له بالاعتقاد، بأن من شأنه أن يكون أكثر فقرا، عما كان في واقع الأمر، وذلك لأنه لابد أن البعض من الصعوبة التي واجهها في العثور على منزل في الريف، قد نبعت من المبلغ المتواضع الذي شعر أنه قادر على دفعه. إلا أنه كان يعلم بالطبع، أن من شأنه أن يكون في ظروف ميسرة، حيث يذكر ذلك في "استرجاعاته"، على أساس أنه واحد من الأسباب التي دفعته إلى عدم العمل على دراسة الطب بحماس شديد، بشكل مماثل لما كان من شأنه أن يقوم به، لو كان هناك اضطراب لكسب معيشته.

كان لديه تدبير بالنسبة للأوراق، لكنه كان هواية بشكل أكبر من كونه تدبيراً حقيقياً. حيث كان يتم الاحتفاظ بجميع الصفحات الخالية من الكتابة، الموجودة في الخطابات المتلقاة، في حافظة أوراق، لكي يتم استخدامها في كتابة الملاحظات، وقد كان احترامه لأوراق الكتابة هو الذي جعله يقوم بالكتابة بهذا القدر الكبير، على ظهور صفحات مخطوطاته القديمة، إلا أنه قام بهذه الطريقة، لسوء الحظ، بتدمير أجزاء ضخمة من مخطوطات كتبه الأصلية. وقد امتد شعوره تجاه الورق إلى

فضلات الأوراق، وكان يقوم بالاعتراض، بشكل شبه مازح، على العادة الناتجة عن اللامبالاة، بإلقاء أى لفافة ورقية^(١) فى نار المدفأة، بعد استخدامها فى إشعال شمعة.

كان والدى سخيا وكراما بشكل مدهش تجاه جميع أطفاله، فيما يتعلق بشئ من المال، ولدى سبب خاص لتذكر لطفه، عندما أفكر فى الطريقة التى قام بها، بتسديد بعض ديونى فى "كامبريدج" - وجعلها تبدو تقريبا، كما لو كانت فضيلة منى، أن قمت بإبلاغه عنها. وكان لديه فى السنوات الأخيرة من عمره، مخطط رقيق وكرام، لتقسيم ما يزيد عن حاجته فى نهاية العام، فيما بين أطفاله.

كان لديه احترام كبير للقدرة على القيام بالأعمال الحرة^(٢)، وكثيرا ما كان يتحدث بإعجاب عن أحد الأقارب، الذى استطاع مضاعفة ثروته. وكثيرا ما كان يقول عن نفسه بشكل مازح، أن الشئ الذى يفخر به فى الحقيقة، هو النقود التى قام بادخارها. وكان لديه شعور بالإشباع من النقود التى جناها عن طريق كتبه. وقد كان تلهفه على الادخار ناشئا بقدر كبير، عن مخاوفه من ألا يتمتع أطفاله بقدر كاف من الصحة، لاكتساب معيشتهم، وهو هاجس^(٣) كان يلزمه لكثير من السنين. ولدى استرجاع باهت لقوله "شكرا للرب، سوف يكون لديكم خبز وجبن"، وقد كنت يافعا جدا، بحيث كنت أميل إلى أخذ هذه المقولة بمعناها الحرفى.

كان يستريح بعد الانتهاء من الخطابات، حوالى الساعة الثالثة من بعد الظهر، فى غرفة نومه، مستلقيا على الأريكة، ومدخنا لللفافة من التبغ^(٤)، ومنصتا لرواية أو كتاب آخر غير علمى. وكان يقوم بالتدخين فى وقت راحته فقط، بينما كان السعوط بمثابة منبه له، وكان يقوم بتناوله أثناء ساعات العمل. وقد داوم على

Spill

Pure business

Foreboding

Cigarette

(١) لفافة ورقية

(٢) الأعمال الحرة *

(٣) هاجس

(٤) لفافة تبغ

تتاول السعوط لسنوات طويلة من حياته، حيث إنه تعلم هذه العادة منذ كان طالبا في "إدنبرة". وكانت لديه علبة سعوط جميلة من الفضة، أهدتها له "السيدة ويدجوود"، سيدة "مير"، والتي كان شديد الاعتزاز بها - لكنه نادرا ما كان يقوم بحملها، حيث كان من شأن ذلك أن يغريه على تناول عدد كبير من القبصات. وقد تحدث في أحد خطاباته المبكرة عن إقلاعه عن السعوط لمدة شهر، ووصف شعوره "بأنه أصبح كسولا^(١) وغيبيا^(٢) وسوداويا^(٣) إلى أقصى حد". وقد أخبرني جارنا وكاهننا السابق، "السيد برودى إنز" Brodie Innes، أن والدي قام في وقت ما باتخاذ قرار، بالآلا يتناول السعوط إلا إذا كان بعيدا عن المنزل، وأنه قال "هذا أفضل ترتيب بالنسبة لى" ثم أضاف: "لأنى أحتفظ بالصندوق فى غرفة مكتبى، التى أستطيع الوصول إليها من الحديقة، دون الحاجة إلى استدعاء الخدم، وأن يكون من المتاح لى بشكل أكثر تكرارا عن المعتاد، أن أحظى ببيض دقائق من المحادثة مع صديقى العزيز". وكان يقوم فى العادة بتناول السعوط من جرة زجاجية^(٤) موضوعة على منضدة البهو، حيث كان الاضطراب للقيام بقطع تلك المسافة، يمثل عامل كبح بسيطاً، وكانت صلصلة^(٥) غطاء جرة السعوط، صوتاً مألوفاً جداً. وكان من شأنه فى بعض الأحيان، أن يترأى له أثناء جلوسه فى غرفة المعيشة، أن نار المدفأة الموجودة فى غرفة المكتب، قد تكون منخفضة، ولكن عندما يتطوع أى واحد منا للذهاب لمراعاتها، يتبين أنه كان يرغب أيضا، فى الحصول على قبصة من السعوط.

Lethargic

(١) كسول

Stupid

(٢) غيبى

Melancholy

(٣) سوداوى - كئيب - حزين

Jar

(٤) جرة (زجاجية) - مرطبان

Clink

(٥) صوت صلصلة

بدأ والدى فى التدخين بشكل دائم فى سنواته الأخيرة فقط، رغم أنه كان قد تعلم التدخين أثناء رحلاته على صهوات الجياد، فى سهول "الپامپا" Pampas، بأمريكا الجنوبية مع الـ "جواكين" Gauchos، ولقد سمعته يتحدث عن الراحة البالغة الناتجة عن تناول قذح من "الماتى"^(١) ولغافة من التبغ، عندما كان يتوقف بعد مدة طويلة من امتطاء الجياد، ولم يكن فى استطاعته الحصول على الطعام لبعض من الوقت.

كانت القراءة بصوت مرتفع كثيرا ما سعه إلى النوم، وكان يشعر بالأسف لفقدانه أجزاء من أى رواية، لأن والدى كانت تستمر فى القراءة، حتى لا يكون توقف الصوت باعثا على إيقاظه. وكان ينزل فى الساعة الرابعة، لارتداء ملابسه المخصصة للسير، وكان منتظما إلى درجة أنه من الممكن للشخص أن يكون متأكدا تماما، من أن الساعة فى حدود دقائق من الرابعة، عند سماع خطواته الهابطة.

كان يعمل من حوالى الرابعة والنصف إلى الخامسة والنصف، ثم يأتى إلى غرفة المعيشة، ويقوم بإنفاق الوقت فى التراخى، إلى أن يحين الوقت (حوالى السادسة)، للصعود لفترة أخرى من الراحة، مع القراءة للروايات، ولغافة من التبغ.

تخلى مؤخرا عن تناول العشاء المتأخر، وكان يقوم بتناول وجبة شاي بسيطة فى السابعة والنصف (فى الوقت الذى كنا نتناول فيه العشاء)، مع بيضة واحدة أو قطعة صغيرة من اللحم. ولم يكن يستمر على الإطلاق فى البقاء فى الغرفة بعد وجبة العشاء، وكان يعتذر بقوله إنه امرأة عجوز، لابد من السماح لها بمغادرة الغرفة مع السيدات. وقد كان هذا واحدا من العلامات والنتائج الكثيرة، لضعفه واعتلال صحته بشكل مستديم. وكان من شأن نصف ساعة لا أكثر ولا أقل من المحادثة، أن تتسبب له فى ليلة بدون نوم، وربما فقدان لنصف وقت عمل اليوم التالى.

(١) الماتى: شراب يشبه الشاي فى أمريكا الجنوبية

كان يشترك بعد العشاء مع والدتي في "لعبة الطاولة"^(١)، وكانا يقومان بلعب جولتين كل ليلة، وكان يتم على مدى السنوات العديدة، الاحتفاظ بسجل خاص بالجولات، التي ربحها كل منهما، وكانا يهتم بشكل كبير بهذا السجل. وكان يصبح غاية في الحيوية تجاه هذه الجولات، ويقوم بالنذب بمرارة لحظه السيئ، والانفجار بغضب شديد زائف، لحظ والدتي الجيد.

كان يقوم -بعد انتهاء لعبة الطاولة- بقراءة أى كتاب علمي لنفسه في غرفة المعيشة، وإذا كان هناك حديث كثير يدور هناك، ففي غرفة المكتب.

كان من شأنه في المساء - وهذا يعنى بعد أن يكون قد قرأ بقدر ما سمحت به قوته، وقبل أن تبدأ المطالعة بصوت مرتفع- أن يقوم في كثير من الأحيان بالاستلقاء على الأريكة، والإصغاء إلى والدتي وهي تعزف على "البيانو". ورغم أنه لم يكن يتمتع بأذن موسيقية جيدة، لكن كان لديه ولع حقيقي بالموسيقى الجيدة. وكان دائم التفجع^(٢) من أن استمتاعه بالموسيقى، قد أصبح كليلا مع العمر، إلا أن ولعه باللحن الجيد في حدود استرجاعاتي كان قويا. ولم أسمع على الإطلاق وهو يهمهم^(٣)، بأكثر من لحن واحد، وهو أغنية "ويلزية" Welsh وهي "Ar hyd y nos"، والتي كان يؤديها بشكل صحيح، وأعتقد أنه كان أيضا معتادا الهمهمة بأغنية "أوتاهايتية" Otaheitan صغيرة. ونتيجة لافتقاده الأذن الموسيقية، فإنه كان غير قادر على التعرف على أى لحن، عند سماعه مرة أخرى، لكنه كان يظل ملازما لما يشعر بالحب له، وكثيرا ما كان من شأنه أن يقول- عندما يتم عزف مقطوعة قديمة مفضلة لديه- "إنها شيء رقيق، ما هي؟" وكان يحب بشكل خاص، أجزاء من سيمفونيات بيتهوفن "Beethoven's symphonies"، وقطعا خاصة بـ"هاندل" Handel. وقد قام بكتابة قائمة خاصة بجميع القطع، التي كان يميل إليها بشكل

خاص، من بين تلك التي كانت والدتي تقوم بعزفها - مقدما بكلمات قليلة، الانطباع الذى تضيفه كل واحدة منها عليه - إلا أن تلك الملحوظات فقدت لسوء الحظ. وكان حساسا تجاه الاختلافات فى الأسلوب^(١)، وكان يستمتع بشكل شديد، بعزف الراحلة "السيدة فيرنون لاشينجتون" Mrs. Vernon Lushington، وفى يونيو ١٨٨١، عندما قام "هانسى ريختر" Hans Richter بزيارته فى "داون"، تمت استثارته إلى الحماس الشديد، عن طريق أدائه الرائع على "البيانو". وكان يستمتع كثيرا بالغناء الجيد، وكانت مشاعره تتحرك إلى ما يقارب ذرف الدموع، عن طريق الأغاني العظيمة أو الحزينة. وكان غناء ابنة أخيه، "اللادى فارار" Lady Farrer، لأغنية "سوليفان" Sullivan "هل سيأتى" Will he come، يمثل إمتاعا لا يكل أبدا بالنسبة إليه. وقد كان متواضعا إلى أقصى حد فيما يتعلق بمذاقاته، وبالتالي كان يشعر بالسرور، عندما يجد أن الآخرين يتوافقون معه.

أصبح شديد الشعور بالإجهاد فى الأمسيات، وبشكل خاص فى السنوات الأخيرة، وكان يغادر غرفة المعيشة حوالى الساعة العاشرة، ويذهب إلى الفراش فى العاشرة والنصف. وكانت لياليه فى العادة سيئة، حيث كان يقوم فى كثير من الأحيان بالاستلقاء وهو مستيقظ، أو يجلس فى الفراش لساعات طويلة، وهو يعانى من الكثير من عدم الارتياح. وكان يعانى فى الليل، من نشاط أفكاره، وكان من شأنه أن يصاب بالإجهاد، عن طريق قيام ذهنه بالتفكير فى مشكلة، كان قد نبذها عن طيب خاطر. وكان يحدث فى الليل أيضا، أن يقوم أى شئ تسبب فى إغاضته^(٢) أو إزعاجه أثناء النهار، بالتسلط عليه، وأظن أنه كان يشعر بالمعاناة فى ذلك الحين، إذا لم يكن قد قام بالرد على خطاب خاص بشخص مزعج.

مكنته القراءة المنتظمة، التى قمت بذكرها، والتى استمرت للكثير من السنين، من الاطلاع على كمية ضخمة من النوعيات الخفيفة من الأدب. وقد كان مغرماً إلى أقصى حد بالروايات، وأتذكر جيداً، الطريقة التى كان يتوقع بها الشعور بالسُرور، من أن تتم قراءة إحدى الروايات عليه، أثناء قيامه بالاستلقاء، أو إشعال لقافة تبغ. وكان يهتم بشكل قوى بكل من الحكمة^(١) والأشخاص^(٢)، وكان من شأنه أن يرفض بأى حال من الأحوال أن يعلم مسبقاً، كيفية الانتهاء للقصة، وكان يعتبر التطلع إلى نهاية الرواية، على أساس أنها سمة أنثوية. ولم يكن يستطيع الاستمتاع بأى قصة لها نهاية محزنة، ولهذا السبب لم يكن يميل إلى "جورج إليوت" George Eliot، رغم أنه كثيراً ما كان يتحدث بدفع، مادحا رواية "سايلاس مارنر" Silas Marner. وكانت تتم القراءة وإعادة القراءة لـ "والتر سكوت" Walter Scott، و"الأنسة أوستن" Miss Austen، و"السيدة جاسكيل" Mrs. Gaskell، إلى حد أنه لا يمكن قراءة أعمالهم أكثر من ذلك. وكان يضع تحت يده اثنين أو ثلاثة من الكتب فى نفس الوقت - كرواية، وربما سرد حياة ذاتية، وكتاباً خاصاً بالرحلات. ولم يكن يقوم كثيراً بقراءة الكتب غير المألوفة أو القديمة المستوى، لكنه كان يتمسك فى العادة بقراءة الكتب المعاصرة، التى يحصل عليها من مكتبة تقوم بالترويج للقراءة.

لا أظن أن مذاقاته الأدبية وآراءه، كانت على مستوى متوافق مع بقية ذهنه. وكان يعتبر نفسه - رغم وضوح الرؤية أمامه، بالنسبة لما يعتقد أنه جيد - خارج المجال تماماً، فيما يتعلق بأمور الأنواق الأدبية، وكان كثيراً ما يتحدث عما يفضله أو لا يفضله هؤلاء المنغمسون فيه، كما لو كانوا يقومون بتشكيل طائفة، لا يدعى الانتماء إليها.

كان يميل في جميع الأمور المتعلقة بالفن، إلى السخرية من النقاد المعترف بهم^(١)، وكان يقول إن آراءهم تتشكل، عن طريق النمط السائد^(٢). وبناء على ذلك، فقد كان من شأنه في أمور الرسم أن يقول، كيف كان كل شخص في أيامه يشعر بالإعجاب بروائع فنية، أصبحت حاليا مهمة. ولعله من الممكن تقريبا اعتبار ولعه بالصور كرجل يافع، كدليل على أنه كان لديه تقدير مرتفع لرسم الشخصيات، على أساس أنه عمل فني، وليس على أساس أنه رسم مماثل للأصل. ومع ذلك فإنه كثيرا ما كان يتحدث بشكل ساخر، عن القيمة الفنية المتواضعة للرسومات الشخصية، وكان يقول إن أى صورة ضوئية^(٣)، تساوى أى عدد من الصور المرسومة، كما لو كان غير قادر على رؤية القيمة الفنية، الموجودة في الصورة الشخصية المرسومة. ولكن كان يتم في العادة التصريح بذلك، أثناء محاولاته لحثنا على التخلي عن فكرة العمل على رسم صورة شخصية له، وهي عملية مضجرة^(٤) إلى أقصى حد بالنسبة له.

تم تدعيم هذه الطريقة من النظر إلى نفسه على أساس أنه جهول^(٥)، في جميع الشؤون المتعلقة بالفن، عن طريق انعدام الادعاء، وهو الشيء الذي كان جزءا من طابعه. وقد كانت لديه فيما يتعلق بمسائل التذوق - بالإضافة إلى الأشياء الأكثر جدية - الشجاعة الخاصة بآرائه. إلا أنني أتذكر حالة قد تبدو مناقضة لذلك، فعندما كان يقوم بالتطلع إلى رسومات "تيرنر" Turner، الموجودة في غرفة نوم "السيد راسكين" Mr. Ruskin، لم يعترف - كما حدث فيما بعد - بأنه لا يستطيع تبين شيء على الإطلاق، لما كان "السيد راسكين" يرى فيها. لكن هذا

Professed

(١) معترف به

Fashion

(٢) النمط السائد

Photograph

(٣) صورة ضوئية

Irksome

(٤) مضجرة - مؤرقة

Ignoramus

(٥) جهول

القدر القليل من الادعاء لم يكن في صالحه، ولكنه كان لصالح المجاملة لمضيفه^(١). وقد شعر بالسرور والرغبة في الضحك، عندما أحضر إليه "السيد راسكين" فيما بعد، بعضاً من الصور الضوئية (أعتقد أنها كانت صور شخصيات "فاندايك" Vandyke)، وكان يبدو أنه كان معترفاً بشكل لطيف، باستطلاع رأى والذى عنهم.

كان القدر الكبير من قراءاته العلمية باللغة الألمانية، وقد كان ذلك مجهداً للغاية بالنسبة له، وكنت أصطدم كثيراً عند اطلاعي على أى كتاب بعده، برؤية علامات قلم الرصاص المخطوطة كل يوم، فى الموضوع الذى توقف عنده، التى توضح مدى القدر القليل الذى كان يستطيع قراءته فى كل مرة. وكان معتاداً على أن يطلق على اللغة الألمانية كلمة "اللينة" Verdammt، ويقوم بنطقها كما لو كانت كلمة إنجليزية. وكان ساخطاً^(٢) بشكل خاص على الألمان، لأنه كان مقتنعاً بأن فى استطاعتهم الكتابة بشكل سهل إذا أرادوا، وكثيراً ما كان يقوم بامتداح "الدكتور ف. هيلدبراند" Dr. F. Hildebrand لكتابه بالألمانية، بنفس الوضوح المماثل للكتابة باللغة الفرنسية. وكان يقوم فى بعض الأحيان بإعطاء جملة ألمانية إلى أحد الأصدقاء، وهى سيدة ألمانية محبة لوطنها^(٣)، وكان معتاداً السخرية منها، إذا لم تتمكن من ترجمتها بشكل فصيح^(٤). وقد قام هو شخصياً بتعلم اللغة الألمانية، عن طريق المجاهدة باستخدام قاموس^(٥)، وكان يقول إن الطريقة الوحيدة المتاحة أمامه، هى أن يقوم بقراءة إحدى الجمل، وتكرارها مرات عديدة جداً، ومن شأن المعنى فى النهاية أن يتراءى له. وعندما بدأ فى تعلم اللغة الألمانية منذ وقت طويل مضى، كان يتباهى^(٦) بذلك أمام "السير ج. هوكر" Sir J. Hooker، الذى كان يجيب، "آه، يا رفيقى العزيز هذا لا يعتبر شيئاً كبيراً، لقد بدأت فى تعلمها مرات كثيرة".

Host

(١) مضيف

Indignant

(٢) ساخط = ناغم

Patriotic

(٣) محب لوطنه = وطنى

Fluent

(٤) فصيح

Dictionary

(٥) قاموس = معجم

Boast

(٦) يتباهى

تمكن رغم افتقاده قواعد النحو، من التوافق بشكل حسن مع اللغة الألمانية، وكانت الجمل التي فشل في فهم كنهها، بشكل عام جملا صعبة بالفعل. ولم يكن يحاول على الإطلاق التحدث باللغة الألمانية بشكل صحيح، ولكنه كان يقوم بالنطق^(١) بالكلمات، كما لو كانت إنجليزية، وقد كان ذلك يقوم بتمثيل صعوبة ليست بالقليلة، عندما كان يقوم بقراءة أى جملة ألمانية ويطلب ترجمتها. لقد كانت لديه بالتأكيد أدنى سيطرة، بالنسبة للأصوات الملفوظة، بحيث كان من المستحيل له استيعاب الاختلافات الدقيقة في نطق الألفاظ.

كان من الملحوظ اهتمامه العريض بالفروع العلمية، التي لم يكن متخصصا فيها شخصيا. وقامت عقائده في العلوم الأحيائية، بجعل نفسها محسوسة بشكل عريض، إلى درجة أنه كان هناك شيء مثير للاهتمام بالنسبة له، في معظم أقسامه. وقد قام بقراءة قدر كبير من الأعمال المتميزة بشكل خاص، وأجزاء كبيرة من الكتب المرجعية^(٢)، مثل كتاب "هوكسلي" Huxley عن "تشریح اللافقاريات" "Invertebrate Anatomy"، أو كتاب مثل "علم الأجنة" Embryology — "بالفور" Balfour، حيث لم تكن التفاصيل الموجودة بها، تابعة لخط تخصصه بأى معيار. ورغم عدم قيامه بدراسة الكتب المفصلة، من النوع المتخصص في حقل ضيق من المعرفة^(٣)، إلا أنه كان يشعر بأقوى درجة من الإعجاب بها.

كان يشعر في العلوم غير الأحيائية بتعاطف شديد مع العمل، الذى لم يكن فى استطاعته فى الحقيقة الحكم عليه. وعلى سبيل المثال، فإنه كان معتادا القراءة لكل الموجود فى مجلة "الطبيعة" Nature تقريبا، رغم أن الكثير منها يتعامل مع الرياضيات والفيزياء. وكثيرا ما كنت أسمعه يقول إنه يحصل على نوع من الإشباع فى قراءة مقالات تستعصى على فهمه. وأتمنى لو كان فى استطاعتي تقليد الطريقة، التى كان يقوم بها بالسخرية من نفسه نتيجة لذلك.

Pronounce

(١) ينطق

Text book

(٢) كتاب مرجعى

Monograph

(٣) مقال متخصص فى حقل ضيق من المعرفة

من الأشياء الجديرة بالملاحظة أيضا، كيف كان يحتفظ باهتمامه تجاه المواضيع التي قام بالعمل عليها من قبل. وقد كان هذا هو الحال بشكل لافت للنظر، بالنسبة لعلم طبقات الأرض. وقام في أحد خطابه إلى "السيد جود" Mr. Judd، بالإلحاح عليه أن يأتي لزيارته، قائلا إنه منذ وفاة "لايل" أصبح من النادر له على الإطلاق، الانغماس في محادثة جيولوجية. وقد قامت ملاحظاته التي قام بها، قبل بضع سنوات فقط من وفاته، حول الحصى^(١) العمودي^(٢) الموجود في الركام المجروف^(٣) عند "ساوثهامبتون" Southampton، وتم تناولها في خطاب إلى "السيد جيكي" Mr. Geikie، بتقديم حالة أخرى. وقد قام مرة أخرى - في خطابات إلى "الدكتور دوهرن" Dr. Dohrn - بإظهار أن اهتمامه بالبرنقيات^(٤) لا يزال حيا. وأعتقد أن ذلك كله يرجع، إلى حيوية ومثابرة ذهنه - وهي خاصية سمعته يتحدث عنها، كما لو كان يشعر أنه موهوب من جهتها بشكل قوى. ولم يكن ذلك راجعا لأنه كان معتادا على استخدام أى عبارات على هذه الشاكلة عن نفسه، ولكن كان من شأنه أن يقول، إن لديه القدرة على الإبقاء على أى موضوع أو تساؤل، أمام عينيه بشكل ما، لعدد كبير من السنين. ويظهر مدى امتلاكه لتلك القدرة عندما نضع في الاعتبار، عدد العضلات المختلفة التي قام بحلها، والفترة المبكرة التي بدأت فيها بعض تلك العضلات، في شغل باله.

Pebbles

(١) حصى

Upright

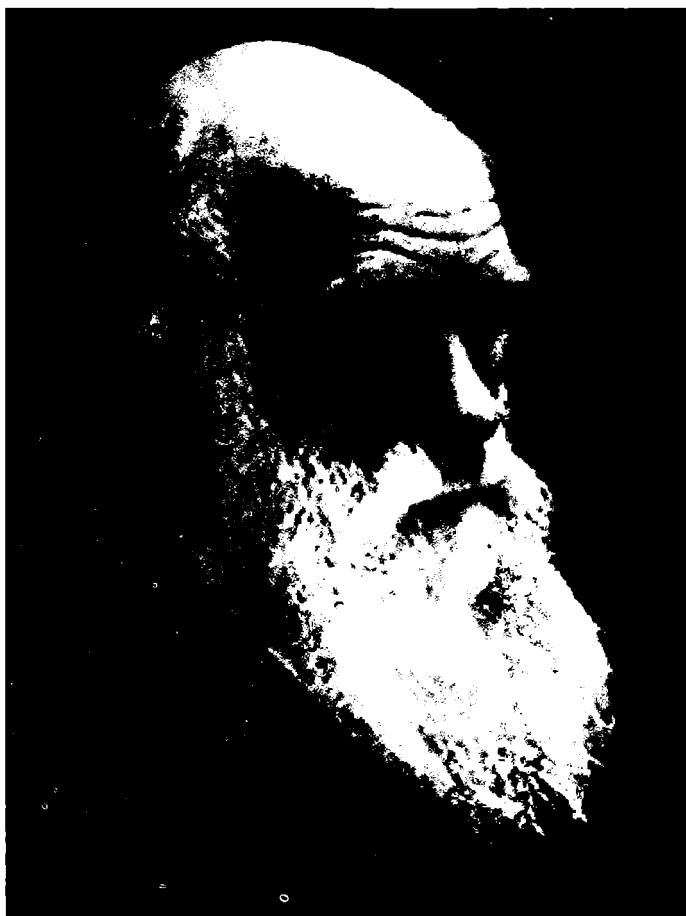
(٢) عمودي

Drift

(٣) الركام المجروف

Barnacles

(٤) البرنقيات: حيوانات بحرية قشرية تعلق بالصخور من رتبة هدايات الأقدام



لوحة (٥١)
تشارلس في شيخوخته

لقد كانت علامة مؤكدة على أنه معتدل، عندما يتكاسل، فى أى من الأوقات المخالفة لساعات راحته المنتظمة، حيث لم يكن هناك انتهاك لنظام حياته، طوال المدة التى يكون فيها صحيحا بشكل معتدل. وكانت أيام الأسبوع، وأيام الأحاد، تمر متشابهة، وكل منها محتفظ بالفترات المحددة للعمل والراحة. ومن المستحيل تقريبا لأى شخص - باستثناء هؤلاء الذين كانوا يراقبون حياته اليومية - أن يتبين مدى ضرورة الوتيرة^(١) المنتظمة، التى قمت بتصويرها، لإبقائه فى حالة جيدة، ومدى المعاناة والصعوبة التى كانت تتم بها المحاولة لإنجاز أى شىء يتعدى ذلك. وكان أى لقاء عام له، حتى أكثرها تواضعا، يمثل مجهودا بالنسبة له. فقد قام فى عام ١٨٧١، بالذهاب إلى كنيسة قرية صغيرة، من أجل زواج ابنته الكبرى، لكنه استطاع بالكاد، تحمل التعب الناتج عن تواجده، على مدى الاحتفال القصير الذى تم. ومن الممكن أن يقال نفس الشىء، عن المناسبات القليلة الأخرى، التى تواجدها فيها فى الاحتفالات المماثلة.

أتذكر رؤيته منذ سنوات طويلة ماضية، فى احتفال بتعميد طفل، وهى ذكرى ظلت تلازمنى، حيث إنها بدت لنا ونحن أطفال، على أساس أنها حدث خارج عن المعتاد وغير طبيعى. وأتذكر بوضوح منظره فى جنازة أخيه "إراسموس"، عند وقوفه أثناء تناثر الجليد، وهو متدثر بعباءة جنازية^(٢) طويلة سوداء، بمظهر وقور واستغراق حالم^(٣) حزين.

عندما عاد - بعد مرور فاصلة تقدر بالكثير من السنين - إلى حضور اجتماعات "الجمعية اللينينية" Linnean، تم الشعور بأن ذلك، كان فى الحقيقة، شيئا يمثل مهمة خطيرة، لا يمكن الإقدام على اتخاذ قرار بها، بدون الكثير من المخاوف، ومن الصعب القيام بتنفيذها، بدون تحمل الكثير من المعاناة التالية لذلك.

Routine

Funeral

Reverie

(١) وتيرة

(٢) جنازة = ماتم

(٣) استغراق حالم

وينفس الطريقة حضر حفلة إفطار، أقيمت عند "السير جيمس باجيت" Sir Hames Paget، مع بعض الضيوف المتميزين للمؤتمر الطبى (فى عام ١٨٨١)، بالتسبب فى إجهاد شديد له.

كان الصباح الباكر هو الوقت الوحيد، الذى يستطيع فيه القيام بأى مجهود من أى نوع، مع الإفلات النسبى من العقوبة. وبذلك كان من المفضل عنده، القيام بزيارة أصدقائه العلميين فى "لندن"، فى وقت مبكر مثل العاشرة صباحًا. ونتيجة لنفس السبب، كان يبدأ رحلاته، بواسطة أكثر قطار مبكر ممكن، وكان معتادا الوصول إلى منازل أقاربه الموجودين فى "لندن"، عندما يكونون على وشك ابتداء يومهم.

كان يقوم بالاحتفاظ بسجل يوميات دقيق، خاص بالأيام التى كان يعمل فيها، وتلك التى كان اعتلال صحته، يمنعه فيها من العمل، لكى يكون من الممكن له، تحديد عدد الأيام التى كانت خاملة فى أى سنة مطلوبة. وكان هذا السجل اليومى، عبارة عن مفكرة^(١) صفراء صغيرة، كانت تترك مفتوحة على رف المدفأة^(٢)، مرتكزة على المفكرات الخاصة بالسنوات السابقة - وكان يقوم أيضا بتسجيل اليوم الذى يبدأ فيه أى رحلة، وذلك الخاص بعودته.

كانت أكثر رحلاته تكرارا، عبارة عن زيارات لمدة أسبوع إلى "لندن"، وذلك إما إلى منزل أخيه (٦ شارع "الملكة آن" Queen Anne Street)، وإما إلى منزل ابنته (٤ شارع بريانستون Bryanston). وكان يتم فى العادة إغراؤه عن طريق والدتى، بالقيام بتلك الزيارات القصيرة، عندما يكون قد أصبح من الواضح نتيجة لتكرار "الأيام السيئة"، أو نتيجة للدوار^(٣) الذى يصيب رأسه، أنه تعدى طاقته

Diary

Mantel - piece

Swimming

(١) مفكرة = دفتر يوميات

(٢) رف المدفأة

(٣) دوار

فى العمل^(١). وكان يقوم بالذهاب وهو غير مرحب بذلك، ويحاول عقد الصفقات الشديدة معها، مشترطاً - على سبيل المثال - أن من شأنه أن يعود بعد خمسة أيام بدلا من ستة. وكان لابد من البدء فى حزم الأمتعة حتى لو كانت مغادرة المنزل لا تتعدى أكثر من أسبوع واحد، فى وقت مبكر من اليوم السابق، وكان يقوم بنفسه بالجزء الرئيسى منه. وكانت المشقة التى تتسبب فيها الرحلة على الأقل مؤخرا، تركز بشكل رئيسى فى التوقع^(٢)، وفى الشعور البائس الذى يقوم بغمره، والذى كان يعانى منه قبل بدء الرحلة مباشرة. بينما تقوم رحلة طويلة المدة إلى حد ما، مثل تلك التى قام بها إلى "كونيستون" Coniston، بإجهاده بمقدار قليل بشكل مثير للدهشة، عند الوضع فى الاعتبار، مدى العجز الذى كان يعانى منه، وقد استمتع بها بالتأكيد، وبطريقة صبيانية تقريبا، وإلى حد غريب.

ورغم أنه قال، إن البعض من تذوقاته الجمالية^(٣) قد عانت من الاضمحلال التدريجى، فإن ولعه بالمناظر الطبيعية ظل يانعا وقويا. وكانت كل مسيرة له فى "كونيستون" تمثل بهجة جديدة، ولم يشعر بالتعب على الإطلاق من الإطراء على جمال الريف شديد التحدر^(٤) المتقطع بالتلال، الموجود عند رأس البحيرة^(٥).

كانت واحدة من الذكريات^(٦) السعيدة الخاصة بذلك الوقت (عام ١٨٧٩)، زيارة باعثة على البهجة إلى "جرامير" Grasmere : "اليوم المثالى" كما كتبت أختى، "لقد استطاع الاستمتاع الشديد والفيض الروحى لوالدى، أن يقوموا بتشكيل صورة فى ذهنى، أحب أن أقوم بالتفكير فيها. فقد كان من النادر أن يستطيع البقاء بدون حركة فى العربة أثناء دورانها، وكان يقوم بالتهوض والإعجاب بالمنظر من

Overwork

Anticipation

Aesthetic tastes

Hilly

Lake

Memories

(١) يتعدى الطاقة فى العمل *

(٢) التوقع

(٣) التذوق الجمالية

(٤) شديد التحدر - كثير التلال

(٥) بحيرة

(٦) ذكريات

كل نقطة جديدة، وظل حتى أثناء العودة ممثلنا بجمال "مياه رايدال" Rydal Water، رغم أنه لم يكن يسمح بقول، أن "جراسمير". تتساوى على الإطلاق، مع "كونستون" المحبوبة له.

بجانب تلك الرحلات الطويلة، كانت هناك زيارات أقصر مدة لمختلف الأقارب مثل منزل زوج أخته، بالقرب من "تل ليث" Leith Hill، وإلى ابنه بالقرب من "ساوثهامبتون" Southampton. وكان يشعر دائما بالاستمتاع بشكل خاص من التجوال^(١) على الأرض المفتوحة الخشنة، مثل الأراضي المشاع^(٢) بالقرب "تل ليث" و"ساوثهامبتون"، والأراضي البور^(٣) المغطاة بنبات الخلنج^(٤)، التابعة لـ"غابة أشداون" Ashdown Forest، أو "الأرض الوعرة" Rough بالقرب من منزل صديقه "السير ثوماس فارير" Sir Thomas Farrer. ولم يكن خاملا على الإطلاق، حتى وهو في تلك الرحلات، وكان يعثر على أشياء يقوم بمراقبتها. فقد قام في "هارتفيلد" Hartfield، بمراقبة نبات ورد الشمس^(٥) وهو يقوم بالإمساك بالحيشرات وخلافها، وقام في "توركي" Torquay، بمراقبة تلقيح إحدى السحليبات^(٦) (الزهرة المستدقة)^(٧)، وقام باكتشاف علاقات الشقين الجنسيين^(٨)، في نبات الزعتر^(٩).

Ramble	(١) يتجول
Commons	(٢) الأراضي المشاع
Wastes	(٣) الأراضي البور
Heath	(٤) نبات الخلنج
Drosera	(٥) نبات ورد الشمس = الدروسيرا
Orchids	(٦) السحليبات
Spiranthes	(٧) الزهرة المستدقة *
Sexes	(٨) الشقان الجنسيان *
Thyme	(٩) نبات الزعتر = الصعتر = الريحان = من الفصيلة الشفوية

كان يشعر دائما بالفرح الشديد للرجوع إلى المنزل، بعد انتهاء رحلاته، وكان يستمتع بشكل كبير بالترحاب، الذي يلقاه من كلبته "بولي"، التي كان من شأنها أن تصبح جامحة^(١) من فرط الإثارة، وتلهث^(٢)، وتصرخ بصوت حاد^(٣)، وتندفع بسرعة في كل مكان في الغرفة، وتقفز على ومن فوق الكراسي، وكان معتادا أن يقوم بالانحناء منخفضا، ضاغطا وجهها إلى وجهه، ويتركها تلعبه، ويتحدث إليها بصوت رقيق ملاطف فريد.

كان لدى والدي القدرة على منح تلك الرحلات الصيفية سحرا، كان يتم الشعور به بقوة، عن طريق جميع أفراد العائلة. فقد كان ضغط العمل في المنزل، يبقيه على أقصى حد من قدراته على الاحتمال، وعندما يتحرر منه، كان يقدم على رحلاته باستمتاع شبابي، كان يجعل صحبته شيئا ممتعا، وكنا نشعر أننا رأينا منه على مدى أسبوع من الرحلة، أكثر مما نراه منه على مدى شهر في المنزل.

إلا أن بعضا من تلك التغييبات عن المنزل، كان له تأثيرٌ مبط علىه، حيث يبدو عندما يكون متقلا بشكل كبير بالعمل قبلها، كما لو كان من شأن الغياب للتوتر^(٤) المعتاد، أن يسمح له بالسقوط في حالة معينة، من اعتلال الصحة.

كانت هناك بجانب الرحلات التي قمت بذكرها، زيارته إلى مؤسسات الاستشفاء بالمياه. فقد تم حثه في عام ١٨٤٩، عندما كان مريضا جدا، ويعانى من دوار^(٥) مستمر، عن طريق أحد الأصدقاء، إلى تجربة الشفاء المائي، وقد وافق في آخر الأمر، على الذهاب إلى مؤسسة "الدكتور جالي" Dr. Gully في "مالفيرن" Malvern. وتوضح خطاباته الموجهة إلى "السيد فوكس" Mr. Fox، مدى التأثير

Wild

(١) جامع

Pant

(٢) يلهث

Squeak

(٣) يصرخ بصوت حاد

Strain

(٤) توتر

Sickness

(٥) دوار

الجيد للعلاج عليه، ويبدو أنه ظن أنه عثر على شفاء من متاعبه، ولكن - مثل جميع سبل العلاج^(١) الأخرى - كان لها تأثير عابر فقط. إلا أنه وجد في أول الأمر، أنه جيد جدا له، إلى درجة أنه عندما عاد إلى المنزل، شيد لنفسه حمام منضحة^(٢)، وتعلم رئيس الخدم^(٣)، أن يكون رجل الحمام^(٤) الخاص به.

قام بالعديد من الزيارات إلى "موربارك" Moor Park، ومؤسسة "الدكتور لان" Dr. Lane للمعالجة بالمياه، الموجودة في "ساري" Surrey، في موقع ليس بعيدا عن "ألدرشوت" Aldershot. وكانت تلك الزيارات مرضية، وكان يقوم دائما بتذكرها بسرور. وقد قام "الدكتور لان" بتقديم استرجاعاته الخاصة بوالدي، في "محاضرة حول تشارلس داروين"، بواسطة "دكتور ريتشاردسون" Dr. Richardson، في ٢٢ أكتوبر ١٨٨٢، التي أقتبس منها:-

"لقد كان محاطا بالطبع، في مؤسسة عامة مثل تلك الخاصة بي، بأنماط عديدة التنوع^(٥) من الطباع، وبأشخاص من كل من الشقين الجنسيين، غالبيتهم مختلفون عنه بشكل كبير - وبالاختصار، كانوا أشخاصا شائعين، مثل الأغلبية الموجودة في كل مكان، لكن المماثلين له على الأقل، كانوا رفاق إنسانية ورفقاء مرض. ولم يحدث على الإطلاق أن كان أي واحد منهم أكثر لطفا^(٦)، أو أكثر توددا، أو أكثر سحرا بمعنى الكلمة، عما كان عليه هو شخصيا بشكل عام" ... "ولم يهدف على الإطلاق، كما يحدث في كثير من الأحيان مع المتحدثين، إلى احتكار^(٧) المحادثة. وكان سروره مستمدا من العطاء بدلا من الأخذ، وكان مستمعا جيدا بقدر

Remedy	(١) وسيلة علاج
Douche-bath	(٢) حمام منضحة
Butler	(٣) رئيس الخدم
Bathman	(٤) رجل الحمام
Multifarious	(٥) عديد التنوع
Genial	(٦) لطف
Monopolise	(٧) يحتكر

ما هو متحدث جيد. ولم يَقم على الإطلاق بإلقاء العظات^(١) ولا الخطب^(٢)، لكن حديثه - سواء بشكل وقور أو شكل هزلي (وقد كان ذلك يتم عندما يحين دوره) - كان مليئا بالحياة والملح، وكان سريعاً، ومشرقاً، ومليئاً بالحيوية.

من الممكن القيام بجمع فكرة عامة عن علاقته بعائلته وأصدقائه، مما سبق سرده، ولعله من المستحيل محاولة الوصول إلى تقرير كامل عن تلك العلاقات، لكن تخطيطاً كفافياً أكثر امتلاءً بشكل بسيط، قد لا يكون شيئاً مستبعداً. فلا أستطيع الحديث بالنسبة إلى حياته الزوجية، إلا بأكثر طريقة مختصرة. فقد كان يتم إظهار طبيعته الرقيقة والمتعاطفة في علاقته تجاه والدتي، في أكثر السيماء جمالاً. وكان يجد سعادته في تواجدها، وأصبحت من خلالها حياته، التي كان من الممكن أن تكون مظلمة بالكآبة، مفعمة بالقناعة والبهجة الهائلة.

قام كتاب "التعبير عن الانفعالات" Expression of Emotions، بإظهار كيف كان يقوم بمراقبة أطفاله بشكل حميم، وكانت من الأشياء المميزة له (كما سمعته يقول)، إنه كان رغم تلهفه على المراقبة بشكل دقيق، للتعبير الخاص بطفل يبكي، إلا أن تعاطفه مع الأسى، كان يقوم بإفساد مراقبته. ويوضح دفتر ملحوظاته - الذي كان يقوم فيه بتسجيل أقوال أطفاله الصغار - السرور الذي كان يستمد منه. ويبدو أنه كان لا يزال يحتفظ بنوع من الذكرى المفعمة بالندم عن أيام الطفولة، التي خبت أضواؤها، وبناء على ذلك، قام في "الاسترجاعات" بكتابه: "عندما كنتم صغارا جداً في العمر، كان مثار بهجتى أن ألهو معكم جميعاً، وأعتقد أن ذلك كان يتم بتحسر^(٣)، بأن مثل تلك الأيام، لا يمكن أن تعود مرة أخرى".

من الممكن لى أن أقوم بالاعتباس، على أساس التوضيح لرقّة طبيعته، لبعض
الجمال المأخوذة عن تقرير خاص بابنته الصغيرة "أنى" Annie، تمت كتابتها بعد
مرور بضعة أيام على وفاتها:-

"ولدت ابنتنا المسكينة "أنى" فى "شارع جوار" Gower street، فى ٢ مارس
١٨٤١، وانقضى أجلها^(١) فى "مالفيرن" Malvern، فى منتصف نهار ٢٣ إبريل
١٨٥١".

"وأنا أقوم بكتابة هذه الصفحات القليلة، لأننى أفكر فى السنوات القادمة، فإذا
كان لنا أن نعيش، فسوف نقوم الانطباعات التى يتم وضعها الآن، بالاستدعاء بشكل
أكثر حيوية، لمميزاتنا الرئيسية. حيث تتمثل السمة الرئيسية فى مزاجها التى تتنبق
على الفور أمامى، من أى نقطة أستعيد فيها النظر إليها، فى مرحها الطافى^(٢)
الممزوج^(٣) باثنين من المميزات الأخرى، وهما بالتحديد. حساسيتها التى من
الممكن بسهولة إغفالها عن طريق أى شخص غريب، وحنانها الشديد. وكان
مرحها وحيوية الشباب يشعان من سيمائها بأكملها، وكانت تجعل كل حركة لها،
مرنة وملينة بالحياة والنشاط. وكان من الممتع والمبهج التطلع^(٤) إليها. ويقوم
وجهها العزيز الآن بالانبثاق أمامى، حيث كانت معتادة فى بعض الأحيان، المجيء
متسارعة أثناء هبوطها درجات السلم، ومعها قبضة مختلصة من السعوط لتقدمها
إلى، وكان مظهرها بأكملها يشع بالسرور، لقيامها بمنح السرور وعندما كان مرحها
يتعدى تقريبا إلى الاسترسال فى الصخب^(٥)، أثناء لهوها مع أبناء عمومتها فان
لمحة واحدة من عيني، حتى لو لم تكن خاصة بالاستياء^(٦) (وذلك لأننى أحمد الله،
على أننى لم ألق مثل تلك النظرة عليها)، ولكن تلك المفقدة للتعاطف، كان من
شأنها أن تقوم بتغيير قسماتها بأكملها لبضع دقائق.

Expire

Buoyant

Tempered

Behold

Boisterousness

Dispersure

(١) ينقضى الأجل *

(٢) طافى

(٣) ممزوج

(٤) يتطلع = ينظر

(٥) الصخب

(٦) الاستياء



لوحة (٥٢)

"آنى" ابنة "تشارلس داروين"

التي توفيت فى عام ١٨٥١

كانت "النقطة الأخرى الموجودة في طابعها- والتي قامت بجعل مرحها ومعنوياتها غاية في الإمتاع- تتمثل في حنانها الشديد، والذي كان ذا طبيعة تشبثية وتربيتية إلى أقصى حد. وقد قام ذلك بإظهار نفسه عندما كانت طفلة رضية، في صورة أنها لم تكن ترتاح بدون القيام بلمس والدتها، عندما تكون في الفراش معها، وكان من شأنها مؤخرا، عندما تكون متوعدة^(١)، أن تقوم بمداعبة إحدى أذرع أمها لمدة زمنية ما. ويبدو عندما تكون معتلة جدا، أن رقاد أمها بجوارها، كان يقوم بتسكينها بطريقة مختلفة تماما، عما يمكن لذلك أن يفعله، مع أى طفل آخر من أطفالنا. وكذلك كان الأمر معي، حيث كان من شأنها في أى وقت تقريبا، أن تقوم بقضاء نصف ساعة، في ترتيب شعر رأسى، وتسمى ذلك "لتجعله جميلا"، أو تقوم العزيزة المسكينة، بتسوية ياقاتى وأكمامى - وبالاختصار، فى ملامستى.

لقد كانت بجانب مزاجها المرح بهذا الشكل، ودودة^(٢)، وصريحة^(٣)، ومتفتحة^(٤)، وواضحة، وطبيعية، وبدون أى ظل من التحفظ^(٥). وكان ذهنها بأكمله نقيا وشفافا. وكان أى شخص يشعر أنه يعرفها بشكل شامل، وأنه يستطيع الوثوق بها. وكنت دائما أفكر، أنه قد يكون من المقدر لنا، أن يكون لدينا فى عمرنا المتقدم، روح محبة واحدة على الأقل، والتي لا يمكن أن يقوم أى شىء بتغييرها. وقد كانت جميع حركاتها مملوءة بالحيوية والنشاط، وعادة ما يكون ذلك بشكل رشيق. وعندما كانت تقوم بالتجول معى حول الممشى الرملى، رغم قيامى بالسير بسرعة، فإنها كثيرا ما كانت تسبقنى، حاجلة على قدم واحدة^(٦)، بطريقة رشيقة إلى أقصى حد، وفمها مشرق طوال الوقت، بأعذب الابتسامات. وكانت لديها أحيانا

Poorly

Cordial

Frank

Open

Reserve

Pirouetting

(١) متوعدك

(٢) ودود

(٣) صريح

(٤) متفتح

(٥) التحفظ

(٦) يحجل بقدم واحدة *

طريقة دلال جميلة نجاهي، مازالت ذكرها ساهرة. وكانت تقوم في كثير من الأحيان، باستخدام لغة مبالغ فيها، وعندما كنت أقوم بممازحتها^(١) عن طريق المبالغة فيما قالت، فأننى أرى الآن بوضوح تام، الرفعة الصغيرة للرأس، وهاتها "أوه، يا والدى، عليك أن تشعر بالخجل". كانت تصرفتها أثناء المرض الأخير القصير الأمد، فى الحقيقة ملانكية^(٢). حيث لم تشك ولو مرة واحدة، ولم تصبح نكدة الطباع^(٣) على الإطلاق، وكان لديها مراعاة للآخرين، وكانت شاكراً بأكثر الطرق رقة ومثيرة للشفقة، لكل شيء يتم القيام به من أجلها. وعندما أصبحت منهكة بدرجة جعلت من الصعب عليها أن تتكلم، كانت تقوم بامتداح كل شيء، يتم تقديمه إليها، وقالت عن إحدى وجبات الشاي، أنها "كانت جيدة بشكل جميل". وعندما قمت بإعطائها بعض الماء قالت "أشكرك بشدة"، وأعتقد أن تلك قد كانت الكلمات الأخيرة الثمينة، التى تم توجيهها إلى على الإطلاق، من شفتيها العزيزتين.

"لقد فقدنا البهجة الموجودة فى المنزل، وسلوان تقدمنا فى العمر. ولا بد أنها كانت تعلم مدى الحب الذى نكنه لها. وباليته تستطيع أن تعلم الآن، كيف أننا مازلنا وسوف نظل إلى الأبد، نشعر بالحب العميق والرقيق لوجهها العزيز البهيج! فلتحل عليها البركات!. ٣٠ إبريل ١٨٥١.

قمنا جميعنا كأطفال له، باستمداد السرور بشكل خاص، من الألعاب التى كان يقوم بها معنا، لكننى لا أعتقد أنه كان يقوم بالتهريج^(٤) كثيراً معنا، وأعتقد أن صحته منعه من أى لعب خشن. وكان يقوم فى بعض الأحيان بسرد القصص علينا، وهو الشيء الذى كان يعتبر شيئاً ممتعاً بشكل خاص، وكان ذلك جزئياً بناء على ندرة حدوثه.

Quiz
Angelic
Fretful
Romp

(١) يمازح = يمتحن
(٢) ملانكى
(٣) نكد الطباع
(٤) يهرج = يصخب

تتضح الطريقة التي اتبعتها في تتبنتنا، عن طريق قصة صغيرة تدور حول أخى "ليونارد" Leonard، والتي كان والدى مغرما بسردها. فإنه حضر إلى غرفة المعيشة ووجد "ليونارد" يتراقص فوق الأريكة، وهو ما كان ممنوعا، من أجل المحافظة على اليابا^(١)، وقال "أوه يا ليني، ليني، هذا ضد جميع القواعد"، وتلقى كرد لذلك "إذن، أعتقد أنه من الأفضل لك أن تخرج من الغرفة". ولا أصدق أنه فاه بأى كلمة غاضبة لأى من أطفاله فى حياته، لكننى متأكد من أنه لم يتطرق إلى أذهاننا على الإطلاق ألا نطيعه. وأتذكر جيذا إحدى المناسبات، التى قام فيها والدى بتأنيبى^(٢) لشيء من الإهمال، ومازلت أسترجع الشعور بالكتابة الذى حل على، والعناية التى قام باتخاذها لتتسبب ذلك، عن طريق التحدث معى بعد ذلك بقليل، بشكل رقيق خاص. وقد ظل يحتفظ بطريقته المبهجة والحنونة تجاهنا طوال حياته. وأتعجب فى بعض الأحيان من استطاعته القيام بذلك، رغم انتسابه لعرق متحفظ^(٣) على شاكلتنا، ولكننى ارجو أن يكون قد علم، بمدى استمتاعنا بكلماته وأسلوبه، اللذين ينمان عن الحب. وكم من المرات - بعدما أصبحت رجلا - وددت عندما كان أبى يقف خلف الكرسي الذى أجلس عليه، أن يكون من شأنه القيام بتمرير يده فوق شعرى، كما كان يفعل عندما كنت صبيا. وقد سمح لأطفاله البالغين بالضحك معه وعليه، وكان بشكل عام على علاقات متبادلة^(٤) تسودها المساواة^(٥) الكاملة معنا.

Spring

Reprove

Undemonstrative

Terms

Equality

(١) ياي = زنبرك

(٢) يؤنب = يوبخ

(٣) متحفظ (فى التعبير عن المشاعر والمواطف)

(٤) علاقات متبادلة

(٥) مساواة



لوحة (٥٣)
تشارلس داروين مع أحد أبنائه

كان شديد الاهتمام بشكل دائم، بخطط وإنجازات كل واحد منا. وكنا معتادين السخرية منه، ونقول إنه لا يثق في أولاده، لوجود القليل من الشك لديه، حول قيامهم بشيء من العمل، الذى لم يكن يشعر بالنقّة فى أن لديهم علماً كافياً به. وعلى الجانب الآخر، فإنه كان يميل بشكل كبير، إلى أخذ وجهة نظر محابية لما كنا نقوم به. وعندما كنت أظن أنه قام بوضع قيمة غاية فى الارتفاع، على أى شيء قمت به، فإنه كان معتاداً إظهار سخطه، وكان يميل إلى الانفجار فى غضب مصطنع. وقد كانت شكوكه جزءاً من تواضعه، فيما يتعلق بأى شيء مرتبط به شخصياً بأى طريقة، وكانت آراؤه المحابية لأعمالنا، ناتجة عن طبيعته المتعاطفة، التى جعلته متساهلاً^(١) مع كل شخص.

كان يحافظ دائماً على التعبير لأطفاله بأسلوبه الممتع، عن تشكراته. ولم أقم على الإطلاق بتحرير خطاب، أو قراءة صفحة بصوت مرتفع له، بدون أن ألتقى بعضاً من الكلمات الرقيقة، بالاعتراف بالجميل. وكان حبه وحنانه تجاه حفيده الصغير "برنارد" Bernard عظيماً، وكثيراً ما كان يتحدث عن السرور الذى يشعر به عند رؤيته "لوجه الضئيل فى مواجهته، أثناء تناول الغداء. وكان يقوم هو و"برنارد" بمقارنة أنواقهما، مثل التفضيل للسكر البنى على الأبيض، وما إلى ذلك، وكانت النتيجة "نحن نتفق دائماً، أليس كذلك؟".

وقد كتبت شقيقتى التالى:

تتمثل "ذكرياتى الأولى لوالدى، فى الاستمتاع بلهوه معنا. فقد كان متعلقاً بشكل عاطفى جداً بأطفاله، رغم أنه لم يكن من المحبين للأطفال بدون تمييز. وكان بالنسبة لجميعنا، أكثر زملاء اللهو إمتاعاً، وأفضل متعاطف على الإطلاق. ومن المستحيل بالفعل، القيام بالوصف بشكل كاف، كيف كانت علاقته مبهجة لعائلته، سواء عندما كانوا أطفالاً، أو فى المراحل المتأخرة من حياتهم".

"لقد حاول أحد أبنائه- كدليل على شروط العلاقات المتبادلة التى كنا عليها، وأيضا على مدى تقدير قيمته كزميل لهو، عندما كان فى حوالى الرابعة من العمر- القيام بإعطائه ست بنسات كرشوة، لكى يأتى ويلهو معه فى أوقات العمل. وكنا جميعا على علم بقدسية^(١) وقت العمل، ولكن كان يبدو من المستحيل أن يستطيع شخص مقاومة إغراء ست بنسات".

"لابد أنه كان أكثر القائمين بالتمريض صبرا وبعثا على البهجة. وأتذكر ما بدا ملاذ^(٢) سلام وراحة لى، عندما كنت معتلة، وعندما كان يتم تدرى على أريكة غرفة المكتب، وأنا أقوم بشكل متراخ، بالتطلع إلى الخريطة السجولوجية القديمة، المعلقة على الحائط. ولابد أن ذلك كان أثناء وقت عمله، لأننى أتصوره دائما، وهو جالس على الكرسي ذى الذراعين من شعر الجياد، بجوار ركن المدفأة.

"كانت هناك علاقة أخرى تدل على صبره غير المحدود، تتمثل فى الطريقة التى كان علينا تحملها، أثناء القيام بشن غارات^(٣)، للدخول إلى غرفة المكتب، عندما نكون فى حاجة ملحة، للحصول على شريط لاصق^(٤)، أو خيط^(٥)، أو دبائيس^(٦)، أو مقص^(٧)، أو طوابع^(٨)، أو مسطرة قدمية الطول^(٩)، أو مطرقة^(١٠). وكانت تلك الأشياء والضروريات المماثلة الأخرى، موجودة دائما فى غرفة المكتب، وكانت المكان الوحيد، الذى من المؤكد وجودها فيه. وكنا نشعر أنه من

Sacredness	(١) قدسية
Haven	(٢) ملاذ
Raid	(٣) يشن غارة
Sticking - plaster	(٤) شريط لاصق *
String	(٥) خيط
Pin	(٦) دبوس
Scissors	(٧) مقص
Stamp	(٨) طابع (بريد)
Foot-rule	(٩) مسطرة قدمية الطول *
Hammer	(١٠) مطرقة - شاكوش

الخطأ الذهاب إليها، أثناء وقت العمل، ومع ذلك، فعندما كانت الضرورة ملحة، فإننا كنا نقوم بذلك. وأتذكر نظرتة الصبورة، عندما قال في إحدى المرات: "لا تظني أنك لا تستطيعين الدخول مرة أخرى، لقد تمت مقاطعتي في أحيان كثيرة جدا من قبل". وقد كنا نخاف من الدخول من أجل الحصول على شريط لاصق، لأنه كان لا يحب أن يرى أننا قمنا بجرح أنفسنا، سواء كان ذلك من جهتنا، أو بناء على حساسيته المفرطة، تجاه الرؤية للدم. وأتذكر جيدا بقائي مترصدة في الممر، إلى أن يصبح على مسافة آمنة، ثم القيام بعد ذلك، بالتلصص طلبا للشريط اللاصق".

"يبدو لي أن الحياة، عندما أعود إلى استرجاع النظر إليها، كانت منتظمة جدا في تلك الأيام المبكرة، ولا أعتقد باستثناء الأقارب (والبعض القليل من الأصدقاء المقربين)، أن أي شخص كان يأتي إلى المنزل. وكنا أحرارا بعد انتهاء الدروس، في الذهاب أينما شئنا، وكان ذلك بشكل رئيسي، إلى غرفة الجلوس وفي حدود الحديقة، وبذلك فإننا كنا بشكل كبير جدا، بصحبة كل من والدي ووالدتي. وكنا نعتبر أن من أكثر الأشياء إمتاعا، أن يقوم بالسرد علينا، لأي قصص تدور حول "البيجل"، أو حول أيام "شروزيبري" المبكرة - والتفاصيل الصغيرة حول حياة المدرسة وتذوقاته الصببانية. وكان يقوم في بعض الأحيان أيضا، بالقراءة بصوت مرتفع لأطفاله، كتبنا مثل روايات "سكوت" Scoot، وأتذكر القليل من المحاضرات الصغيرة حول المحرك البخاري^(١).

"كنت مريضة بشكل او بآخر في غضون السنوات الخمس، ما بين سن الثالثة عشرة والثامنة عشرة من عمري، وكان معتادا لزمنا طويل (سنوات كما يبدو لي)، على لعب جولتين من لعبة الطاولة معي بعد كل ظهيرة. وقد كان يقوم بلعبهما بأعلى روح معنوية ممكنة، وأتذكر أننا كنا معتادين في وقت من الأوقات، الاحتفاظ بسجل للجولات، وبما أن هذا السجل كان في صالحه، فإننا قمنا بالاحتفاظ

بقائمة من أرقام النرد المزدوجة، التي يلقيها كل منا، لأننى كنت مقتنعة، بأنه كان يقوم بإلقاء النرد، بطريقة أفضل منى".

"كان صبره وتعاطفه بدون حدود، وكنت أشعر أثناء تلك النوبات المرضية المرهقة، وفي بعض الأحيان، عندما كنت أشعر بالتعاسة إلى أقصى حد، أن تعاطفه، يصل إلى حد المبالغة في الشدة. وعندما كنت فى أسوأ حالاتى، كنا نذهب إلى منزل عمى فى "هارتفيلد" Hartfield بـ "ساسكس" Sussex، وبمجرد أن يتم الانتقال بسلامة، كان يذهب إلى "مور بارك" Moor Park، لقضاء أسبوعين من الاستشفاء بالمياه. وأسترجع الآن كيف كنت عند عودته، لا أطيق انتظار دخوله إلى غرفتى، وكان تعبير التعاطف والانفعال^(١) الرقيق الموجود على وجهه، غاية فى تحريك المشاعر، وكان يتجدد بعد عودته من غيابه القصير".

"كان يقوم بالاهتمام بجميع مساعينا^(٢) واهتماماتنا^(٣)، وكان يشاركنا حياتنا، بطريقة يقوم بها العدد القليل جدا من الآباء. ولكننى متأكدة من أن أيًا منا لم يشعر، أن هذه الحميمية لها أى دخل على الإطلاق، باحترامنا وطاعتنا له. وكان أى شيء يقوله، هو الحقيقة التامة، والقانون بالنسبة لنا. وكان يقوم دائما بشغل ذهنه بأكمله، من أجل الإجابة على أى من تساؤلاتنا. وتجعلنى إحدى المناسبات التافهة أشعر بمدى عنايته، بما كان موضع اهتمامنا. فلم يكن لديه أى ولع بالقطط، رغم أنه كان معجبا بتصرفات القطط الصغيرة البارة. ولكنه كان يعلم ويتذكر، جميع ما يتعلق بقططى كثيرة العدد، وكان من شأنه أن يتحدث عن سلوكيات وطباع المشهورين منهم، لسنوات طويلة بعد وفاتهم".

" كانت السمة المميزة الأخرى، الخاصة بمعاملاته مع أطفاله، احترامه لحريتهم^(١)، ولشخصيتهم^(٢). وأتذكر حتى كفتاة هادئة، الشعور بالاستمتاع الشديد في هذا الإحساس بالحرية. وكان من شأن والدنا ووالدتنا ألا يرغباً، حتى في معرفة ما نقوم به أو نفكر فيه، إلا إذا أردنا إخبارهما. وكانا يجعلاننا نشعر دائماً، بأن كل فرد فينا كائنٌ له آراؤه وأفكاره، التي كانت ذات قيمة عالية بالنسبة له، بحيث خرج أفضل ما بداخلنا إلى ضوء الشمس في وجوده".

" لا أظن أن إحساسه الزائد عن الحد بصفاتها الجيدة، سواء كانت ذهنية أو أخلاقية، جعلنا مغرورين، كما كان من المحتمل أن يكون متوقعاً، لكننا كنا في الواقع، أكثر تواضعاً وإقراراً بالجميل له. ولا شك أن السبب كان يتمثل في أن تأثير شخصيته، والإخلاص والعظمة الموجودين في طبيعته، قد كان لهما تأثيرٌ أعمق وأكثر دواماً، عن أى إفراطات صغيرة، كان من الممكن أن يسببه لخيالنا ثناؤه أو إعجابه".

لقد كان كراسٍ للإطار المنزلى، محبوباً ومحترماً بشكل كبير، وكان دائماً ما يتحدث مع الخدم بطريقة مؤدبة، مستخدماً تعبيرات مثل "هل من الممكن أن تتكرم" فى طلبه لأى شىء. وكان من النادر جداً أن يشعر بالغضب من الخدم، ومما يوضح مدى ندرة حدوث ذلك، أنني عندما كنت صبياً صغيراً، تطرق إلى سمعى توبيخ لخدم، وكان والدى يتكلم بشكل غاضب، وترك ذلك انطباعاً عندي، على أساس أنه حادث مروع^(٣)، وأتذكر أنني عدوت إلى أعلى هارباً من إحساس عام بالرعب^(٤). ولم يكن يزعج نفسه، بما يدور حول الإدارة للحديقة أو الأبقار وخلافهما. وكان يعتبر الجياد من الأشياء المتعلقة به بشكل قليل، إلى درجة أنه

Liberty

Personality

Appaling

Awe

(١) الحرية

(٢) الشخصية

(٣) مروع - مرعب

(٤) رعب

كان يتساءل بتشكك، عما إذا كان من الممكن أن يقوم بإرسال أحد الجياد وعربة إلى "كيستون" Keyston، لإحضار نبات ورد الشمس (الدروسيرة)، أو إلى المشائل الزراعية^(١) في "وسترهام" Westerham، طلبا للنباتات، أو ما شابه ذلك.

كان والدى حائزا على سحر غريب كمضيف، وكان وجود الزائرين مثيرا له، وكان يجعله يقوم بإظهار أفضل مميزاته. وكان يقول دائما عن "شروزبرى"، أن والده كان دائم الرغبة، فى أن تتم العناية بالضيوف بشكل مستمر، ويتحدث فى أحد الخطابات الموجهة إلى "فوكس"، عن الاستحالة لتحرير خطاب، بينما المنزل مليء بالضيوف. وأعتقد أنه كان يشعر دائما بعدم ارتياح، لعدم استطاعته القيام بشيء أكثر، للترحيب بضيوفه، ولكن النتيجة كانت ناجحة، ولتعويض أى خسارة، كان هناك الريح المتمثل، فى شعور الضيوف بأنهم أحرار تماما، فى التصرف طبقا لما يحبونه. وكان الزوار الخارجون عن المعتاد إلى أقصى حد، هم الذين يظلون من يوم السبت إلى يوم الإثنين، أما الذين كانوا يظلون لمدة أطول، فقد كانوا فى العادة الأقارب، وكان يتم اعتبارهم من الشؤون الخاصة بوالدى بشكل أكبر من أن يكون ذلك من شأنه.

كان هناك بجانب هؤلاء الزوار، أجنب وغرباء آخرون، الذين كانوا يأتون لتناول الغداء، ويرحلون بعد الظهر. وكان معتادا بضمير حى^(٢) على إطلاعهم، على المسافة الشاسعة التى تفصل "داون" عن "لندن"، والمشقة التى عليهم ملاقاتها للذهاب إليها، مسلما بشكل لا واع، بأن من شأنهم أن يجدوا الرحلة شاقة^(٣)، كما يحدث معه. ولكن إن لم يمنعهم ذلك، فإنه كان يقوم فى العادة بترتيب الرحلات لهم، ويخبرهم بمتى يأتون، وبشكل عملى، متى يغادرون. وقد كان من الممتع مشاهدة الطريقة، التى يشد بها على يد أى ضيف، يتم الترحيب به لأول مرة، فقد

Nursery

Conscientious

Toilsome

(١) مثل زراعى

(٢) ضمير حى

(٣) شاق = منهك

كانت يده تتدفع بطريقة تعطي الشخص الشعور بأنها تتسارع لمقابلة يد الضيف. وكانت يده تقوم مع الأصدقاء القدامى بالهبوط بتلوحة قلبية إلى اليد الأخرى، بطريقة كنت أشعر دائما بالارتياح لرؤيتها. وكان وداعه متميزا بشكل رئيسي، بالطريقة اللطيفة التي كان يقوم بها، أثناء وقوفه عند الباب، بشكر ضيوفه، لأنهم جاءوا لرؤيته.

كانت تلك اللقاءات على الغداء حفلات ناجحة جدا، ولم يكن هناك أى مجال للضجر^(١) أو الفتور^(٢) فيما يدور فيها، وكان أبى يبدو مشرقا ومستثارا، على مدى الزيارة بأكملها. وقد قام "الأستاذ دى كاندول" Prof. De Candolle بوصف إحدى الزيارات إلى "داون"، بطريقته المثيرة للإعجاب والمتعاطفة لوصف والدى [4]. وقد تكلم عن سلوكه، على أساس أنه مشابه لذلك الخاص بأى "عالم"^(٣) فى "أكسفورد" Oxford أو "كامبريدج". ولا يستوقفنى ذلك على أساس أنه مقارنة جيدة تماما، فإنه كان فى استرخائه وطبيعته يتمتع بالسلوك الخاص ببعض الجنود بشكل أكبر، وهو سلوك نابع عن الغياب التام للتظاهر^(٤) أو العاطفة. ولقد كان هذا الغياب للتكلف^(٥)، وكانت الطريقة الطبيعية والبسيطة، التي كان يبدأ بها الحديث إلى ضيوفه، لعرض وجهات نظرهم هى التي قامت بجعله غايه فى الجاذبية كمضيف لأى شخص غريب. وكان يبدو أن اختياره البهيج لمادة الحديث، شىء نابع من طبيعته المتعاطفة، واهتمامه المتواضع المفعم بالحيوية بأعمال الآخرين.

Drag

Flag

Savant

Pretence

Pose

(١) ضجر

(٢) فتور

(٣) عالم

(٤) تظاهر

(٥) تكلف

أعتقد أنه تسبب لبعض الناس، في معاناه فعلية عن طريق تواضعه، ولقد رأيت الراحل "فرانسيس بالفور" Francis Balfour يخرج عن صوابه^(١) تماماً، عن طريق معلومة منسوبة إليه حول نقطة ما، قام والدي بإعلان أنه يجعلها تماماً.

من الصعب محاولة الإحاطة بشكل تام بالمميزات الخاصة بمحادثات والدي. فقد كان لديه رعب أكبر مما لدى معظم الناس، من القيام بتكرار قصصه، وكان يقول باستمرار: "لا بد أنك سمعتني أقول" أو "لقد قلت لك"، وقد كانت تلك خاصية مميزة، قامت بإضفاء تأثير غريب على محادثاته. وكان من شأن الكلمات الأولى من أى جملة، أن تقوم فى كثير من الأحيان، بتذكيره باستثناء ما، أو سبب معارض، لما كان فى سبيله إلى الإدلاء به، وكان من شأن هذا بدوره، أن يقوم باستحضار نقطة أخرى، وكان من شأن الجملة بهذا الشكل أن تصبح منظومة^(٢)، مكونة من جملة اعتراضية^(٣)، ضمن جملة اعتراضية، وكان من المستحيل فى كثير من الأحيان، استيعاب سياق ما كان يقوله، إلى أن يصل إلى نهاية جملته. وكان معتاداً أن يقول عن نفسه، إنه لم يكن سريعاً بدرجة كافية، لكى يقيم جدالاً مع أى شخص، وأظن أن هذا كان صحيحاً. فإن لم يكن الموضوع منصباً على ما كان يعمل عليه فى ذلك الوقت، لم يكن فى استطاعته وضع سلسلة المجادلة، فى سياقها بسرعة كافية. وكان هذا يظهر حتى فى خطاباته، حيث لم يتذكر فى خطابين إلى "الأستاذ سيمبر" Prof. Semper، حول تأثير الانعزال^(٤)، سلسلة الحقائق التى أراد ذكرها، إلا بعد مرور بضعة أيام، من إرسال الخطاب الأول.

كان يعانى عندما كان يرتبك أثناء الحديث، من تلثم مميز، عند الكلمة الأولى من أى جملة. ولا أتذكر حدوث ذلك إلا مع الكلمات التى تبدأ بحرف "و" =

Discompose

System

Parenthesis

Isolation

(١) يخرج عن الصواب

(٢) منظومة

(٣) جملة اعتراضية

(٤) الانعزال

W"، و من المحتمل أنه كان يعاني من صعوبة مع هذا الحرف، ولأننى سمعته يقول، إنه كان لا يستطيع النطق بحرف "و" فى صباه، وعرض عليه ست بنسات، إذا استطاع أن يقول "White Wine"، التى قام بنطقها "rite rine". ومن المحتمل أنه ورث هذه النزعة، عن "إراسموس داروين"، الذى كان يتلعثم [5].

كان يقوم فى بعض الأحيان بضم ألفاظه المجازية^(١) بطريقة غريبة، مستخدماً عبارة مثل "متمسكا مثل الحياة" - وهى خليط من "متمسكا من أجل حياته" و"متمسكا مثل الموت الزؤام". وقد نتج ذلك عن طريقته المتلفهة، لإدخال التأكيد إلى ما يقوله. وكان هذا يقوم فى بعض الأحيان، بإضفاء سمة من المبالغة، حيث لم يكن ذلك مقصودا، ولكنه كان يقوم أيضا بإعطاء، سمة نبيلة بالاقتناع القوى والفياض، كما حدث على سبيل المثال، عندما كان يقوم بتقديم الأدلة، أمام "المفوضية الملكية" Royal Commission، حول تشريح الحيوانات الحية^(٢)، وصدرت منه كلمات تدور حول القساوة^(٣)، مثل "إن هذا يستحق المقت^(٤) والاشمئزاز^(٥)". وكان نادرا ما يستطيع الكلام، عندما يشعر بقوة مسألة مماثلة حيث كان من السهل عندئذ أن يغضب، وهو شئ كان لا يحبه إلى أقصى حد. وكان يعى أن غضبه يميل لمضاعفة نفسه بلا حدود، ولهذا السبب، كانت لديه رهبة (على سبيل المثال) من القيام بتوبيخ أحد الخدم.

لقد كان إثباتا عظيما للتواضع الموجود فى أسلوب حديثه، أنه عند مجيء عدد من الزوار، من طرف "السير جون لوبوك" Sir John Lubbock، بعد ظهر أحد أيام الأحد، لم يبد كما لو كان يقوم بالوعظ^(٦) أو إلقاء محاضرة، رغم استحواذه

Metaphor

Vivisection

Cruelty

Detestation

Abhorrence

Preach

(١) لفظ مجازى - مجاز - كنية

(٢) تشريح الحيوانات الحية

(٣) القساوة - القسوة - الوحشية

(٤) المقت - البغض

(٥) الاشمئزاز

(٦) يعظ

على وقت طويل جدا للحديث. وكان ساحرا بشكل خاص عندما يقوم بممازحة^(١) أى شخص، ويفعل ذلك بروح معنوية مرتفعة. وكان أسلوبه فى مثل تلك الأوقات، خفيف الظل وصبيانيا^(٢)، وكانت رقة طبيعته تتبدى للعيان بأقوى صورة. وكان هذا هو الحال، عندما يتحدث مع أى سيدة، تجلب له السرور والتسلية، وكان من الممتع مشاهدة خليط المزاح^(٣) والمراعاة^(٤) الموجود فى أسلوبه.

عندما كان والدى يستقبل العديد من الزوار، فإنه كان يقوم بتدبير أمورهم بشكل جيد، ويتداخل فى الحديث مع كل واحد منهم، أو يقوم بجمع اثنين أو ثلاثة منهم حول كرسيه. وكان هناك دائما أثناء تلك المحادثات، القدر الكبير من المزاح، وتحول فكاهى فى حديثه، أو بهجة غامرة بديلة عن ذلك. ومن المحتمل أن يكون استرجاعى للعامل الفكاهى الغامر، هو الأكثر حيوية فى ذهنى، لأن أفضل المحادثات كانت تتم مع "السيد هوكسلى" Mr. Huxley، الذى كانت لديه ميول مماثلة للعبادة، حتى عندما لا يكون هناك مجال للعبادة. وكان والدى يستمتع إلى أبعد حد، بعبادة "السيد هوكسلى"، وكان من شأنه أن يقول فى كثير من الأحيان، "إن مزاح هوكسلى شئ رائع!". وأعتقد أنه قد كانت له محاولات علمية أكثر (ذات طبيعة تشبه العراك)، مع "لايل" Lyell و"السير جوزيف هوكر" Sir Joseph Hooker.

كان معتادا القول، أن من المحزن له ألا يجد، تجاه أصدقاء الجزء الأخير من حياته، نفس الشعور بالعاطفة الدافئة التى كانت موجودة فى شبابه. وكان يقوم بتأكيد ذلك بتقديم الأدلة فى خطاباته المبكرة الصادرة عن "كامبريدج"، على الصداقة القوية التى كانت تربطه بـ "هيربرت" Herbert و"فوكس"، ولكن لا يوجد

Chaffing

(١) يمازح

Boyish

(٢) صبيانى

Raillery

(٣) المزاح

Deference

(٤) المراعاة = الاحترام

أحد سواه، يستطيع إن يقول إن مودته لم تكن، على مدى حياته، من أدفا نوعية ممكنة. ولم يكن من شأنه فى سبيل تقديم خدمة إلى صديق، أن يجنب نفسه أى مشقة، وكان يتم التقديم بطيب خاطر، للثمين من الوقت والجهد. ولاشك فى أنه كان يتمتع بقدرة غير عادية على جعل الأصدقاء يتعلقون به. وكان لديه العديد من الصداقات الدافئة، لكنه كان مرتبطا بروابط من المودة بـ "السير جوزيف هوكر"، بشكل أقوى مما نراه كثيرا بين الرجال. وقد كتب فى "استرجاعاته"، "من الصعب أن أكون قد تعرفت على أى إنسان، أكثر جدارة بالمحبة من "هوكر".

كانت علاقته مع أناس القرية علاقة لطيفة، وكان يعاملهم، أفرادا وجماعة، بكياسة كلما حدث اتصال معهم، وكان يشعر بالاهتمام بكل شىء يتعلق بشئونهم. وساعد بعد مرور بعض الوقت على قدومه للمعيشة فى "داون"، على إنشاء "ناد ودى" Friendly Club، وقام بمهام أمين صندوقه^(١) لمدة ثلاثين عاما. وقام بتحمل الكثير من المشاق المتعلقة بأمر النادى، قائما بتسجيل حساباته بدقة وانضباط متحوط، ومستمدا السرور من أحواله المزدهرة. وعند الاحتفال بـ "يوم الإثنين الأبيض" Whit-Monday، كان النادى معتادا القيام بمسيرة متجولا مع فرقة موسيقية ورايات، فى موكب استعراض على الأرض المعشوشبة الموجودة أمام المنزل، وكان يقوم بلقائهم فى هذا المكان، ويشرح لهم موقفهم المالى فى خطاب قصير، متبل^(٢) بالبعض من الدعابات المعتادة. وكثيرا ما كان عليلا بدرجة تجعل حتى هذا الاحتفال البسيط، يمثل إجهادا بالنسبة له، ولكننى أعتقد أنه لم يتخلف فى أى مرة عن مقابلتهم.

كان يقوم أيضا بمهام أمين الصندوق لـ "نادى الفحم" Coal Club، وهو الشىء الذى أعطاه بعض المشغولية، وقام لبعض من السنوات، بمهام "القاضى الإقليمى" Couty Magistrate.

فيما يتعلّق بانغماس والدى فى الاهتمام بشئون القرية، كان "السيد برودى إنز" Mr. Brodie Innes غاية فى الكرم، لقيامه بإعطائى استرجاعاته عن ذلك :-
 "عندما أصبحت كاهن "داون" فى عام ١٨٤٦، أصبحنا أصدقاء، واستمر ذلك إلى مماته. وكانت تصرفاته تجاهى وتجاه عائلتى، لطيفة بشكل لا يتغير، وقد قمنا برد هذا الشعور بمودة دافئة".

"كان يقوم بالمساعدة الفعالة فى جميع أمور الأبرشية، فى الأمور المرتبطة بالمدارس، والأعمال الخيرية، والأعمال الأخرى، وكان على استعداد دائم للاستراك السخى، وكنت فى الاختلافات التى تحدث أحيانا فى تلك الأمور - كما يحدث فى الأبرشيات الأخرى - متأكدا بشكل دائم من مساندته. وكان يرفع شعارا، بأن عليه عندما لا يكون هناك فى الواقع أى اعتراض مهم، تقديم مساعدته إلى رجل الدين، الذى من المحتم أن يكون عالما بالظروف على أفضل وجه، وهو الذى يكون مسئولاً بشكل رئيسى".

كان اتصاله^(١) بالغرباء موسوما بالكياسة^(٢) المتحولة^(٣) ويتسم بالشكليات إلى حد ما، ولكن لم تتح له فى الحقيقة، إلا فرص قليلة للقاء الغرباء.



لوحة (٥٤)

هيربرت سبنسر

قال "الدكتور لان" Dr. Lane بوصف [6]، إنه في المناسبة النادرة التي قام فيها والدي، بحضور محاضرة لـ "الدكتور ساندerson" Dr. Sanderson، في "المؤسسة الملكية" Royal Institution، قام جميع الحاضرين بالنهوض للترحيب به، في الوقت الذي كان يبدو فيه أنه "ليس على دراية كافية، بأن مثل هذا الانفجار في التصفيق"^(١)، من الممكن أن يكون من أجله". فقد قادته حياة "داون" الهادئة، إلى جعله يشعر بالارتباك، عند تواجده في مجتمع كبير، وعلى سبيل المثال، فإنه كان يشعر بضيق الصدر^(٢)، للعدد الكبير الذي يكون موجودا، في أمسيات^(٣) "الجمعية الملكية" Royal Society. والشعور بأن عليه أن يعرف الناس، وزادت الصعوبة التي كانت لديه في تذكر الوجوه، في أيامه الأخيرة، في عدم شعوره بالراحة، في مثل تلك المناسبات. ولم يتضح له أنه من الممكن التعرف عليه من صورده، وأتذكر أنه لم يكن مستريحا عندما تم التعرف عليه بشكل واضح، بواسطة أحد الغرباء الموجودين في صالة "القصر البللوري" Crystal Palace لعرض الأحياء المائية^(٤).

لا بد لي من الإدلاء بشيء عن أسلوبه في العمل: حيث كانت إحدى الصفات المميزة لذلك، هي الاحترام للوقت، فإنه لم يكن يتغاضى على الإطلاق، عن قيمته النفسية. وكان يتم إظهار ذلك على سبيل المثال، في الطريقة التي كان يحاول بها، الاختصار^(٥) في رحلاته، وبشكل أوضح أيضا، بالنسبة للاختزال من مددها. وكان من شأنه أن يقول في كثير من الأحيان، إن الاقتصاد في الدقائق، هو الطريقة لإنجاز العمل، وقد قام بإظهار ولعه بالاقتصاد في الدقائق، في الاختلاف الذي كان يشعر به، بين الربع من الساعة والدقائق العشرة من العمل، ولم يكن يقوم بإهدار أي دقائق زائدة، نتيجة للتفكير في أنها لا تستحق استغلالها في العمل. وكنت كثيرا

Applause

(١) تصفيق

Oppressed

(٢) ضيق الصدر

"Soirees"

(٣) أمسيات

Aquarium

(٤) صالة عرض الأحياء المائية

Curtail

(٥) اختصار = بتر

ما أصطدم بطريقته في العمل، إلى أقصى حد تسمح به قوته، إلى درجة أنه كان يقوم بالتوقف فجأة عن الإملاء قائلا: "أعتقد أنني يجب ألا أقوم بأكثر من ذلك". وكانت تتم رؤية نفس الرغبة المثلثة لتجنب فقدان الوقت، في حركاته السريعة، عندما يكون منغمسا في العمل. وأتذكر بشكل خاص ملاحظة ذلك، عندما كان يقوم بإجراء تجربة، على جذور الفول، التي كانت محتاجة إلى بعض العناية في معالجتها، حيث كان التثبيت لأجزاء صغيرة من البطاقات على الجذور، بعناية وببطء بشكل ضروري، ولكن الحركات الوسيطة كانت كلها سريعة، مثل تناول حبة جديدة، ورؤية أن الجذر كان سليما، واختراقها^(١) بدبوس، وتثبيتها على فليئة^(٢)، والتأكد من أنها في وضع عمودي، الخ، وجميع تلك العمليات كان يتم أدائها، بنوع من التلهف المكبوح. وكان يقوم دائما بإعطاء أى شخص، الانطباع بأنه يقوم بالعمل بسرور، وليس بأى شيء من الضجر^(٣). ولدى أيضا تصور له، وهو يقوم بتسجيل نتيجة بعض التجارب، من قيامه بالتطلع بلهفة إلى كل جذر، أو أى شيء آخر، ثم قيامه بالكتابة بنفس الدرجة من اللهفة. وأتذكر التحركات السريعة لرأسه، إلى أعلى وإلى أسفل، أثناء قيامه بنقل نظره، من الشيء إلى دفتر المذكرات.

كان يقوم بتوفير القدر الكبير من الوقت، من خلال عدم الحاجة إلى القيام بالأشياء مرتين. رغم أنه كان من شأنه، أن يقوم بإعادة التجارب بصبر، إذا كانت هناك فائدة تجنى من ذلك، إلا أنه لم يكن يستطيع احتمال إعادة أى تجربة، كان يجب أن تنجح من أول مرة، إذا ما تم اتخاذ الحيلة الكاملة - وكان ذلك يقوم بإعطائه قلما مستمرا، من أن يتم إهدار أى تجربة، وكان يشعر بأن التجربة هي شيء مقدس، مهما كانت تجربة بسيطة. وكان تواقا لأن يتعلم أكبر قدر ممكن من

أى تجربة تجرى، ولهذا فإنه لم يكن يقوم بتحديد نفسه، على مراقبة نقطة واحدة، تكون التجربة موجهة إليها، وكانت قدرته على الرؤية لعدد من الأشياء الأخرى مدهشة. ولا أعتقد أنه كان يهتم بالملاحظات الابتدائية أو التحضيرية، التى كان المقصود منها أن يتم استخدامها كدلائل، وعليها أن تعاد. وكل تجربة يتم القيام بها، كان لابد أن يكون لها بعض من النفع، وأتذكر فى هذا السياق، كيف كان يقوم بالمطالبة بقوة، بضرورة الاحتفاظ بمذكرات خاصة بالتجارب التى فشلت، وكان يلتصق دائما بهذه القاعدة.

كان لديه على الجانب الأدبى من عمله، نفس الذعر من إضاعة الوقت، ونفس الحماس فيما يكون قائما بعمله فى تلك اللحظة، وقد جعله ذلك حريصا على ألا يضطر إلى القراءة بدون ضرورة، لأى شئ للمرة الثانية.

كانت نزعة الطبيعية، تجاه الاستخدام للوسائل الطبيعية، والقليل من الآلات. وكان الاستخدام للمجهر المركب^(١) قد زاد منذ أن كان يافعا، وكان ذلك على حساب المجهر البسيط. ومن الأشياء التى تستوقف انتباهنا فى الوقت الحالى، كشيء خارج عن المألوف، ألا يكون لديه مجهر مركب، عندما ذهب فى رحلته البحرية، على متن السفينة البيجل، لكنه قام فى هذا الأمر، باتباع نصيحة "روبرت براون" Robt. Brown، الذى كان من الثقات فى مثل تلك الأمور. وكان لديه دائما ميل شديد للمجهر البسيط، وكان يصر على أن يتم إهماله بشكل أكثر من اللازم فى الوقت الحالى، وأن الإنسان عليه أن يشاهد أكبر قدر ممكن، بواسطة المجهر البسيط، قبل أن ينتقل إلى المجهر المركب. ويتحدث فى واحد من خطابه حول هذه النقطة، ويعلق بأنه يشك دائما فى عمل أى إنسان، لم يقم على الإطلاق، باستخدام المجهر البسيط.

كانت منضدة التشريح^(١) الخاصة به عبارة عن لوح سميك من الخشب، مثبت إلى إحدى النوافذ الموجودة بغرفة المكتب، وكانت أكثر انخفاضا عن أى منضدة عادية، بحيث كان لا يستطيع العمل عليها وهو منتصب الذى لم يكن يستطيع القيام به بأى حال، وقد كان ذلك، نتيجة للرجبة فى الاقتصاد فى قواه. وكان يجلس إلى منضدة التشريح، على مقعد غريب منخفض بلا أذرع، كان تابعا لوالده، وله مقعدة تدور حول محور رأسى، وموضوع على عجلات^(٢) كبيرة، لكى يكون فى استطاعته الدوران بسهولة من جانب إلى جانب. وكانت أدواته المعتادة وما إلى ذلك، تنتثر على المنضدة، ولكن بجانبها، كان هناك عدد من النثریات^(٣)، التى كان يتم الاحتفاظ بها فى منضدة مستديرة، مليئة بالأدراج المتشعبة، والتى كانت تستدير على محور رأسى، وكانت تقف فى مكان قريب من جانبه الأيسر، عندما كان يجلس إلى منضدة مجهزة. وكانت الأدراج معنونة، "أفضل الآلات" "الآلات الفجة"، "العينات"، "تحضيرات العينات"، وخلافها. وأكثر شىء غريب من بين محتويات تلك الأدراج، كانت العناية التى يتم بها الاحتفاظ بالبقايا الضئيلة والأشياء غير المفيدة تقريبا، فقد كان يحتفظ بالإيمان المعروف، بأنك إذا قمت بالتخلص من شىء، فلك أن تتأكد من أنك سوف تحتاج إليه على الفور - وهكذا كانت الأشياء تتراكم.

إذا قام أى شخص بالتطلع إلى أدواته وخلافها، وهى مستلقية على المنضدة، فمن شأنه أن يصطدم بمسحة من البساطة، والاستخدام^(٤)، والغرابة.

كان يوجد على جانبه الأيمن رفوف، عليها عددٌ من الأشياء المتنوعة، والزجاجات، والصحاف^(١)، وعلب الكعك الجاف الصفيح من أجل الإنبات للبذور،

Dissect

(١) يشرح

Castor

(٢) عجلة

Odds and ends

(٣) نثریات = أشياء متنوعة

Make-shift

(٤) الاستخدام

وبطاقات من الزنك، وصحاف مليئة بالرمل، وغيرها. وعند الوضع في الاعتبار، كيف كان والدى مرتبا ومنهاجيا في الأشياء الجوهرية، فإنه كان من الغريب أنه كان يستطيع التعايش، مع مثل هذا العدد الكبير من الأشياء المستعملة: وعلى سبيل المثال، فبدلا من طلب صنع صندوق بأى شكل مطلوب، ومصبوغ بالأسود من الداخل، كان من شأنه أن يقوم باصطياد شيء مشابه لما يريده، ويقوم بتسويد داخله بمادة تسويد الأحذية، ولم يكن يعنى بالحصول على أغشية زجاجية مصنوعة بشكل خاص، للأوعية التى يقوم فيها بإنبات البذور، ولكنه كان يستخدم قطعة زجاجية مكسورة ذات أشكال مختلفة، ومن المحتمل أن يكون لها زاوية ضيقة بدون نفع، بارزة من أحد الجوانب. ولكن العدد الكبير جدا من التجارب التى كان يجريها كان من النوعية البسيطة، وبذلك فإنه لم يكن محتاجا إلى أى أشياء متقنة، وأعتقد أن سلوكه في هذا الأمر كان بقدر كبير، نتيجة لرغبته في الاقتصاد^(٢) في قوته، وألا يقوم بتبديدها على الأشياء غير الضرورية.

من الممكن القيام في هذا المجال، بذكر طريقته في وضع علامات على الأغراض. فعندما يكون لديه عدد من الأشياء التى يريد تمييزها عن بعضها، مثل الأوراق الشجرية، أو الزهور أو خلافيهما، فإنه كان يقوم بربط خيوط ذات ألوان مختلفة حولها. وكان يقوم بالذات باستخدام هذه الطريقة، عندما يكون لديه طائفتان فقط من الأغراض للتمييز بينهما، وبهذا الشكل، ففي حالة الزهور المهجنة والملقمة ذاتيا^(٣)، كان يقوم بربط ساق الزهرة في مجموعة بخيط أسود والأخرى بخيط أبيض وأتذكر جيدا، منظر مجموعتين من محافظ البذور^(٤)، التى كانت قد جمعت، وكانت تنتظر أن يتم وزنها، وإحصاؤها، وما إلى ذلك، مع قطع من الخيط الأسود

Saucers

(١) الصحاف

Husband

(٢) اقتصاد

Self-fertilised

(٣) ملقح ذاتيا

Capsule

(٤) محفظة (بذور)

والأبيض، للتمييز بين الصوانى^(١) التى تستلقى فيها. وعندما كان عليه أن يقوم بالمقارنة، بين مجموعتين من النباتات، التى تم زرعها^(٢) فى نفس الإناء، كان يقوم بالفصل بينهما، بواسطة حاجز مكون من صفيحة من الزنك، وكان يتم دائما، وضع البطاقة الزنكية، التى تقوم بإعطاء التفاصيل اللازمة حول التجربة، على جانب معين، و أصبح من الغريزى له بهذا الشكل، أن يعرف بدون قراءة البطاقة، أى منها كانت المهجنة وأياها كانت ذاتية التلقيح.

لقد تم الظهور بشكل ملحوظ لولعه بكل تجربة محددة، وحماسه المتلهف على عدم فقدان لثمرتها، أثناء تلك التجارب التهجينية - فى صورة العناية الدقيقة التى كان يتخذها لعدم القيام بأى ارتباك، فى وضع المحافظ البزيرة داخل الصوانى الخاطئة. وما إلى ذلك. وأستطيع استرجاع منظره، وهو يقوم بإحصاء البذور تحت المجهر البسيط، بانتباه لا تتميز به فى العادة، مثل تلك الأعمال الآلية كالإحصاء. وأعتقد أنه كان يقوم بتصوير كل بذرة، على أساس أنها عفريت^(٣) صغير، يحاول أن يراوغه^(٤)، بالانضمام إلى الكومة الخاطئة، أو القفز بعيدا من أساسه، وكان ذلك يقوم بإعطاء العمل، الإثارة الخاصة بأى لعبة من الألعاب. وقد كان لديه إيمان شديد بالآلات، ولا أعتقد أنه طرأ له بشكل طبيعى، أن يشك فى دقة مقياس مدرج^(٥) أو معيار زجاجى^(٦)، أو ما شابه ذلك. وقد بوعت عندما وجد، أن واحدا من أدوات القياس الدقيق جدا^(٧)، كان يختلف عن الآخر. إلا أنه لم يكن محتاجا إلى الدقة الشديدة فى معظم معاييرته، ولم يكن لديه موازين جيدة، وكانت لديه مسطرة

Tray	(١) صينية (جمعها صوانى) - طبق تقديم
Sow	(٢) يزرع (البذور)
Demon	(٣) عفريت
Elude	(٤) يراوغ
Scale	(٥) مقياس مدرج - ميزان
Measuring glass	(٦) معيار زجاجى - قنينة معايرة
Micrometer	(٧) أداة قياس دقيق جدا - ميكرومتر

قديمة طولها ثلاثة أقدام، وكانت من الممتلكات الشائعة في المنازل، والتي تتم استعارتها بشكل مستمر، لأنها كانت الوحيدة، التي من المؤكد أن تكون موجودة في موضعها - إلا إذا لم يتذكر الشخص الأخير الذي قام باستعارتها، أن يقوم بإعادتها إلى موضعها. وكان لديه لقياس ارتفاع النباتات قضيب توزيع^(١)، طوله سبعة أقدام، تم تدريبه بواسطة نجار^(٢) القرية. وقد قام مؤخرًا، باستخدام مقاييس ورقية مدرجة بالمليمترات. وكان يقوم من أجل الأغراض الصغيرة، باستخدام فرجار^(٣) ومنقلة^(٤) عاجية^(٥). وكانت من الأشياء المميزة له، أنه كان يقوم بتحمل عناء شديد، عن طريق القيام بالقياسات، باستخدام أدوات قياسه الفجة بعض الشيء. وأحد الأمثلة التافهة على إيمانه بالمصادقية، هي قيامه بحساب البوصة على أساس المليمترات، باستخدام كتاب قديم، الذي تبين فيما بعد، أنها موجودة فيه بشكل غير دقيق. وكان لديه معيار كيميائي، يرجع تاريخه إلى الأيام التي قام فيها بالعمل في الكيمياء، مع أخيه "إراسموس". وكانت قياسات السعة^(٦) تتم، باستخدام وعاء زجاجي "أبو قراطي" Apothecary للقياس: وأتذكر جيدًا منظره الخشن وتدريبه السيئ. وأتذكر علاوة على ذلك أيضًا، العناية الشديدة التي كان يتخذها، للحصول على خط السائل الموجود على التدريج. ولا أقصد بهذا التقرير عن أدواته، أن أيا من تجاربه قد عانت، من النقصان في دقة المعيار، ولكنني أقوم بتقديمها على أساس أنها أمثلة، على بساطة وسائله، وإيمانه بالآخرين - وهذا يعني إيمانه على الأقل، في صناع الأدوات، الذين كانت صناعتهم بأكملها لغزا بالنسبة له.

Deal rod

(١) قضيب توزيع *

Carpenter

(٢) نجار

Pair of compasses

(٣) فرجار = برجل

Protractor

(٤) منقلة: أداة لقياس الزوايا

Ivory

(٥) عاج

Capacity

(٦) السعة



غرفة المكتب في منزل "داروين"
(من مجلة Century Magazine ، يناير ١٨٨٣)

يخطر على بالي القليل من مميزاته الذهنية، التي لها علاقة بشكل خاص، بطريقة في العمل. وهناك واحدة من الخواص الذهنية، التي يبدو أنها كانت ذات ميزة خاصة وغاية في الأهمية، في قيادته للقيام بالاكشافات. وقد كانت تتمثل في القدرة على عدم السماح على الإطلاق، بالاستثناءات بأن تمر دون أن يتم الانتباه إليها. فكل شخص ينبه إلى أي حقيقة على أساس أنها استثناء، عندما تكون ملحوظة بشدة أو متكررة، لكنه كان حائزا على غريزة تجاه القبض على أي استثناء. وقد كانت أي نقطة يبدو أنها بسيطة، وغير مرتبطة مع العمل الجارى، التي يتم المرور عليها عن طريق الكثير من الأناس، بشكل لا واع تقريبا، مع بعض التفسير نصف المتروى، والذي هو في الحقيقة ليس تفسيرا على الإطلاق، هي الأشياء بالضبط، التي كان يقبض عليها، لكي يقوم باستخدامها كنقطة بداية. وليس هناك شيء خصوصي في هذا الإجراء إلى حد ما، حيث تم القيام بالكثير من الاكتشافات، بهذه الوسيلة. وأقوم بذكر ذلك، لأنتني عندما كنت أقوم بمراقبته أثناء عمله، انطبعت على بقوة قيمة الوجود لهذه القدرة لدى العالم التجريبي.

كانت الخاصية الأخرى التي كانت واضحة في عمله التجريبي، تتمثل في قدرته على الالتصاق بأي موضوع، وكان يقوم بتقديم الاعتذار تقريبا على صبره، قائلا إنه لا يستطيع احتمال الهزيمة، كما لو كان ذلك يمثل علامة على الضعف من جانبه. وكان يقوم في كثير من الأحيان، بالاستشهاد بالقول: "إنه العناد وما يفعله"، وأعتقد أن مصطلح العناد^(١) يقوم بالتعبير عن إطاره الذهني، بشكل أفضل تقريبا عن المثابرة^(٢). حيث يبدو أن المثابرة من الصعب أن تقوم بالتعبير عن رغبته العنادية تقريبا، لإجبار الحقيقة على الكشف عن نفسها. وكان يقول في كثير من الأحيان، أنه من المهم أن يكون من شأن الإنسان، أن يعلم النقطة الصحيحة التي يجب عندها التخلي عن أي بحث. وأعتقد أنه كان يميل إلى تعدى هذه النقطة، مما يدفعه إلى الاعتذار عن مثابرته، وإعطاء سمة المعاندة لعمله.

كان كثيرا ما يقول إنه لا يمكن لأحد أن يكون مراقبا جيدا، إلا إذا كان باحثا نشيطا في الجانب النظرى^(١). وهذا ما يعيدنى إلى ما سبق لى الإدلاء به، عن غريزته للقبض على الاستثناءات: فقد كان الأمر، كما لو أنه كان مشحونا^(٢) بقدرة على وضع النظريات، على استعداد للنسياب إلى أى اتجاه، عند حدوث أى اضطراب بسيط، بحيث لا توجد حقيقة، مهما كانت صغيرة، تستطيع تجنب القيام بإطلاق فيض من التفكير النظرى، ويتم بهذا الشكل تضخيم الحقيقة إلى شأن مهم. وكان من الطبيعى بهذه الطريقة أن تكون الكثير من النظريات التى من المتعذر الدفاع عنها^(٣)، قد وردت على باله، ولكن كان يتم لحسن الحظ معادلة خياله الخصب، بقدرته على الحكم والشجب^(٤) للأفكار التى تتوارد على ذهنه. وقد كان عادلا فى الحكم على نظرياته، ولم يكن يقوم بشجبها دون القيام بالتحقق، وهكذا فإنه كان مستعدا لاختبار ما من شأنه أن يبدو لمعظم الناس، على أساس لا يستحق على الإطلاق القيام باختباره. وكان يقوم بالإطلاق على تلك المحاولات الجامحة إلى حد ما، "التجارب الحمقاء"، وكان يستمتع بها إلى أقصى حد. ويعن لى أن أذكر كمثال على ذلك، أن اكتشاف أن الورقات الجنينية^(٥) الخاصة بنبات البيوفايثام^(٦)، تكون حساسة جدا لتغيرات الأحوال، جعله يتخيل أنه من الممكن لها، أن تقوم باستيعاب الذبذبات^(٧) الصوتية، وبناء على ذلك، كان يجعلنى أقوم بالعزف على زمخرى^(٨)، بالقرب من أحد النباتات [7].

Theoriser	(١) باحث فى الجانب النظرى
Charged	(٢) مشحون
Untenable	(٣) متعذر الدفاع عنه
Condemn	(٤) يشجب
Cotyledon	(٥) الورقة الجنينية (التي ترافق بذور الزهريات)
Biophytum	(٦) نبات البيوفايثام #
Vibrations	(٧) الذبذبات
Bassoon	(٨) الزمخر: زممار ذو أنبوبة خشبية مزودة وفم معدنى ملتوي

كان الولع بالتجربة قويا جدا لديه، وأستطيع أن أتذكر الطريقة التي كان يقول بها: " لن أستريح إلى أن أقوم بتجربته"، كما لو كانت هناك قوة خارجية تقوم بدفعه. وكان يستمتع بإجراء التجارب، بشكل أكبر من العمل الذي لا يستلزم سوى الترتين، وعندما يكون مشغولا بكتابة واحد من كتبه، التي يلزمها البرهان^(١) والانتظام^(٢) للحقائق، كان يشعر بأن العمل التجريبي، يمثل فترة استراحة أو عطلة. وهكذا، فإنه قام أثناء عمله على كتاب "تمايزات الحيوانات والنباتات" Variations of Animals and Plants، في عام ١٨٦٠ - ١٨٦١، باكتشاف تلقيح السحليبات، ووطن في نفسه أنه كان كسولا، لإعطائه مثل هذا الوقت الكبير. ومن المشوق التفكير، أن يتم تولى قطعة مهمة بهذا الشكل من البحث، والعمل عليها بشكل ضخم، على أساس أنها تمضية للوقت، بدلا من اعتبارها عملا أكثر جدية. وتحتوي الخطابات الموجهة إلى "هوكر"، في هذه الفترة، على تعبيرات مثل "فليسامحني الله لكوني كسولا إلى هذه الدرجة، فإنني مهتم بالعمل بشكل أبله تماما". وكان السرور الشديد الذي يحصل عليه، نتيجة الاستيعاب للتكيفات^(٣) التي تحدث من أجل التلقيح، يظهر بشكل قوى في تلك الخطابات. وهو يتحدث في واحد من تلك الخطابات، عن عزمه على العمل على نبات ورد الشمس (الدروسيورة)، كوسيلة للاستراحة من كتابته لـ "نشأة الإنسان" Descent of Man. وقد قام في "استرجاعاته" بوصف الإشباع القوى الذي يشعر به، في إيجاد حل لمعضلة تغاير قلم السمّة^(٤). ولقد سمعته يذكر أن دراسة طبقات أمريكا الجنوبية الأرضية، منحتة متعة أكبر من أى شيء آخر. ومن المحتمل أن هذا الاستمتاع بالعمل المحتاج إلى الملاحظة الدقيقة، هو الذي جعله يشعر بالتقدير للمديح، الذي تم تقديمه إلى قدراته على الملاحظة، بشكل أكثر عن الإعجاب بخواصه الأخرى.

Argument

(١) برهان

Marshalling

(٢) الانتظام = الترتيب

Adaptations

(٣) التكيفات

Heterostylism

(٤) تغاير قلم السمّة •

لم يكن لديه أى احترام للكتب، لكنه كان يعتبرها مجرد أدوات لاستخدامها فى العمل. ولهذا لم يكن يقوم بتجليدها، وحتى عندما تهرأ أحد الكتب الورقية إلى قطع صغيرة نتيجة للاستخدام، كما حدث فى كتاب Befruchtung لـ "موللر"، فإنه قام بالحفاظ عليه من الانحلال التام، عن طريق وضع مشبك معدنى على ظهره. وقد كان من شأنه بنفس الطريقة أن يقوم بقطع الكتاب إلى نصفين، لكى يجعل إمساكه أكثر راحة. وكان دائم التفاخر بأنه جعل "لايل" يقوم بنشر الإصدار الثانى لواحده من كتبه فى جزأين، بدلا من جزء واحد، عن طريق الإدلاء إليه بأنه كان مضطرا إلى تقسيمه لنصفين. وكان يتم فى كثير من الأحيان معاملة الكتيبات بشكل أكثر قسوة عن الكتب، لأنه كان يقوم بتمزيق جميع الصفحات باستثناء تلك التى تجذب انتباهه، وذلك للتوفير فى مكان الحفظ. وكانت النتيجة لجميع تلك الممارسات، أن مكتبته كانت غير مزينة، لكنها كانت لافتة للنظر نتيجة لأنه من الواضح أنها مجموعة من الكتب المخصصة للعمل.

لقد كان منهاجيا^(١) فى الطريقة التى يقوم بقراءة الكتب والكتيبات بها ، والتى لها علاقة بعمله. وكان لديه واحد من رفوف، الذى كان يكس الكتب التى لم يقرأها بعد، ورف آخر يتم نقلها إليه، بعد أن تتم قراءتها، وقبل أن يتم جدولتها. وكان من شأنه فى كثير من الأحيان، التأود على كتبه التى لم يقرأها، وذلك لأنه كان هناك الكثير منها، التى يعلم أنه لن يقوم على الإطلاق بقراءتها. والكثير من الكتب كان يتم على الفور نقلها إلى الكومة الأخرى، إما موسومة بشفرة عند نهايتها، لتوضيح أنها لا تحتوى على عبارات عليها ملاحظات، وإما يكتب^(٢) عليها ربما "لم تقرأ" وإما "تم تصفحها"^(٣) فقط". وكانت الكتب تتراكم على الكومة "قرأت"

إلى أن تفيض الرفوف، وبعد ذلك، ومع الكثير من التفجع^(١)، يتم التضحية بأحد الأيام، للقيام بالجدولة. ولم يكن يحب القيام بهذا العمل، وعندما تصبح ضرورة القيام بهذا العمل ملحة^(٢)، كان من شأنه في كثير من الأحيان، أن يقول بصوت يائس: "لابد لنا في الحقيقة، أن نقوم بشيء تجاه هذه الكتب، في وقت عاجل".

كان يقوم أثناء قراءته لكل كتاب، بوضع علامات على العبارات المتعلقة بعمله. ويقوم أثناء قراءة أحد الكتب أو الكتيبات، وما شابه، بوضع خطوط بالقلم الرصاص على جانب الصفحة، وكثيرا ما يقوم بإضافة ملاحظات قصيرة، ثم يقوم في نهايته بعمل قائمة بالصفحات الموسومة^(٣). وعندما كان يحين وقت جدولتها، ووضعتها في المكان المخصص لها، كان يتم التطلع إلى الصفحات الموسومة، وكان يتم كذلك كتابة ملخص استقراي عن الكتاب. ومن المحتمل أن تتم الكتابة لهذا الملخص، تحت ثلاثة أو أربعة عناوين، على صفحات مختلفة، ويتم تخزين الحقائق، وإضافتها إلى الحقائق التي سبق تجميعها في المواضيع المختلفة. وكانت لديه مجموعات أخرى من الملخصات التي تم ترتيبها، ليس بناء على الموضوع، لكن بناء على دورية نشرها. وكان معتادا عند القيام بجمع الحقائق على نطاق واسع، في السنوات المبكرة، على القراءة وعمل الملخصات بهذه الطريقة، لمجموعات كاملة من النشرات الدورية^(٤).

قام بالحديث في البعض من خطاباته المبكرة، عن قيامه بملء العديد من دفاتر المذكرات بالحقائق المتعلقة بكتابه عن "الأنواع الحية"، ولكن من المؤكد أنه بدأ في وقت مبكر، في تبنى خطته باستخدام محافظ الأوراق، كما تم وصفها في استرجاعاته [8]. وقد شعر كل من والدي و"م. دي كاندول" M. de Candolle

Lamenting

Imperative

Marked

Periodicals

(١) التفجع

(٢) ملح = ضروري - أساسي

(٣) موسومة = عليه علامة

(٤) النشرات الدورية

بسرور متبادل، لاكتشاف أنهما يقومان باتباع نفس الخطة في التصنيف للحقائق. وقد قام "دى كاندول" بوصف الطريقة في كتابه Phytologie، والذكر في تصوير سريع لوالدى، للارتياح الذى شعر به، لرؤية العمل بهذه الخطة فى "داون".

كان يوجد بجانب تلك المحافظ للأوراق، التى كان هناك منها بعض الدزينات المملوءة بالمذكرات، لفافات ضخمة من المخطوطات اليدوية، الموسوم عليها "تم استخدامها"، وكانت توضع جانبا. وكان يشعر بقيمة مذكراته، وكان لديه ذعر من أن يتم تدميرها عن طريق الحريق. وأتذكر - عندما حدث ذعر من حدوث حريق - توسله إلى بأن أكون حريصا بشكل خاص، ومضيفا بجدية شديدة، أن من شأن البقية الباقية من حياته أن تصبح تعيسة، إذا تم التدمير لمذكراته وكتبه.

قام بإبداء نفس الشعور، فى كتابته حول فقدان أحد المخطوطات اليدوية، وكانت فحوى^(١) كلماته هى "لدى نسخة أو كان من شأن فقدان أن يقتلنى". وكان من شأنه أثناء قيامه بتحرير أى كتاب، أن يقضى الكثير من الوقت والجهد، فى عمل هيكل أو خطة للأمر فى مجمله، وفى التكبير والتشعيب^(٢) لكل عنوان، كالموصوف فى "استرجاعاته". وأعتقد أن هذا الترتيب الدقيق للخطة، لم يكن على الإطلاق شيئا جوهريا فى الإقامة لبراهينه، ولكن من أجل العرض^(٣) للموضوع، والترتيب للحقائق. وحيث إن كتابه "حياة اراسموس داروين" Life of Erasmus Darwin، طبع لأول مرة فى قصاصات^(٤)، كان التضخم للكتاب من الهيكل، مرئيا بشكل واضح. وقد تم تغيير الترتيب فيما بعد، لأنه كان رسميا^(٥) وباتا^(٦)، بشكل أكثر من اللازم، وبدا أنه يقوم بتقديم طابع جده، عن طريق قائمة من الخواص، بشكل أكثر من تقديمه لصورة كاملة عنه.

Purport

(١) الفحوى - المعنى - المقاد - المضمون

Sub-classing

(٢) التشعيب - التقسيم إلى طوائف

Presentment

(٣) العرض

Slips

(٤) قصاصات

Formal

(٥) بشكل رسمى

Categorical

(٦) بشكل بات - قاطع

قام فى غضون السنوات الأخيرة فقط، باتباع خطة للكتابة، كان مقتنعا بأنها تناسبه على أفضل وجه، وهى التى تم وصفها فى "استرجاعاته"، وهى بالتحديد، كتابة نسخة مبدئية على الفور، بدون إلقاء أقل اهتمام بالأسلوب. وقد كانت من الأشياء المميزة له، أنه كان يشعر أنه غير قادر على الكتابة بقدر كاف من عدم الاعتناء، إذا قام باستخدام أفضل الأوراق التى فى حوزته، وهكذا فإنه كان يكتب على ظهور أوراق المراجعات، أو المخطوطات اليدوية القديمة. وكان يتم بعد ذلك إعادة النظر فى النسخة المبدئية، وتتم كتابة نسخة واضحة. وكانت لديه لهذا الغرض أوراق كبيرة القطع^(١)، مخططة على مسافات واسعة، وكانت هناك حاجة للخطوط، لمنعه من تحرير الكتابة بشكل متقارب مع بعضها، لكى لا يصبح التصويب صعبا. وكان يتم بعد ذلك، تصويب النسخة الواضحة، ثم إعادة نسخها، قبل إرسالها إلى القائمين بالطباعة. وكان النسخ يتم بواسطة "السيد إ. نورمان" Mr. E. Norman، الذى بدأ فى هذا العمل، منذ سنوات طويلة، عندما كان ناظر مدرسة فى "داون". وقد أصبح والذى معتادا بشدة الكتابة اليدوية لـ "السيد نورمان"، إلى درجة أنه كان لا يستطيع القيام بتصويب أى مخطوط يدوى، حتى لو كان محررا بشكل واضح، بواسطة واحد من أطفاله، إلى أن يتم إعادة نسخه، بواسطة "السيد نورمان". وعند عودة المخطوطات اليدوية من "السيد نورمان"، كان يتم تصويبها مرة أخرى، ثم يتم إرسالها بعد ذلك للقائمين بالطباعة. ثم يأتى بعد ذلك دور التنقيح^(٢) والتصويب للتجارب الطباعة^(٣)، والتى كان والذى يجدها عملية مرهقة^(٤) بشكل خاص.

Foolscap

(١) ورق كبير القطع (مقاس ١٦×١٣ بوصة)

Revise

(٢) ينقح = يعدل

Proofs

(٣) التجارب الطباعة

Wearisome

(٤) مرهق

كان يقوم عند هذه المرحلة بالنظر بشكل جاد لأول مرة، إلى الأسلوب الذى قلم باستخدامه للكتابة. وعندما يكون ذلك جاريا، فإنه عادة ما يكون قد بدأ فى الكتابة لعمل آخر، كوسيلة للتفريح عن نفسه. وكان تصويب القصاصات يعتبر فى الحقيقة عبارة عن عمليتين، وذلك حيث كان يتم التصويب فى أول الأمر، باستخدام قلم الرصاص، ثم تتم إعادة النظر إليه، ويكتب بالمداد^(١).

كان يشعر بالسرور أثناء مرور الكتاب خلال مرحلة "القصاصات"، لتلقى تصويبات واقتراحات من الآخرين. وبناء على ذلك، قامت والدتى بمراجعة التجارب الطباعية، لكتاب "النشأة". وقامت شقيقتى، "السيدة لينتشفيلد" Mrs. Lich Field، فى بعض كتبه الأخيرة بالكثير من التصويبات. ومن المرجح أن هذا العمل بعد زواج شقيقتى، أصبح من نصيبى.

قامت شقيقتى، "السيدة لينتشفيلد" بكتابة التالى:-

"كان هذا العمل مشوقا فى حد ذاته، وكان من المبهج بشكل لايمكن التعبير عنه، القيام بالعمل من أجله. فقد كان مستعدا بشكل دائم للاقتناع، بأن تعديلاتى المقترحة كانت تحسينا، وكان مليئا بالامتنان للجهد المبذول. ولا أعتقد أنه كان يتغاضى على الإطلاق، عن إخبارى بمدى التحسين، الذى يظن أنني قد قمت به، وكان يقوم بالاعتذار تقريبا، إذا لم يتفق معى على أى تصويب. ولقد شعرت بالتواضع والكياسة الموجودتين بشكل فريد فى طبيعته، من خلال العمل معه بهذا الشكل، بطريقة كان لا يمكن أن تتم بأى وسيلة أخرى".

"كان يكتب بسهولة، وكان يميل إلى عكس جملة، سواء في الكتابة أو في الحديث، واضعاً الفقرة الوصفية^(١) قبل أن يكون من الواضح أنها للوصف. وكان يقوم بالتصويب بقدر كبير، وكان مثلها على التعبير عن نفسه، على أفضل وجه ممكن له".

من المحتمل أن أكثر التصويبات، التي كان هناك احتياج لها، قد كانت الفقرات المبهمة، الناتجة عن التغاضي عن الربط الضروري، في الترتين لشيء ما، والذي كان من الواضح أنه تغاضي عنه، من خلال معرفته الحميمة بالموضوع. ولم يكن ذلك نتيجة لأي خطأ في تسلسل الأفكار، ولكنه كان نتيجة لحميميته مع براهينه، فإنه لم يكن يلاحظ، متى تفشل الكلمات في توضيح فكره. وكان يقوم أيضاً، بوضع الكثير من المادة في جملة واحدة، إلى درجة أنه كان يتحتم القيام بتقسيمها إلى جملتين.

أعتقد في مجمل الأمر، أن الجهد الذي كان والدي يقوم بتحملة، تجاه الجزء الأدبي من العمل، كان ملحوظاً بشدة. وكان يقوم في كثير من الأحيان، بالسخرية أو التذمر^(٢) من نفسه، للصعوبة التي كان يجدها، في كتابة اللغة الإنجليزية، قائلاً على سبيل المثال، إذا كان من الممكن القيام بترتيب سيئ لأي جملة، فإنه متأكد من أنه سوف يقوم باتباعه. وقد حصل في إحدى المرات، على القدر الكبير من التسلية والإشباع، من الصعوبة التي وجدها أحد أفراد العائلة، أثناء القيام بكتابة أحد المنشورات الدورية القصيرة. وحصل على الاستمتاع من القيام بالتصويب، والسخرية من الفقرات المبهمة، والجمال الملتوية^(٣)، والعيوب الأخرى، وحصل بهذا الشكل على انتقامه، عن جميع الانتقادات التي كان عليه أن يتحملها. وكان معتاداً الاستشهاد بدهشة، بنصيحة "الآنسة مارتيديو" Miss Martineau، الموجهة

Qualifying Clause

Grumble

Involved

(١) الفقرة الوصفية *

(٢) يتذمر

(٣) ملتوى = معتد

إلى المؤلفين اليافعين، بالكتابة بانطلاق، وإرسال المخطوطات اليدوية إلى الطابع، بدون أى تصويب. ولكنه قام فى بعض الحالات، بالتصرف بطريقة مماثلة بعض الشيء. وعندما كانت إحدى الجمل تتعقد، بشكل لا أمل فى إصلاحه، كان من شأنه أن يقوم بسؤال نفسه: "ما الذى تريد أن تقوله الآن؟"، وكانت الإجابة التى يتم تحريرها، من شأنها فى كثير من الأحيان، أن تكون كفيلة بإيجاد حل للارتباك.

كان يتم الإطراء على أسلوبه، ولكن على الجانب الآخر، قام واحد على الأقل من الخبراء الجيدين، بالتعليق لى، بأنه ليس أسلوبا جيدا. ولكنه كان فوق كل شىء، مباشرا وواضحا، وكان من الأشياء المميزة له، فى بساطته المقاربة للسذاجة^(١)، وفى الانعدام للمزاعم. وكان لا يؤمن إلى أقصى حد بالفكرة الشائعة، بأن العالم التقليدى لا بد أن يقوم بالكتابة، بلغة إنجليزية جيدة، وكان يعتقد بالفعل، أن العكس هو الصحيح. وكان يقوم فى بعض الأحيان، أثناء كتابته، بإظهار نفس النزعة، إلى استخدام التعبيرات القوية، كما كان يفعل فى محادثاته. وبهذا الشكل فإن هناك فى كتاب "النشأة" صفحة ٤٤٠، وصفا خاصا بإحدى هدايات الأقدام^(٢) اليرقانية^(٣): "لها ستة أزواج من الأرجل السباحية^(٤) المشيدة بشكل جميل، وزوج من العيون المركبة^(٥) الرائعة، وزبانيات معقدة إلى أقصى حد". وكنا معتادين السخرية منه لهذه الجملة، التى كنا نقوم بمقارنتها بأحد الإعلانات. وتتضح هذه النزعة للاستسلام للتحويل الحماسي^(٦) فى أفكاره، دون التهيب من أن يصبح مثيرا للسخرية، فى مواضع أخرى من كتاباته.

Naivete

(١) السذاجة

Cirrepede

(٢) هدايات الأقدام (حيوان)

Larval

(٣) يرقانى

Natatory

(٤) سباحى

Compound eye

(٥) عين مركبة

Enthusiastic

(٦) حماسى

كانت نبرته^(١) الدمثة^(٢) والمستميلة^(٣) للقارئ ملحوظة، ولابد أن هذه الخاصية كانت بشكل جزئى، هى التى قامت بالكشف عن العذوبة الشخصية الموجودة فى طابعه، للكثيرين الذين لم يروه على الإطلاق. وكنت أشعر دائما بأنها حقيقة غريبة، أن الذى قام بتغيير وجه علم الأحيائيات، والذى يمثل من هذه الجهة رئيس العصريين، قد كان من شأنه الكتابة والعمل بهذه الروح والطريقة غير العصرية، بشكل جوهرى للغاية. حيث كان يتم أثناء القيام بقراءة كتبه، تذكير المرء بالعلماء القدامى فى التاريخ الطبيعى، بدلا من الكتاب التابعين للمدرسة الحديثة. فلقد كان عالما فى التاريخ الطبيعى، بالمعنى القديم من الكلمة، وهذا يعنى الإنسان الذى يعمل على الكثير من الفروع من العلم، وليس مجرد المتخصص فى واحد منها. وهكذا فبالرغم من أنه قام بتأسيس أقسام كاملة جديدة من المواضيع الخاصة - مثل تلقيح الزهور، والنباتات الملتزمة للحشرات، وازدواج الهيئة^(٤)، وخلافها - فإنه كان حتى فى معالجته لتلك المواضيع بالذات، لا يستوقف القارئ على أساس أنه متخصص. وكان القارئ يشعر وكأنه صديق يتم التحدث إليه، عن طريق رجل محترم ذى كياسة، وليس وكأنه تلميذ تتم محاضرتة، عن طريق أحد الأساتذة. وكانت النبذة الخاصة بكتاب مثل "النشأة" ساحرة، وكانت نبذة رجل مقتنع بصدق وجهات نظره، ويتوقع بالكاد أن ينجح فى إقناع الآخرين، وهو العكس تماما لأسلوب أى من المتعصبين^(٥)، الذى يريد إجبار الناس على الإيمان. ولا يشعر القارئ بالاسمئزاز على الإطلاق، لأى كمية من الشك التى من الممكن تخيل شعوره بها، بل تتم معالجة نزعته إلى الشك باحترام صبور. ويبدو أن أى قارئ يميل إلى الشك، أو ربما حتى أى قارئ غير قابل للتفكير، قد قام بشكل عام

Tone

Courteous

Conciliatory

Dimorphism

Fanatic

(١) نبذة

(٢) دمثة = لطيف

(٣) مستميل

(٤) ازدواج الهيئة

(٥) متعصب

بالتجارب مع أفكاره. ومن المحتمل أنه قام نتيجة لهذا الشعور، بتحمل الكثير من المشقة تجاه بعض النقاط، التي تخيل أن من شأنها أن تقوم بلفت أنظار القارئ، أو توفر عليه المشقة، وبذلك تغريه على متابعة القراءة.

قام لنفس هذا السبب بالاهتمام بشكل كبير، بالرسومات التوضيحية^(١) في كتبه، واعتقد أنه وضع قيمة مرتفعة جدا لها. وكانت رسومات كتبه التوضيحية المبكرة، يتم رسمها بواسطة فنانين محترفين. وكان ذلك هو الحال في كتاب "تمايزات الحيوانات والنباتات"، و"نشأة الإنسان"، و"التعبير عن الانفعالات". وعلى الجانب الآخر، كانت كتب "النباتات المتسلقة" Climbing Plants، والنباتات الملتزمة للحشرات Insectivorous Plants، و"تحركات النباتات" Movements of Plants، و"أشكال الزهور" Forms of Flowers، موضحة إلى درجة كبيرة، عن طريق البعض من أطفاله - فقد قام أخى "جورج" برسم معظمها تقريبا. وكنت سعيدا بقيامى بالرسم له، وذلك لأنه كان مفعما بالحماس، عند إطرانه للإنجازات المتواضعة جدا. وأتذكر بشكل جيد، طريفته الساحرة عند تلقيه رسومات زوجة أحد أبنائه، وكيف كان يقوم بإنهاء كلماته الإطرائية بقوله: "أخبرى" أ. -، أن "مايكل أنجلو" Micheal Angelo، لا يساوى شيئا بالنسبة لذلك". ورغم أنه كان يقوم بالإطراء بهذا الشكل السخى، فإنه كان يقوم بالتطلع بشكل مدقق إلى الرسم، وكان يكتشف بسهولة أى خطأ أو أى إهمال فيه.

كان لديه دعر من أن يكون شديد التطويل^(٢)، ويبدو أنه كان مستاء ومغموما بشكل كبير، عندما وجد كيف أن كتاب " تمايزات الحيوانات والنباتات"، كان يقوم بالتضخم تحت يده. وأتذكر اتفاقه بشكل عميق^(٣) مع كلمات "تريسترام شاندى"

Tristram Shandy "لا تدع أى رجل يقول، هيا، سوف أقوم بكتابة أحد الكتب، من القطع الاثنى عشرى^(١)"

كان اعتباره للمؤلفين الآخرين شيئا من مميزاته، بنفس الشكل الذى كانت عليه نبرته الموجهة إلى قرائه، وكان يتحدث عن جميع النقات الآخرين، على أساس أنهم أشخاص يستحقون الاحترام. وفى الحالات التى كان يشعر فيها بالاستخفاف بالمؤلف، مثل حالة تجارب "-" على نبات ورد الشمس، فإنه كان يتحدث عنه، بطريقة لا تجعل أى شخص يشك فى ذلك. وكان يقوم فى حالات أخرى، بالتعامل مع الكتابات المرتبكة الخاصة بالجهلاء من الأشخاص، كما لو كان الخطأ يقع عليه وحده، لعدم شعوره بالتقدير أو الاستيعاب لهم. وكانت له بجانب هذه النبذة العامة من الاحترام، طريقة لطيفة فى التعبير عن رأيه، حول قيمة العمل المستشهد به، أو امتنانه، من أجل معلومة ذات خصوصية قدمت إليه.

لم يكن شعوره المحترم شيئا جميلا من الناحية الأخلاقية فقط، لكننى أعتقد أنه كان ذا فائدة عملية، فى جعله مستعدا للتفكير، فى الآراء والملاحظات الخاصة بكل ضرب من الناس. وكان يقوم تقريبا بالاعتذار عن ذلك، وكان من شأنه أن يقول، إنه كان يميل فى أول الأمر، إلى تقدير كل شىء بشكل مرتفع جدا.

كانت من الفضائل^(٢) العظيمة لذهنه، أنه رغم احتفاظه بشعور محترم غاية فى القوة تجاه ما يقوم بقراءته، فقد كانت لديه أقوى الغرائز، بالنسبة لما إذا كان أحد الرجال جديرا بالثقة أم لا. ويبدو أنه كان يقوم بتكوين رأى محدد، بالنسبة لدقة الرجال، الذين يقوم بقراءة كتبهم، وكان يقوم باستخدام هذا الحكم، فى اختيار الحقائق المستخدمة فى تقديم البرهان أو كأمثلة موضحة. ولقد اكتسبت الانطباع بأنه كان يشعر، بالقيمة الكبيرة لهذه القدرة على القيام بتقدير جدارة الإنسان بالثقة.

كان لديه شعور عارم بالحس الشرفى^(١)، الذى يتحتم أن يسود بين المؤلفين، وكان لديه دعر من أى نوعية من التراخى فى الاستشهاد. وكان لديه ازدراء للولع بالتشريف والتمجيد، وكان كثيرا ما يقوم فى خطابه بلوم نفسه، على الشعور بالسعادة الذى كان يحصل عليه، من نجاح كتبه، كما لو كان ذلك تخليا منه عن مثله العليا - وهى الحب للصدق، وعدم الاهتمام بالشهرة. وكثيرا ما كان يقوم، عند كتابته لـ "السير ج. هوكر" ما يطلق عليه خطاب متباه^(٢)، بالسخرية من نفسه لغروره وافتقاده للتواضع. وهناك خطاب مشوق بشكل مدهش قام بكتابته إلى والدتى، يوصيها فيه فى حالة وفاته، أن تهتم بنشر المخطوط اليدوى، الخاص بأول مقالة علمية له عن التطور. ويبدو لى هذا الخطاب مليناً بالرغبة العارمة، فى أن يكون من شأن نظريته أن تتجج فى اعتبارها كمساهمة منه فى المعرفة، وبعيدا عن أى رغبة فى الشهرة الشخصية. وقد كانت لديه بالتأكيد الرغبة الصحيحة للنجاح، التى يتحتم أن تكون لدى أى إنسان ذى مشاعر قوية. ولكن عندما حان وقت النشر لكتابه "النشأة"، كان من الواضح أنه يشعر بالارتياح الغامر، بالالتصاق برجال على شاكلة "لايل"، و"هوكر"، و"هوكسلى"، و"آساجراى"، ولم يكن يحلم على الإطلاق، أو يرغب فى أى شهرة على هذا القدر من الاتساع والعمومية التى وصل إليها.

كان الشيء المرتبط باشمئزازه من الولع الذى لا داعى له بالشهرة، يتمثل فى الكراهية القوية لجميع الأمور المتعلقة بالأسبقية^(٣). وتقوم الخطابات الموجهة إلى "لايل"، فى توقيت ظهور كتاب "النشأة"، بتوضيح الغضب الذى شعر به من نفسه، لعدم قدرته على كبت الشعور بخيبة الأمل، لما ظنه من قيام "السيد والاس"، بقطع الطريق أمام كل الأعوام التى قضائها فى العمل، وقد كان إحساسه بالشرف

الأدبي^(١)، يظهر بشكل قوى فى تلك الخطابات، وقام شعوره بالأسبقية بالظهور مرة أخرى، فى الإعجاب الذى قام بالتعبير عنه فى "استرجاعاته"، عن الإنكار الذاتى^(٢) الذى أبداه "السيد والاس".

كان شعوره قويا تجاه التصويبات^(٣)، بما فى ذلك الإجابات على المهاجمات وجميع الأصناف من المناقشات. وقد تم التعبير عنه ببساطة، فى خطاب موجه إلى "فالكونر" Falconer (عام ١٨٦٣)، بقوله: "إذا شعرت على الإطلاق بالغضب تجاهك، وأنا الذى لدى صداقة مخلص لك، فيجب على أن أبدأ فى الشك، فى أننى قد أصبت بالقليل من الجنون. لقد شعرت بالأسف الشديد حول تصويبك، وأعتقد أنها غلطة كان يجب أن يتم تركها فى جميع الأحوال لآخرين. وإذا حدث وكان لى أن أقوم بالتصرف شخصيا، تحت تأثير الاستفزاز^(٤)، فإن ذلك موضوع مختلف". وقد كان ذلك شعورا تم إملأه جزئيا، عن طريق الكياسة الغريزية، وبشكل جزئى عن طريق الإحساس القوى بإهدار الوقت، والطاقة، والمزاج، الذى يتسبب بهذا الشكل. وقد قال إنه مدين بتصميمه على عدم الدخول فى مناقشات [9]، إلى نصيحة "لايل"، - وهى نصيحة قام بنقلها إلى هؤلاء الأشخاص من أصدقائه، الذين كانوا منصرفين إلى الأعمال الكتابية.

إذا كان لطابع حياة والدى العملية أن يتم استيعابه، فلا بد من وضع حالات اعتلال الصحة، التى كان يعمل تحت تأثيرها، بشكل دائم أمام أعيننا. لقد قام بتحمل مرضه بقدر كبير من الصبر غير المتذمر، إلى حد أننى أعتقد أن من الصعب حتى على أطفاله إدراك مدى معاناته المعتادة. وتتضاعف الصعوبة فى حالاتهم عن طريق الحقيقة، بأنهم منذ أكثر أيام استرجاعاتهم تكبرا، كانوا يرونه فى حالة دائمة

Literary honour

Self - annihilation

Reclamations

Provocation

(١) الشرف الأدبي

(٢) الإنكار الذاتى

(٣) التصويبات

(٤) الاستفزاز

من اعتلال الصحة، - ولكنهم شاهدوه رغم ذلك، ممثلنا بالسعادة بما فيه سعادة لهم. وهكذا كان لابد أن يتم في وقت متأخر من الحياة، فصل استيعابهم لما كان يقوم باحتماله، عن الانطباع الذي حدث في سن الطفولة، عن طريق العطف الفطري المستمر، الموجود تحت تأثير ظروف الصعوبة غير المعلومة لهم. ولا يوجد أحد بالفعل - باستثناء والدتي - على علم بالكمية الكاملة من المعاناة التي كان يتحملها، أو الكمية الكاملة لصبره المدهش. لأنها لم تقم على الإطلاق طوال جميع الأعوام الأخيرة من عمره، بتركه وحيدا لليلة واحدة، وكانت أيامها مخططة بحيث تقوم بمشاركته، في جميع ساعات راحته. وكانت تقوم بدرء كل مضايقة من الممكن تلافيها، ولم تغفل أى شيء، قد يجنبه أى متاعب، أو يمنعه من أن يصبح مجهدا بشكل زائد عن الحد، أو من الممكن أن يقوم بالتخفيف^(١) من مضايقات اعتلال صحته. وأشعر بالتردد من الحديث بحرية بهذا الشكل، عن شيء على هذه الدرجة من القداسة، مثل الإخلاص مدى الحياة، الذي قام بحث كل هذا الاعتناء المستمر والرقيق. ولكننى أكرر مرة أخرى، أنه كان من الملامح الجوهرية فى حياته على مدى ما يقرب من الأربعين عاما، أنه لم يعرف على الإطلاق يوما واحدا من صحة الأناس العاديين، وأن حياته كانت بهذا الشكل، واحدة من الكفاح الطويل ضد الإرهاق والإجهاد الناتجين عن المرض. ولا يمكن القيام بقول هذا، دون الحديث عن الظرف الوحيد الذى مكنه من تحمل هذا الجهد، ومن القيام بالكفاح إلى النهاية.

الهوامش

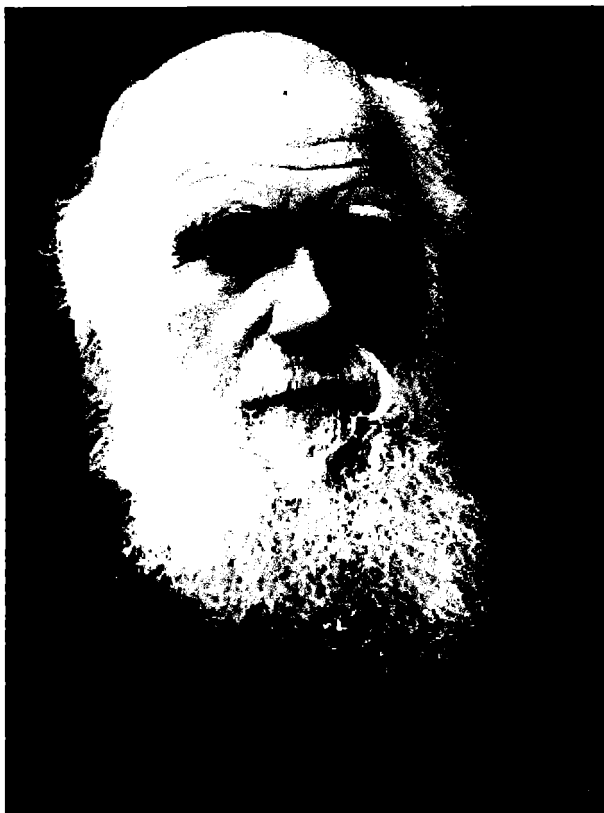
- ١- الرسم الممثل لمحتويات الخلية الإجمالية = Aggregated الموجود فى كتاب "النباتات الآكلة للحشرات" Insectivorous Plants، تم رسمه بواسطته.
- ٢- تم تصوير السلة التى كانت الكلبة تقوم فى العادة بالتغاف داخلها، بالقرب من المدفأة الموجودة فى غرفة مكتبه، بإخلاص فى رسم "السيد هارسون" عن غرفة المكتب الموجود فى بداية هذا الجزء.
- ٣- قارن ذلك مع قصة "ليلى ستيفين" Leslie Stephen بعنوان "سويفت" Swift، عام ١٨٨٢، صفحة ٢٠٠، عنما تقوم "سويفت" بتفقد الأخلاق والعادات الخاصة بالخدم عند مقارنتها بملاحظات والدى عن الديدان، حيث يقول "السيد ستيفن" إن الاختلاف كان فى أن "داروين" لم يكن لديه سوى مشاعر رقيقة تجاه الديدان.
- ٤- انظر "Darwin considere au point de vue des causes de son succes" جنيف، عام ١٨٨٢.
- ٥- قام والدى بسرد إجابة "جونسونية" Johnsonian (صياغة أدبية نسبة إلى صموئيل جونسون تتميز بأناقة الصياغة اللفظية) خاصة بـ "إراسموس داروين" عند سؤاله: "ألا تجد أنه من المزعج لك أن تقوم بالتهته، يا دكتور داروين؟" أجاب: "لا يا سيدى، لأن ذلك يوفر لى الوقت لى أفكر قبل أن أتكلم، ولا أتقدم بأسئلة وقحة = Impertinent".

٦- محاضرة بواسطة "الدكتور ب. و. ريتشاردسون" Dr. B. W. Richardson، في "قاعة سانت جورج" St. George's، في ٢٢ أكتوبر ١٨٨٢.

٧- هذا ليس مثالا للإفراط في وضع النظريات نتيجة لأى سبب صغير، بقدر رغبته في الاختبار للأفكار غير المحتملة إلى أقصى حد.

٨- الرفوف التي كان يتم وضع حوافظ الأوراق عليها موضحة في الرسم التوضيحي الموجود في أول هذا الجزء، في الفجوة الموجودة على الجانب الأيمن من المدفأة.

٩- قام بالتخلي عن هذه القاعدة في كتاباته عن Note on the Habits of the Pampas Wood Pecker, Colaptes, Campestris Proc. Zool. المنشورة في Soc. عام ١٨٧٠، صفحة ٧٠٥، وأيضا في خطاب تم نشره في "Athenaeum" عام ١٨٦٣، صفحة ٥٥٤، وقد شعر بالندم في تلك الحالة بعد ذلك لأنه لم يظل صامتا. أما ردوده على الانتقادات، الموجودة في الإصدارات المتأخرة من كتاب "أصل الأنواع" (نشأة الأنواع الحية)، فمن الصعب توصيفها على أساس أنها خرق = Infraction لهذه القاعدة.



لوحة (٥٦)
داروين فى العام السابق لوفاته

حواشی

دأشفة

بالمقاطع الةف تم حذفها من الإصدار الأول

ففما فلف المقاطع الفف ففبرففها عائلة "ففارلس داروفن"، ففشففة ففا، أو مففرفة للففال، اللف فف فؤف فف ففوفه صورففه ففد ممافه، ومن الممكن أن فؤف فف فففاء مشاعر العائلة، والفف فوف فلفها ففنه "فرانسفس داروفن"، فف مقفمة ففصاره للسرء الذافف لففا والءه، فف عام ١٨٨٧. وفف قامف فففة "ففارلس داروفن" بففر فك المقاطع، فف عام ١٩٥٩، ففبفاء ففم الفففل فف المفكراف الفف فركها ففا، وعرففها أمام كل الناس بأمانف فامف .. وفف فم فرففم الهوامش المفعلقة بفك المقاطع، بففس الفرففة الفف قام أفراد العائلة ففبافها، وما ففبالها من أسماء الففن أضافوا فف الفوافف بالمفكراف الأصلفة لصابب السفرة.

اففقف فف ففون هففن العامفن [١]، للفففر الكففر، ففول المففقفاف الفففة^(١). ففقف كنفف أففاء وفوفف فف ففن السففنة "الفففل"، مسفففم الفففن^(٢) فمافا، وأفففر أنه كففرا ما كان ففم الففك من القلب فف ففرفافف، فف فرففم الفففف من الضباط (رغم أنهم كانوا مسفففمف الفففن)، لاسففاف^(٣) فف الكفاب المقدس^(٤)، فف أساس أنه مرجع فافف^(٥)، ففول أف فففة ففص المفافف الأخلاففة^(٦). وأففقف

Religion

Orthodox

Quote

Bible

Unanswerable

Morality

(١) المففقفاف الفففة - الففانة

(٢) مسفففم الفففن

(٣) فسففاف - ففقفس

(٤) الكفاب المقدس

(٥) فافف - لا راف له

(٦) المفافف الأخلاففة

أن سذاجة الجدل كانت، هي التي قامت بإضحاحهم. ولكنني وصلت بالتدرج في ذلك الوقت، إلى النظر للعهد القديم، نتيجة للتاريخ الزائف الذي يحتويه عن العالم، بما في ذلك "برج بابل" Tower of Babel، وعلاقات قوس قزح^(١)، الخ . . الخ ونتيجة للإنسان إلى الله، مشاعر الطاغية^(٢) المنتقم^(٣)، على أساس أنه لا يمكن الوثوق به بشكل أكثر، من الكتب المقدسة^(٤) للهندوسيين Hindoos، أو معتقدات الهمجيين^(٥). وظل التساؤل منذ ذلك الحين يتزايد بشكل مستمر في ذهني، ولم يكن من الممكن إبعاده^(٦)، -هل من القابل للتصديق أن يقوم الإله بالإحياء^(٧) إلى الهندوسيين الآن، وهل من شأنه أن يسمح بأن يكون ذلك مرتبطا بالإيمان بـ"فيشنو" Vishnu، و"سيفا" Siva، وما إلى ذلك، بنفس الشكل الذي ترتبط به الديانة المسيحية بالعهد القديم Old Testament. وقد بدا لي ذلك، غير قابل للتصديق على الإطلاق.

وصلت بالتدرج عن طريق الاستطراد في تقليب الفكر، في الدلائل الواضحة إلى أقصى حد التي من المحتم توافرها لأي إنسان عاقل، لكي تجعله يؤمن بالمعجزات^(٨) التي تستند إليها المسيحية، - وأنه كلما زاد ما نعرفه عن قوانين الطبيعة الثابتة، أصبحت المعجزات غير قابلة للتصديق بشكل أكبر، - وأن الأناس في ذلك الوقت، كانوا على درجة من الجهل والسذاجة^(٩) التي لا يمكن أن

Rainbow	(١) قوس قزح
Tyrant	(٢) طاغية
Revengeful	(٣) منتقم
Sacred	(٤) مقدس
Barbarian	(٥) همجي = غير متمدين
Banish	(٦) إبعاد = طرد
Revelation	(٧) إحياء
Miracle	(٨) معجزة
Credulous	(٩) السذاجة

نتخيلها، - وأنه لا يمكن إثبات أن رسائل الإنجيل^(١) قد تمت كتابتها مترجمة مع الأحداث - وأنها تختلف في الكثير من التفاصيل المهمة، التي تزيد في أهميتها، كما يبدو لي، عن أن يتم الاعتراف بها، على أساس أنها ناتجة عن عدم الدقة المعتادة لشهود العيان^(٢)، - وعن طريق التأملات التي على هذه الشاكلة، التي قمت بها ليس على أساس أن لها أقل قيمة أو حداثة، ولكن لأنها قامت بالتأثير على، إلى الجحود^(٣) بالمسيحية، على أساس أنها إحياء سماوى. وكان من شأن الحقيقة أن الكثير من الاعتقادات الدينية الزائفة، قد قامت بالانتشار فوق أجزاء ضخمة من العالم، مثل النيران الجامحة، أن يكون لها بعض الوقع على نفسى. ورغم الجمال الذى نتصف به المبادئ الأخلاقية الموجودة بالعهد الجديد New Testament، فإنه من الصعب إنكار أن كمالها يعتمد فى جزء منه على التأويل، الذى نقوم بوضعه فى الوقت الحالى، على سبيل المجازات^(٤) والمزاعم^(٥).

لكننى كنت غير مستعد للتخلى عن إيمانى، - وأنا متأكد من ذلك، لأننى أستطيع تذكر قيامى مرات ومرات، بابتكار أحلام يقظة^(٦)، عن مراسلات بين مواطنين رومان متميزين، ومخطوطات يدوية، يتم اكتشافها فى "بومباى" Pompey أو أى مكان آخر، التى تؤكد بطريقة أخاذة إلى أقصى حد، جميع ما تمت كتابته فى رسائل الإنجيل. لكننى وجدت أن الأمر يزداد صعوبة، مع إعطاء المجال الحر لخيالى، لكى يقوم بابتكار الأدلة، التى قد تكون كافية لإقناعى. وبهذا الشكل، بدأ انعدام التصديق فى الزحف على ذهنى، بمعدل غاية فى البطء، لكنه أصبح فى آخر الأمر كاملا. وقد كان المعدل بطيئا جدا، بحيث أننى لم أشعر بأى ضيق، ولم

Gospels

Eyewitness

Disbelieve

Metaphors

Allegories

Day - dream

(١) رسائل الإنجيل (العهد الجديد)

(٢) شاهد عيان

(٣) الجحود = الإنكار

(٤) مجاز = استعارة

(٥) المزاعم *

(٦) حلم يقظة

أشك على الإطلاق منذ ذلك الحين، حتى ولو لثانية واحدة، في أن استنتاجى كان صحيحا. ومن الصعب علىّ بالفعل، أن أرى كيف يتعين على أى شخص، أن يتمنى أن يكون الاعتقاد المسيحي صادقا، لأنه يبدو إذا كان الأمر كذلك، أن الكلام الواضح الموجود بالنص، يشير إلى أن الأناس الذين لا يؤمنون، وهذا من شأنه أن يشمل أبى، وأخى، وجميع أصدقائى تقريبا، سوف يتم عقابهم بشكل أبدي. وهذا مذهب لعين^(١) [2].

رغم أننى لم أفكر كثيرا حول وجود إله شخصى، إلى أن وصلت إلى مرحلة متأخرة بشكل له اعتباره من حياتى، فإننى سوف أقوم هنا بتقديم الاستنتاجات المبهمة التى تم دفعى إليها حيث تسقط الآن البراهين القديمة الخاصة بوجود تخطيط^(٢) فى الطبيعة، كما تم تقديمها بواسطة "پالى" Paley، التى بدت لى فى الماضى على أساس أنها جازمة إلى أقصى حد، بعد أن تم اكتشاف قانون الانتقاء الطبيعى^(٣). ولا نستطيع الاستمرار فى المجادلة حول، على سبيل المثال، أنه لا بد أن تكون المفصلة^(٤) الجميلة الخاصة بأى قوقعة ثنائية المصراع^(٥)، قد تم صنعها بواسطة أحد الكائنات الذكية، مثلما تم صنع مفصلة الباب بواسطة الإنسان. ويبدو أنه ليس هناك أى تخطيط موجود فى القابلية للتغاير^(٦) الخاصة بالكائنات المتعضية والموجودة فى الانتقاء الطبيعى، أكثر من الموجود فى هبوب الريح. فكل شئ موجود فى الطبيعة، ناتج عن قوانين ثابتة. ولكننى قمت بتناول هذا الموضوع، فى نهاية كتابى عن " تمايز الحيوانات والنباتات الداجنة " Variation of Domestic Animals and Plants [3]، والبراهين التى تم تقديمها هناك، طبقا لما رأيته، لم يتم الرد عليها على الإطلاق.

Damnable

Design

Natural selection

Hinge

Bivalve

Variability

(١) لعين = يستحق اللعنة

(٢) تخطيط = يرسم خطة = تصميم

(٣) الانتقاء الطبيعى *

(٤) المفصلة

(٥) ثنائى المصراع = ذو مصراعين

(٦) القابلية للتغاير أو التمايز *

ولكن بالتغاضى عن التكييفات الجميلة التى لا نهاية لها، التى نتقابل معها فى كل مكان، فمن الممكن أن يثور التساؤل، حول كيف يمكن تفسير الترتيب العالمى المفيد بشكل عام ؟ وهناك بالفعل بعض الكتاب الذين تأثروا من كمية المعاناة الموجودة فى العالم، إلى درجة أنهم يشكون فى ما هو المنتظر بالنسبة إلى جميع الكائنات الواعية^(١)، سواء كان هناك المزيد من النعاسة أو السعادة، - وسواء كان العالم بكل ما فيه، عالماً جيداً أم سيئاً. وبناء على تقديرى، فإن السعادة تسود بشكل مؤكد، رغم أن ذلك من شأنه أن يكون صعب الإثبات. وإذا تم التسليم بصحة هذا الاستنتاج، فإن ذلك يتوافق^(٢) جيداً مع التأثيرات التى من الممكن لنا أن نتوقعها من الانتقاء الطبيعى. فإذا كان من شأن جميع الأفراد التابعين لأى من الأنواع، أن تعاني بشكل مألوف إلى درجة متناهية، فسوف يكون من شأنهم، الانصراف عن الإكثار^(٣) من صنفهم، ولكن ليس لدينا أى سبب يجعلنا نؤمن، أن هذا يحدث دائماً أو على الأقل، أنه كثيراً ما يحدث. والأكثر من ذلك، فإن هناك اعتبارات أخرى، تؤدى إلى الإيمان بأن جميع الكائنات الواعية قد تم تشكيلها، كقاعدة عامة، من أجل الاستمتاع بالسعادة.

سوف يقر كل شخص يؤمن، مثلما أفعل، بأن جميع الأعضاء الجسدية^(٤) والذهنية^(٥) (مع الاستثناء لتلك التى لا تكون مواتية أو غير مواتية، للحائز عليها) الخاصة بجميع الكائنات، قد تم تطويرها من خلال الانتقاء الطبيعى، أو البقاء على قيد الحياة للأصلح^(٦)، بالإضافة إلى الاستخدام أو الاعتياد^(٧) [4]، بأن تلك الأعضاء

Sentient

(١) واعى

Harmonise

(٢) يتوافق

Propagate

(٣) يكثر = يتناسل

Corporal

(٤) جسدى

Mental

(٥) ذهنى

Survival of the Fittest

(٦) البقاء على قيد الحياة للأصلح *

Habit

(٧) الاعتياد = العادة

الجسدية، قد تشكلت لكى يكون من الممكن لحائزها، أن يتنافس بنجاح مع الكائنات الحية الأخرى، وبهذا الشكل يزداد فى العدد. وهكذا، فمن الممكن دفع أى حيوان إلى إتباع هذا المسار من التصرف، الأكثر فائدة للنوع الحى، عن طريق المعاناة من أشياء مثل، الألم، والجوع، والعطش، والخوف، - أو عن طريق المتع الحسية^(١)، كما هو موجود فى الأكل والشرب، والإكثار من النوع وما يدور حوله، أو عن طريق كل من الوسيطتين مجتمعتين، كما هو موجود فى البحث عن الطعام. ولكن إذا استمر الألم أو المعاناة من أى نوعية لوقت طويل فإن ذلك يتسبب فى الانخفاض والإقلال من القدرة على التصرف، مهما كان الإعداد جيدا، لجعل الكائن قادرا على حماية نفسه، فى مواجهة أى شر كبير أو مفاجئ. ومن الممكن على الجانب الآخر، أن تستمر الأحاسيس الباعثة على السرور، لمدة طويلة، بدون أى تأثير إيجابى، بل تقوم على العكس من ذلك، باستثارة المنظومة الجسمية^(٢) بأكملها، إلى زيادة الأداء. وبناء على ذلك، تم التقبل لأن معظم أو جميع الكائنات الواعية، قد تم تطويرها بمثل هذه الطريقة، من خلال الانتقاء الطبيعى، وأن الأحاسيس الباعثة على السرور تفيد على أساس، أنها المرشد المعتاد لها. ونحن نرى هذا فى الشعور بالسرور، نتيجة القيام بمجهود، وحتى فى بعض الأحيان، نتيجة للإجهاد الكبير للجسم والذهن، وفى الشعور بالسرور من واجباتنا اليومية، وبشكل خاص فى الشعور بالسرور، المستمد من الاختلاط مع الآخرين^(٣)، والناجم عن الشعور بالحب لعائلتنا. ولا يساورنى الشك فى أن المجموع الخاص بمثل تلك الاستمتاع، هى تلك التى تقوم، بشكل معتاد أو بشكل كثير التكرار، بمنح معظم الكائنات الواعية، أى زيادة فى الشعور بالسعادة عن الشعور بالتعاسة، رغم أن الكثير منها، يعانى أحيانا بشكل كبير. وتتوافق مثل تلك المعاناة تماما، مع الإيمان بالانتقاء الطبيعى، حيث إنه ليس مثاليا فى مفعوله، ولكنه يعمل فقط، إلى جعل كل

Pleasures

System

Sociability

(١) المتع الحسية

(٢) المنظومة (الجسمية)

(٣) الاختلاط مع الآخرين

نوع ناجح بقدر المستطاع، فى المعركة^(١) من أجل الحياة مع الأنواع الأخرى، فى ظل ملابسات معقدة ومتغيرة بشكل مذهش.

لا ينكر أحد أن هناك الكثير من المعاناة فى العالم. وقد حاول البعض تفسير ذلك بالنسبة للإنسان، عن طريق التخیل بأنه مفيد لصلاحه الأخلاقى. إلا أن عدد الأناس لا يمثل شيئاً، بالمقارنة مع ذلك الخاص بجميع الحيوانات الواعية، وتلك كثيراً ما تعاني، بدون أى تحسن أخلاقى. والكائن المتناهى فى القوة، والمليء بالمعرفة إلى أقصى حد، مثل الإله الذى يستطيع القيام بخلق الكون، يكون بالنسبة الى أذهاننا المحدودة، واسع القدرة^(٢) وعلماً بكل شيء^(٣)، ومن الأشياء التى تتمرد على فهمنا، الافتراض بأن إحسانه^(٤) ليس مطلقاً، حيث ما هى الميزة التى من الممكن أن تكون موجودة، فى معاناة الملايين من الحيوانات المتدنية فى المستوى، على مدى الزمن الذى لا نهاية له تقريباً؟. وتبدو هذه الحجة البالغة القدم، الناتجة عن وجود المعاناة، ضد الوجود لسبب أولى ذكى، بالنسبة لى حجة قوية، بينما، كما تم التعليق الآن، يتوافق الوجود للكثير من المعاناة، بشكل جيد، مع وجهة النظر الخاصة بأن جميع الكائنات المتعضية قد تم ظهورها، من خلال التمايز والانتقاء الطبيعى.

تستمد أكثر البراهين المعتادة، فى الوقت الحالى، على الوجود لإله ذكى، عن الاقتناع والمشاعر الداخلية العميقة، التى يشعر بها معظم الأشخاص. ولكن لا يمكن الشك فى أن الهندوسيين، والمسلمين وغيرهم، من الممكن أن يقوموا بالمجادلة بنفس الطريقة وبقوة مساوية، لصالح الوجود لإله واحد، أو للكثير من الآلهة، أو مثل ما هو عليه الحال مع "البوذيين" Buddhists، بعدم الوجود لأى إله.

Battle

Omnipotent

Ominiscient

Benevolence

(١) المعركة

(٢) واسع القدرة

(٣) عليم بكل شيء

(٤) إحسان

وهناك الكثير من القبائل الهمجية، التى لا يمكن أن يقال عنهم بأى صدق، أنهم يؤمنون بما نقوم نحن بتسميته إلهًا: فإنهم يؤمنون بالفعل بالأرواح^(١) والأشباح^(٢)، ومن الممكن كما وضحه "تايلر" Tyler و"هيربرت سبنسر" Herbert Spencer، تفسير كيف يكون من شأن مثل هذا الإيمان أن ينشأ.

كنت متقادًا فى الماضى، عن طريق مشاعر مماثلة لما أشرت إليه الآن (رغم أننى لا أظن أن الميول الدينية الموجودة بداخلى، كانت قوية التكوين على الإطلاق)، إلى الاقتناع الثابت بوجود الله، وبخلود^(٣) الروح^(٤). وقد كتبت فى يومياتى، أننى أثناء وقوفى وسط العظمة الخاصة بغابة برازيلية، "كان من غير الممكن تقديم أى فكرة كافية، عن المشاعر العالية الخاصة بالتعجب^(٥)، والإعجاب^(٦)، والتفانى^(٧) التى تملأ وترقى بالذهن". وأتذكر جيدًا اقتناعى، بأن هناك شيئًا أكثر بداخل الإنسان، من مجرد التنفس الخاص بجسده. ولكن ليس من شأن أعظم المناظر أن يتسبب الآن، فى إثارة أى شيء مماثل لتلك القنوات والمشاعر، فى ذهنى. ومن الممكن أن يقال بشكل صادق، إننى مثل أى إنسان أصبح مصابًا بعدم تمييز الألوان^(٨)، وأن الإيمان العام للناس بوجود اللون الأحمر، يجعل فقدائى الحالى القدرة على التمييز، ليس له أى قيمة ولو ضئيلة عند تقديمه كدليل. ومن شأن هذا الدليل أن يكون له قيمة لو توافر لدى الناس التابعين لجميع الأعراق، اقتناع داخلى بوجود إله واحد، لكنن نعلم أن هذا بعيد جدًا عن أن يكون

Spirits	(١) أرواح
Ghosts	(٢) أشباح
Immortal	(٣) خالد
Soul	(٤) روح
Wonder	(٥) تعجب
Admiration	(٦) إعجاب
Devotion	(٧) تفانى
Colour-blind	(٨) عدم تمييز (عمى) ألوان

عليه الحال. وبناء على ذلك، فإننى لا أستطيع أن أرى، أن مثل تلك القناعات والمشاعر الداخلية، قد يكون لها أى وزن، كدليل على ما هو موجود فى واقع الأمر. والحالة الذهنية التى كانت المشاهد العظيمة تقوم فى الماضى بإثارتها بداخلى، والتى كانت مرتبطة بشكل حميم مع الإيمان بالله، لم تكن مختلفة بشكل جوهري، عن تلك التى كثيرا ما يطلق عليها، الشعور بالتسامى، ومهما كان من الصعب شرح نشأة^(١) هذا الشعور، فإنه يصعب تقديمه، على أساس أنه برهان على وجود الله، بأى شكل أكثر من تلك المشاعر القوية، مع أنها مبهمة ومماثلة، التى تنثيرها الموسيقى.

أما بالنسبة للخلود[5]، فلا شيء يقوم بإظهار المدى الذى وصل إليه أى إيمان من القوة والغريزية، مثل الوضع فى الاعتبار لوجهة النظر، التى يقوم باعتناقها معظم الفيزيائيين^(٢)، وهى بالتحديد، أن الشمس وجميع الكواكب، سوف تصبح مع مرور الوقت غاية فى البرودة، لدرجة تمنع استمرار الحياة، إلا إذا قام بالفعل جسم ضخم بالاندفاع إلى داخل الشمس، ويقوم بذلك بمنحها حياة جديدة. وعند الاتفاق معى فى الإيمان، بأن الإنسان فى المستقبل البعيد، سوف يكون كائنات أكثر اكتمالا عما هو عليه الآن، فإنها تصبح فكرة لا يمكن احتمالها، أنه وجميع الكائنات الواعية الأخرى، محكوم عليهم^(٣) بالإبادة^(٤) الكاملة، بعد مثل تلك العملية البطيئة المستمرة لوقت طويل. ولن يبدو لهؤلاء الذين يعترفون بشكل كامل، بخلود الروح البشرية، أن تدمير عالمنا، مخيف إلى هذه الدرجة:

يروق لى المصدر الآخر للاقتناع بوجود الله، المرتبط مع التوازن وليس المشاعر، على أساس أن له وزناً أكبر بكثير. وهو ينبع من الصعوبة المتناهية، أو بالأحرى استحالة الاستيعاب لهذا الكون الشاسع والمدهش، بما فى ذلك الإنسان

Genesis

Physics

Doomed

Annihilation

(١) النشوء = التكوين

(٢) الفيزياء

(٣) محكوم عليه

(٤) إبادة

وقدراته على النظر، بعيدا نحو الماضي، وبعيدا إلى المستقبل^(١)، كنتيجة لصدفة عمياء أو ضرورة. وأشعر عندما أقوم بتقليب الفكر بهذا الشكل، باضطرابي للبحث عن "مسبب أول"، له ذهن ذكي مناظر بدرجة ما، لذلك الخاص بالإنسان، وأستحق أن يطلق على أنني مؤمن بوجود الله.

كان هذا الاقتناع [6] قويا في ذهني، بقدر استطاعتي أن أتذكر، في الوقت الذي كنت أقوم فيه، بكتابة "نشأة الأنواع الحية" (أصل الأنواع) Origin of Species، لكنه أصبح منذ ذلك الوقت، يزيد ضعفاً بشكل تدريجي جداً، مع الكثير من التقلبات. ولكن الشك انبثق بعد ذلك - هل من المستطاع الوثوق بالذهن الإنساني، الذي تطور طبقاً لإيماني الكامل، عن ذهن مثل ذلك الذي في حيازة أكثر الحيوانات تدنياً، عندما يقوم باستخلاص مثل تلك الاستنتاجات الهائلة، وهل من الممكن ألا تكون تلك الاستنتاجات، نتيجة للرابطة الموجودة بين السبب والتأثير، التي نتوصل إليها على أساس أنها شيء ضروري، ولكن من المحتمل أنها لا تعتمد إلا على مجرد الخبرة المتوارثة؟. ويجب علينا أيضاً ألا نغفل عن الاحتمال، بأن من شأن الطبع^(٢) الدائم للإيمان بالله، على أذهان الأطفال، الذي يقوم بإنتاج تأثير غاية في القوة، ومن المحتمل أن يكون وراثياً، على الأدمغة التي لم تتكون بشكل كامل، أن يجعل من الصعب عليهم التخلص من إيمانهم بالله، بشكل مماثل لتخلص القرد، من خوفه وكرهه الغريزيين، من أي أفعى [7].

لا أستطيع الادعاء بأنني قمت بإلقاء أي قدر قليل من الضوء، على مثل تلك المعضلات العويصة^(٣). ويمثل الغموض المتعلق ببداية جميع الأشياء، شيئاً لا حل له بالنسبة لنا، ولا بد لي شخصياً أن أكون قانعاً، بأن أظل مؤمناً بالمذهب اللادرائي^(٤).

Futurity

(١) المستقبل

Inculcation

(٢) طبع = غرس

Abstruse

(٣) عويص = مبهم

Agnostic

(٤) لادرائي = الاعتقاد بأن وجود الله وأصل الكون أمور لا سبيل إلى معرفتها

من الممكن للإنسان الذى ليس لديه إيمان مؤكد، وموجود بشكل دائم، بالوجود لإله شخصى، أو فى التواجد المستقبلى مع العقاب^(١) والثواب^(٢)، أن يتخذ كقاعدة فى حياته، أن يقوم فقط، باتباع تلك الدوافع والغرائز، التى تكون هى الأقوى، أو التى تبدو له أنها الأفضل. فالكلب يتصرف بهذه الطريقة، ولكنه يفعل ذلك بشكل أعمى إلى أقصى حد. بينما يقوم الإنسان على الجانب الآخر، بالتطلع إلى الأمام وإلى الخلف، ويقوم بمقارنة مشاعره، ورغباته واسترجاعاته^(٣) المتنوعة. ثم يجد بعد ذلك، بالتوافق مع قرار جميع الأناس الحكماء إلى أقصى حد، إن أعلى مستوى من الإشباع يتم استمداده، من اتباع دوافع معينة، وهى بالتحديد، الغرائز الاجتماعية. حيث لو قام بالتصرف لصالح الآخرين، فسوف يتلقى استحسان رفاقه من الأناس، ويكتسب حب هؤلاء الذين يعيشون معه، ويمثل هذا الكسب الأخير بلا شك، أرقى سعادة موجودة على سطح هذه الأرض. وسوف يصبح ما لا يستطيع تحمله، أن يستجيب لأهوائه^(٤) الحسية^(٥)، بدلا من دوافعه الأكثر سموا، التى عندما تصبح اعتيادية، من الممكن أن يطلق عليها تقريبا أنها غرائز. ومن المحتمل أن يقوم ترزنه بالتأثير عليه فى بعض الأحيان، لكى يقوم بالتصرف بشكل مضاد لرأى الآخرين، ولن يتم عندئذ تلقى استحسانهم، ولكن سوف يظل لديه الارتياح التام بمعرفة، أنه قد قام باتباع أعمق مرشد له أو ما يسمى ضميره^(٦). - وأعتقد بالنسبة لى شخصيا، أننى قد تصرفت بشكل صائب، بقيامى بالاتباع بشكل مستمر، وتكريس حياتى للعلم. وليس لدى شعور بتأنيب

Retribution

(١) عقاب

Reward

(٢) ثواب

Recollection

(٣) استرجاع

Passions

(٤) أهواء

Seneuous

(٥) حسى

Conscience

(٦) الضمير

الضمير^(١) نتيجة لارتكابي أى خطيئة كبيرة، ولكننى كثيرا ما أشعر بالأسف، على أننى لم أقم بفعل خير مباشر بشكل أكثر، تجاه رفاقى من الكائنات. وعزى الوحيد والواهن، هو الاعتلال الكبير للصحة، وتركيبتى الذهنية، التى تجعل من العسير على بشكل كبير، التخلّى عن أحد المواضيع أو المشغوليات، إلى أى شىء آخر. وأستطيع التخيل بارتياح شديد قيامى بالتخلّى عن حياتى كلها فى سبيل الخير الإنسانى^(٢)، ولكن ليس عن جزء منها، رغم أن ذلك كان من شأنه أن يكون تصرفا أفضل بكثير.

لا يوجد شىء جدير بالاعتبار [8] بشكل أكبر، من الانتشار للنزعة الشكوكية^(٣) أو المذهب العقلانى، فى غضون النصف الأخير من حياتى. وقبل أن أقوم بالارتباط استعدادا للاقتراح، نصحنى أبى بالحرص على إخفاء شكوكى، وقال إنه على علم بحالات من التعاسة المتناهية، تسببت عن ذلك، مع أشخاص مقترنين. حيث سارت الأمور بشكل حسن، إلى أن أصبحت الزوجة أو أصبح الزوج معتل الصحة، وعندها عانت بعض النساء بشكل تعس، عن طريق الشك الذى دار، حول الخلاص^(٤) الروحى لأزواجهن، ودفعهم إلى المعاناة بنفس الشكل. وأضاف أبى، أنه تعرف فى غضون حياته الطويلة كلها، على ثلاث نساء متشككات فقط، وعلينا نذكر أنه قد تعرف بشكل جيد، على عدد كبير جدا من الأشخاص، وأنه كان حائزا على قدرة تفوق المعتاد، على اكتساب الثقة. وعندما سألته عن تلك النساء الثلاث، أشار باحترام إلى إحداهن، وكانت أخت زوجته، "كينى ويدجود" Kitty Wedgwood، وقال إنه لا يمتلك دليلا قويا على ذلك، ولكن ذلك كان فى صورة تلميح غامض فقط يعاونه الاقتناع، بأنه لا يمكن لامرأة ذات رؤية واضحة، أن

Remorse

Philanthropy

Scepticism = Skepticism

Salvation

(١) تائب الضمير

(٢) الخير الإنسانى

(٣) النزعة الشكوكية - التشكك

(٤) الخلاص = انقاذ (من الخطيئة)

تكون من المؤمنات. وأنا أعرف فى الوقت الحالى - رغم دائرة معارفى الصغيرة- الكثير من السيدات المتزوجات، المؤمنات بشكل أكثر قليلا جدا من أزواجهن. وكان أبى معتادا الاستشهاد ببرهان لا رد له، كانت سيدة متقدمة فى العمر، هى "السيدة بارلو" Mrs. Barlow، التى خامرها الشك فى عدم استقامته الدينية، تأمل أن تستطيع بواسطته القيام بهديته إلى التدين، حيث قالت: "أيها الطبيب، أنا أعلم أن السكر عذب المذاق فى فمى، وأعلم أن مخلصى^(١) حى".

الهوامش

- الملاحظات المنتهية بحرفى [F.D.]، كتبت بواسطة "فرانسيس داروين" Francis Darwin.
- الملاحظات المنتهية بحرفى [N.B.]، تشير إلى إضافات تمت بواسطة "نورا بارلو" Nora Barlow، حفيدة "تشارلس داروين"، ولم تظهر قبل عام ١٩٥٩.
- الملاحظات المنتهية بحرفى [E.D.]، تابعة لـ "إيما داروين" Emma Darwin، زوجته.

١- أكتوبر ١٨٣٦ إلى يناير ١٨٣٩ [F.D.]

٢- قامت "السيدة داروين" بكتابة حاشية حول هذه الفقرة (ابتداء من "لم أشك على الإطلاق منذ ذلك الحين" إلى "هذا مذهب العين")، بخط يدها: لا أحب أن يتم نشر هذه الفقرة. لأنها تبدو لى فجة = Raw. فلا يمكن أن يقال شئ بهذه القسوة، عن عقيدة العقاب الأبدى لعدم الإيمان - ولكن يوجد الآن عدد قليل جداً، من شأنهم أن يطلقوا على ذلك، أنه "الديانة المسيحية" (بالرغم من أن الكلمات موجودة). وهنا يأتى أيضاً السؤال الخاص بإلهام الملفوظ. [E. D.] أكتوبر ١٨٨٢ - وقد تمت كتابة هذا بعد مرور ستة أشهر على وفاة زوجها، فى نسخة ثانية من "القصة الحياتية الذاتية" بخط يد "فرانسيس داروين". ولم يتم نشر الفقرة [N.B.]

٣- يتساءل أبى إذا كان لنا أن نؤمن، بأن الأشكال كانت من ضمن المقدرات Preordained الخاصة بشظايا Fragments الصخور، التى يتم مطابقتها مع

بعضها عن طريق الإنسان، لكي يقوم ببناء منازلهم. وإذا لم يكن الأمر كذلك، فلماذا يكون علينا أن نؤمن، بأن تمايزات الحيوانات والنباتات الداجنة، قد تكون من المقدرات، من أجل مصلحة المستولد؟" ولكن إذا تخيلنا عن المبدأ في إحدى الحالتين، .. فلا يمكن أن يتم تحديد أى ظل من التوازن، للإيمان بأن التغيرات المتشابهة الموجودة في الطبيعة، والناجمة عن نفس القوانين العامة، التي كانت الأساس من خلال الانتقاء الطبيعي، لتشكيل معظم الحيوانات المتهاينة بشكل مثالي في العالم، بما في ذلك الإنسان، قد تم إرشادها بشكل مقصود وبشكل مخصوص". انظر تمايزات الحيوانات والنباتات، الإصدار الأول، الجزء الثاني، صفحة ٤٣١ - [F.D.]

٤- "بالإضافة إلى الاستخدام أو الاعتياد"، تمت إضافتها فيما بعد. والتصويبات والتعديلات الكثيرة الموجودة في هذه الجملة، توضح انشغال باله المتزايد، باحتمالية وجود قوى أخرى تقوم بالعمل، بجانب الانتقاء الطبيعي. [N.B.]

٥- لاحقة Addendum، تمت إضافتها في وقت لاحق، لإنهاء الفقرة [N.B.]

٦- لاحقة من أربعة أسطر، تمت إضافتها في وقت لاحق. وهي موجودة في نسخة مخطوط "تشارلس"، المدون بخط يد ابنه الأكبر. وموجودة في نسخة "فرانسيس"، بخط "تشارلس" نفسه. [N.B.]

٧- تمت إضافة تلك الجملة في وقت لاحق. وقد قامت "إيما داروين" بتحرير خطاب، طلبت فيه من ابنها "فرانك" أن يسقط هذه الجملة، عندما كان يقوم بإعداد القصة الحياتية الذاتية في عام ١٨٨٥. والخطاب كما يلي: - "من "إيما داروين" إلى ابنها "فرانسيس"، عام ١٨٨٥"

"عزيزي فرانك،

توجد هنا جملة واحدة في القصة الحياتية الذاتية، التي أود بشكل كبير جدا أن يتم إسقاطها، ولا شك في أن ذلك يرجع جزئيا، لأن رأى والدك بأن جميع

المبادئ الأخلاقية = Morality قد نمت عن طريق التطور، مؤلمة بالنسبة لى، ولكن أيضاً، لأن الموضوع الذى تقع فيه هذه الجملة، يعطى الشخص نوعاً من الصدمة - ومن شأن ذلك أن يعطى ثغرة، مهما كانت بشكل غير عادل، إلى أنه اعتبر أن جميع المعتقدات الروحية، لا تعلق على الأشياء المقيّنة أو المحبوبة بشكل وراثى، مثل خوف القروء من الأفاعى.

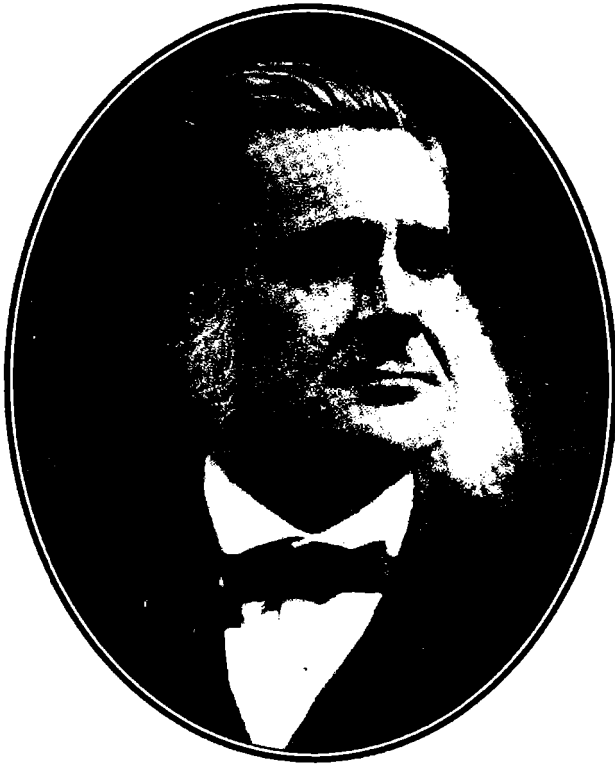
وأعتقد أن الجانب الازدراى من شأنه أن يختفى، إذا تم ترك الجزء الأول من التخمين، بدون المثال الموضح الخاص بحالة القروء والأفاعى. ولا أعتقد أنك تحتاج إلى استشارة "وليام" William حول هذا الإسقاط، لأنه لن يقوم بتغيير الفحوى = Gist الكاملة للقصة الحياتية. وأرغب قدر المستطاع فى تجنب التسبب، فى أى معاناة لأصدقاء والدك المتدينين المرتبطين به بشكل عميق، وبإمكانى تصور الطريقة التى سوف تصدمهم بها هذه الجملة، وهذا ينطبق حتى على هؤلاء المتحررين = Liberal إلى أقصى حد، مثل "إلين توليت" Ellen Tollett و"لورا" Laura، والأكثر من ذلك بكثير "الأميرال سوليفان" Admiral Sullivan، و"العمة كارولين" Aunt Caroline، وغيرهم، وحتى الخدم القدامى.

تحياتى إليك يا عزيزى فرانك

أ. م.

وقد ظهر هذا الخطاب في كتاب "إيما داروين" الصادر بواسطة "هنرييتا ليتشفيلد" Henrietta Litchfield في الإصدار المطبوع بصورة شخصية، والصادر عن مطبعة جامعة كامبريدج" في عام ١٩٠٤. وقد تم إسقاطه في إصدار "جون موراى" John Murray الشعبي، في عام ١٩١٥ - [N.B.]

تحمل هذه الفقرة ملحوظة مكتوبة بواسطة "تشارلس": "تحرر في ١٨٧٩ - تم النسخ في ٢٢ إبريل ١٨٨١". ومن المحتمل أن هذا يشير أيضا، إلى الفقرة السابقة. [N.B.]



لوحة (٥٧)
هوكسلى، المدافع عن "داروين"
والذى قام بتأبينه

تأبين^(١) "تشارلس داروين"

بواسطة: ت. هـ. هوكسلى T.H.Huxley

كان العدد القليل جدا، حتى من بين الذين قاموا بأكبر قدر من الاهتمام، فى مسيرة الثورة فى المعرفة الطبيعية، التى تقدمت خطوة عن طريق نشر كتاب "أصل الأنواع" (نشأة الأنواع الحية)، والذين لم يراقبوا بدون الشعور بالدهشة، للتغيير السريع والكامل الذى تم إنجازه، سواء داخل أو خارج حدود العالم العلمى، فى موقف الأذهان الإنسانية، تجاه التعاليم^(٢) التى تم سردها^(٣) فى هذا العمل العظيم، يكون مستعدا للإبداء الخارج عن الطبيعى، عن الشعور بالتقدير العاطفى للرجل، وللتسجيل العميق للفيلسوف، الذى تلا الإعلان، يوم الخميس الماضى، عن وفاة "السيد داروين".

لا يقتصر الأمر على الموجودين فى هذه الجزر، الذين شعر الكثير منهم بسحر الاتصال الشخصى، مع إنسان ذكى لا يعلى عليه، ومع طابع كان أكثر نبلا عن الفكر، ولكن يبدو أن هؤلاء الموجودين فى جميع أجزاء العالم المتحضر، الذين يستدعى عملهم الإحساس بنبض الأمم، ومعرفة ما يهم جموع الصنف الإنسانى، قد أدركوا تماما بأن من شأن الآلاف من قرائهم، أن يفكروا فى العالم الذى أصبح أكثر فقرا، لوفاة "داروين"، ومن شأنهم أن يتمعنوا^(٤) باهتمام مثلف، حول كل حدث فى تاريخ حياته. وقد قام الكتاب فى فرنسا، وفى ألمانيا، وفى إمبراطورية

Obituary

Doctrines

Expound

Dwel

(١) تأبين

(٢) تعاليم

(٣) يسرد

(٤) يتمعن

النمسا والمجر، وفي إيطاليا، وفي الولايات المتحدة، التابعين لجميع الظلال من الآراء، بالإجماع^(١) لأول مرة، بتقديم الثناء التلقائي لكفاءة مواطننا، الذي تم تجاهله أثناء حياته من قبل الممثلين الرسميين للمملكة، لكنه المسجى في مماته، بين أنداده^(٢) الموجودين في كنيسة وستمنستر، عن طريق الإرادة النابعة عن ذكاء الأمة.

وليس لنا أن نشير إلى الأحزان المقدسة، الخاصة بالمنزل المكلوم^(٣) في "داون" Down، ولكن ليس سرا، أن هناك خارج تلك المجموعة العائلية^(٤)، الكثيرين الذين تمثل لهم وفاة "السيد داروين"، خسارة تامة لا يمكن تعويضها. وليس هذا لمجرد طبيعته اللطيفة^(٥)، والبسيطة، والكريمة بشكل مدهش، وحديثه المبهج والمفعم بالحياة^(٦)، والتنوع والدقة المتناهية لمعلوماته، ولكن لأنه كلما أكثرنا من معرفتنا عنه، بدا لنا بشكل أكثر، أنه المثل الأعلى^(٧) المجسد^(٨) لرجل العلم. ومهما كانت قدراته الترزية^(٩)، وإطلاعه الواسع، ومثابرته العنيدة^(١٠) الرائعة، تحت تأثير الصعوبات المادية، التي كان من شأنها أن تحول تسعة رجال من كل عشرة إلى عجزه^(١١) بدون هدف، فإنها لم تكن تلك الخواص، مهما كانت عظيمة، التي تركت

Unanimous	(١) إجماع
Peer	(٢) ند
Bereaved	(٣) مكلوم
Domestic	(٤) عائلي - منزلي
Genial	(٥) لطيف
Animated	(٦) مفعم بالحياة
Ideal	(٧) المثل الأعلى
Incorporated	(٨) المجسد
Reasoning powers	(٩) قدراته ترزية *
Tenacious industry	(١٠) مثابرة عنيدة
Invalid	(١١) عاجز

انطباعا عند هؤلاء الذين تم لهم السماح بالدخول فى معرفته الحميمة بتبجيل^(١) لا إرادى، ولكنه القدر المعين من الأمانة الشديدة والمتقّدة تقريبا، التى كانت تشع بها جميع أفكاره وأفعاله، كما لو كانت بفعل إتقاد داخلى.

كانت هذه المواهب^(٢) النادرة والعظيمة إلى أقصى حد، هى التى حافظت على خياله المفعم بالحياة، وقدراته التأملية^(٣) العظيمة فى غضون الحدود الصحيحة، التى اضطرتّه إلى أن يأخذ على عاتقه، الجهود غير العادية للاستقصاء المبتكر والقراءة، التى تأسست عليها أعماله المنشورة، والتى جعلته يقبل الانتقادات والاقتراحات الصادرة عن أى شخص وكل شخص، ولم يكن ذلك بدون أى نفاذ للصبر، ولكن مع تعبيرات عن العرفان بالجميل، التى كانت فى بعض الأحيان زائدة عن قيمتها بشكل مضحك تقريبا، والتى قادته إلى عدم السماح لنفسه أو للآخرين، بأن يتم خداعهم عن طريق الشعارات^(٤)، وألا يقوم بتوفير الوقت ولا المعاناة، من أجل الحصول على فكرة واضحة وغير مشكوك فيها، عن كل موضوع كان يشغل نفسه به.

لا يستطيع المرء التحدث مع "داروين" دون أن يتم تذكيره "بسقراط" Socrates. كانت هناك نفس الرغبة، فى العثور على شخص أكثر حكمة من نفسه، ونفس الإيمان بسيادة التمرز، ونفس المزاج الذهنى المتأهب، ونفس الاهتمام المتعاطف، مع جميع طرق وأعمال البشر. ولكن بدلا من الابتعاد عن معضلات الطبيعة، على أساس أنها غير قابلة للحل بشكل مینوس منه، قام فيلسوفنا العصرى بتكريس حياته كلها لمهاجمتها بروح "هيراكليتوس" Hiraclitus، و"ديموكريتوس" Democritus، بنتائج كانت تخميناتها مثل جوهرها مجرد خيالات متوقعة.

Veneration

Endowment

Speculative powers

Phrases

(١) تبجيل

(٢) موهبة

(٣) قدرات تأملية

(٤) شعارات

لا يمثل التقدير أو حتى السرد الحقيقي لتلك النتائج شيئا عمليا أو مطلوبا في هذه اللحظة. فهناك وقت لكل شيء، وقت لتمجيد فتوحاتنا دائمة الاتساع على سلطان^(١) الطبيعة، ووقت للحداد^(٢) على أبطالنا الذين قاموا بقيادتنا إلى النصر.

لم يحارب أحد بشكل أفضل، ولم يكن أحد أكثر حظا من "تشارلس داروين". فإنه عثر على حقيقة عظيمة، موطوءة تحت الأقدام، وملعونة عن طريق المتعصبين الدينيين^(٣)، وموضع سخريّة من جميع العالم، وامتد به العمر لكي يراها، بشكل رئيسي عن طريق مجهوداته، وطيدة في العلم بشكل لا يمكن دحضه^(٤)، ومندمجة بشكل لا يمكن فصله عن الأفكار الشائعة للناس، ومكروهة ومهابة، من قبل هؤلاء الذين من شأنهم أن يلعنوا^(٥)، لكنهم لا يجرءون. ما الذي يريده إنسان أكثر من ذلك؟ و ترتفع مرة أخرى صورة سقراط غير محجوبة، ويرن خطاب الاعتذار^(٦) الختامي^(٧) النبيل في آذاننا، كما لو كانت أجراس الوداع لـ "تشارلس داروين".

حان وقت الرحيل، وكل منا يذهب في سبيله — أنا لأموت. وأنت لتحيّا.

— ما هو الأفضل، الله وحده يعلم.

ت. هـ. هوكسلي

مجلة Nature

الخميس ٢٧ إبريل ١٨٨٢

Realm	(١) سلطان
Mourning	(٢) حداد
Bigot	(٣) متعصب ديني
Irrefragable	(٤) لا يمكن دحضه
Reville	(٥) يلعن
Apology	(٦) الاعتذار
Peroration	(٧) الخطاب الختامي



لوحة (٥٨)

الإله الفرعوني "ثوتى" - المسجل (المخطاط)

مسرد بالمصطلحات والألفاظ الواردة بالكتاب

Abhorrence	اشمئزاز
Abortion	إجهاض
Abstruse	عويص = مبهم
Academic Studies	الدراسات الجامعية التقليدية
Acerbity	فظاظة
Acid	حامض
Acquiesce	بذعن
Acre	فدان: مقياس للأرض بمساحة ٨٤٠ ياردة (حوالي ٤٠٠٠ متر مربع)
Acrid	لاذع
Adam's apple	تفاحة آدم (فى العنق)
Adaptation	تكيف (بيئى)
Addendum	لاحقة = إضافة
Adept	خبير = ماهر
Admiration	إعجاب
Advocate	ينادى = يدافع

Aesthetic tastes	تذوقات جمالية
Affectionate	حنون = عطوف = ودود
Agnostic	لادرائى
	الاعتقاد بأن وجود الله وأصل الكون ، أمور لا سبيل إلى معرفتها
Agriculturist	خبير زراعى
Alas	للأسف
Alder tree	شجرة الحمراية = حورة رومية
	جار الماء: شجر حرجى يألف الماء
Algebra	علم الجبر
Allegories	مزاعم *
Alleviate	يخفف = يهون
Alpenstock	العصا الألبية : عصا بأسفلها حديدة مستدقة لتسلق الجبال
Amygdaloid	ملوز = لوزى صخر بركانى مشتمل على تجاويف صغيرة مملوءة بالرواسب المعدنية
Analogy	تتناظر
Anatomy	علم التشريح
Ancestor	سلف = جد أعلى
Anecdote	رواية = قصة

Angelic	ملائكى
Angling	الصيد بالصنارة = التصنر
Animated	مفعم بالحوية
Annihilation	إبادة
Antenna (Pl. Antennae)	زبانى = قرن استشعار
Anthem	ترنيمه = نشيد
Anticipation	التوقع
Antiquary	الجامع أو الدارس للأشياء العتيقة
Apology	اعتذار
Appaling	مروع = مرعب
Applause	تصفيق
Apprehension	فهم = استيعاب
Aquarium	صالة عرض الأحياء المائية
Archaeology	علم الآثار القديمة
Archive	سجل محفوظ = أرشيف
Arctic	قطبى
Ardent	غيور = متحمس = متوهج
Argument	برهان

Armadillo	الحيوان المدرع
	حيوان ثديى جنوب أمريكى من الدرداوات - مغطى بدروع عظمية
Armoury	دار السلاح *
Article	بند = فقرة
Attraction	جاذبية = جذب
Autobiography	قصة الحياة الذاتية = سرد الحياة الذاتى
Autopsy	تشريح الجثة
Avowal	إقرار
Awe	رعب
Azalea	زهرة الغار الشيحى = بقليل = أزاليا
B.A. = Bachelor of Arts	الدرجة العلمية فى الفنون والآداب = (ليسانس)
Bake	يخبز = يحمص
Backgammon	لعبة الطاولة = النرد
Bald	أصلع
Banish	إبعاد = طرد = نفى
Bank	مصرف = بنك
Bankrupt	إفلاس
Bar	حاجز

Barbarian	همجى = غير متمدين
Barge	صنڊل = مركب نهري مسطح ضخ
Barnacles	البرنقيلات: حيوانات بحرية قشرية من رتبة هدايات الأقدام، تعلق بالصخور
Barometer	مقياس الضغط الجوى
Barrister	محام أمام المحكمة العليا
Bassoon	الزمر: مزار ذو أنبوبة خشبية مزدوجة وفم معدنى ملتو
Bat-fives	لعبة ضرب الكرة الخماسى *
Bathman	رجل الحمام
Battle	معركة
Beagle	اسم السفينة = نوع من كلاب الصيد ، قصير القوائم ناعم الوبر
Beast	بهيمة = حيوان
Bed	مسكبة = قاع
Beech	شجر الزان
Beetle	خنفسة
Begger	متسول = شحاذ

Behold	يَنْظُرُ = ينظر
Benevolence	النزعة الخيرية = الصالح العام = إحسان
Bequeath	يورث (يخصص) بوصية
Bereaved	مكلوم
Bible	الكتاب المقدس (بعهديه)
Bibliography	مسرد = بيان
Bigot	متعصب ديني
Biography	السيرة الحياتية
Biology	علم الأحياء = الأحيائيات *
Biophytum	نبات بيوفايتم #
Birch	شجر البتولا = التامول = شجر القضبان
Bivalve	ثنائي المصراع = ذو مصراعين
Black-game	الطيور المصيدة السوداء *
Blooming	ناضر
Blossom	زهرة متفتحة لنبات مثمر = إزهار
Blushing	تورد
Boast	يتباهى
Boiler	غلاية

Boisterousness	الصخب
Bolt	يغز = صاعقة
Boot	حذاء عالى الساق
Borrow	يقترض
Bos (Tribe)	القبيلة الثيرانية *
Botany	علم النبات = النباتيات *
Botanist	عالم فى النباتيات *
Bough	غصن أو فرع شجرة
Boulder	جلمود (صخر)
Bowdlerize	يهذب كتابا (حذف وتعديل لبعض المقاطع)
Boyish	صبيانى
Bravado	تبجح = تظاهر بالبطولة
Breeder	مستولد (للحيوانات)
Brother in law	نسيب = أخ فى ظل القانون
Brows	حيود (العين) *
Buddists	البوذيون
Bull-terrier	كلب أراضى ثورانى *
Buoyant	طافى

Burrowed	يتخذ وجارا
Butler	رئيس الخدم
Button	زرار = يتزرر
Cabin	قمرة = حجرة على ظهر السفينة
Caligraphy	الرسم بالطباشير *
Candour	صراحة
Canvassing	التدقيق
Cap	كبسولة: لفافة تحتوى على بعض المتفجرات
Capacity	السعة
Capsule	محفظة (بذور)
Captain – Lieutenant	قائد ملازم *
Carabidous beetles	الخنافس الأرضية (مفيلة)
Carbine	بنديقية قصيرة = قربيقة
Carpenter	نجار
Castor	عجلة
Cataclysm	التغيير العنيف = الجائحة
Catalogue = Catalog	بيان مصور
Categorical	بشكل بات = قاطع

Caution	احتراس = حذر
Cement glands	غدد المادة اللاصقة *
Cement	يلصق
Census	حصر السكان
Cephalanthera	شجر رأسيات المآبر *
Chaffing	يمازح
Chalk	طباشير = جير
Chambermaid	خادمة غرفة النوم
Chapel	مصلى = كنيسة صغيرة
Chaplet	إكليل
Character	طابع = شخصية
Charged	مشحون
Charts	الخرائط البحرية
Check	إيصال مصرفى = شيك
Chestnut	كستناء
Chilliness	برودة
Chimney-piece	رف المستوقد
Choir	جوقة المنشدين

Chorister boys	الصبيّة المنشدون
Christen	يعمد (فى الكنيسة عند الولادة)
Christian name	الاسم المعمدانى *
Cicidela	خنفسة ببرية
Cigarette	لفافة تبغ
Cilia	أهداب
Circumnution	الالتفاف الدائرى *
Cirripeda	الحيوانات هدايبية الأقدام = هدايبات الأقدام
Civil war	الحرب الأهلية
Clamped	مقموط: ممسوك بقمطة
Class	طبقة (فى التصنيف الأحيائى)
Classical elegance	الروائع التقليدية *
Classics	الدراسات التقليدية = التقليديات *
Classification	التبويب *
	Taxonomy أما التصنيف
Clergyman	رجل دين
Click	صوت طقطقة = دقة
Cliff	جرف = منحدر صخرى

Climbing Plants	النباتات المتسلقة
Clinical wards	الأجنحة السريرية
Clink	صوت صلصلة
Cloak	عباءة = معطف فضفاض
Closely allied	متقارب بشكل حميم
Cob	جواد كبة *
	جواد قوى قصير القوائم
Coin	عملة (نقدية = معدنية)
Colour-blind	عدم تمييز (عمى) الألوان
Colourless	غير ممنوع = عديم اللون
Commen	يمدح = يثنى على
Commission	مفوضية = لجنة
Commons (Land)	الأراضي المشاع
Commonwealth	الاشتراك فى اليسر (جمهورية كرومويل) *
Compass	بوصلة = بيت الإبرة = إبرة الملاحين
Compasses (pair of)	فرجار = برج
Complemental	تكميلي = ملحق
Complexion	لون البشرة

Compound eye	عين مركبة
Compound microscope	المجهر المركب *
Concatenation	تسلسل
Concholepas	المحار الحرشفي *
Conciliatory	مستميل
Condemn	يشجب
Consanguineous	وثيق القرى: من أصل واحد
Conscience	الضمير
Conscientious	ضمير حى
Console	يواسى
Constitutional	نريض = نزهة رياضية
Contempt	احتقار = ازدراء
Contrast	يقابل = يغير
Contrivance	وسيلة مستنبطة = اختراع
Controversial	مثير للجدل
Coordinate	ينسق
Coppice	أبكة
Coral Island	جزيرة مرجانية

Coral reef	حيد مرجانى
Corals	مرجانيات
Cordial	ودود
Cork	فلينة
Corporal	جسدى
Corpulent	بدين
Cottage	بيت ريفى
Cotyledon	الورقة الجنينية (التي ترافق بذور الزهريرات)
Countenance	سيماء
County Magistrate	القاضى الإقليمى
Courteous	دمث = لطيف
Cowslip	زهر الربيع العطرى = شفة البقر *
Crack	صوت طقطقة = فرقة = طرقة
Craig	حرف صخرى
Crater	فوهة بركان
Crave	يرغب بشدة = يشتاق
Credulous	ساذج = سريع التصديق
Cribs	قصاصات الغش فى الامتحان

Crimson	لون قرمزي
Scarlet	أما لون سكالاتيني = أحمر يميل إلى البرتقالي
Cross-beak	الطائر متصالب المنقار *
Crossing	تهجين
Cruelty	القساوة = القسوة = الوحشية
Crustaceans	الحيوانات القشرية = القشريات
Cunning	ماكر
Curator	الأمين
Curiosity	فضول = حب استطلاع
Curtail	اختصار = بتر
Cypher = Cipher	شفرة = الصفر
Domnable	ملعون = يستحق اللعنة
Dawning	بزوغ الفجر
Day-dream	حلم يقظة
Deal rod	قضيب توزيع *
Debates	مجادلات
Deductive reasoning	الترزن الاستنتاجي *
Deference	المراعاة = الاحترام

Delicate	رقيق الصحة
Demon	عفريت
Density	كثافة
Denudation	التجريد: زوال سطح الأرض بفعل المياه *
Deposition	الترسيب = الإيداع
Deposits	رواسب
Depressed	مكتئب = مثبط
Descent	نشأة = تحدر
Descent theory	نظرية النشوء = التحدر عن
Design	تخطيط = رسم خطة = تصميم
Despair	قنوط
Despondent	قانط
Destroy	تدمير = إهلاك
Determined	عاقذ العزم = مصمم
Detestation	المقت = البغض
Devoted	مخلص = متقانى
Devotion	تقانى = تكريس
Dialogue	محاورة = محادثة ثنائية

Diary	مفكرة = دفتر يوميات
Dictionary	قاموس = معجم
Diclytra	الزهور ثنائية الأغلفة أو الأعماذ *
Digestive	هضمي
Diligence	اجتهاد
Dimorphic	ثنائي (مزدوج) الشكل
Dimorphism	ازدواج الهيئة
Dioecious	منفصل الجنس
Disbelieve	الجهود = الإنكار
Disciple	مريد
Discomfort	مشقة
Discompose	يخرج عن الصواب
Discord	نشاز = غير منسجم
Disgust	الاشمئزاز
Dispationate	مجرد من الأهواء *
Dispersal	انتثار
Dispersion	التسريح (من الجيش)
Displeasure	استياء

Disposition	نزعة
Dissect	يشرح
Distaff	فلكة المغزل
Diversified	متنوع
Divinity	الألوهية = اللاهوت
Doctrine	عقيدة = مذهب
Dogged	العناد = العند
Dogma	العقيدة
Dogwood	شجر القرنوس = القرانيا
Domestic	عائلي = داجن
Dominant	مهيمن = مسيطر
Don	أستاذ جامعي (كامبريدج واكسفورد)
Donor	مانح
Doomed	محكوم عليه = مقضى عليه
Douche-bath	حمام منضحة
Drab	قماش رمادي مسمر
Drag	ضجر
Dragon soldier	جندى فى سلاح الفرسان

Draughtsman = Draftsman	رسام
Drawing-room	غرفة الاستكانة * للانسحاب بعد العشاء
Drift	الركام المجروف
Droscra	نبات ورد الشمس = الدروسيرا (نبات يفرز عصارة تلتصق بها الحشرات
Duodecimo	كتاب من القطع الإثني عشرى
Dwel	يتمعن
Earl	نبييل (لقب)
Earth-worms	الديدان الأرضية
Economy of nature	المنظومة الطبيعية *
Edition	إصدار
Egg-case	أغلفة البيض *
Elbow	مرفق = الكوع
Elect	ينتخب (أما ينتقى أو يصطفى = Select)
Elicit	يستثير = يحث
Elude	يراوغ
Embalm	يحنط
Emotion	انفعال

Endowed	موهوب
Engraving	نقش
Enthusiastic	متحمس
Entomology	علم الحشرات = الحشریات
Equality	مساواة
Erratic	مجروف
Esq. = Esquire	المحترم
Estate	عزبة
Euclid	الهندسة الإقليدية
Evolution	التطور
Exclusion	الاستبعاد
Experimental	تجريبي
Expire	ينقضى الأجل *
Expound	يسرد
Expression	تعبير
Expurgate	يطهر = يهذب
Extinct	منقرض = مندر
Extravagant	مصرف = مفرط

Eyebrows	حواجب العيون
Eyewitness	شاهد عيان
Fable	خرافة = بهتان
Fading	ذاوى
Falsehood	أكذوبة
Family	فصيلة = عائلة
Famishing	يموت (يتضور) جوعا
Fanatic	متعصب
Fashion	النمط السائد
Fatality	شيئا قدريا
Favourable = Favorable	مواتى
Feat	إنجاز
Fen	مستنقع
Ferment	مادة متخمرة
Fertilisation	تلقيح
Cross Fertilisation	التلقيح (التهجينى) المتبادل =
Fetid	ننن (الرائحة)
Fidgeting	متململ

Field-bean	فول الحقل * = الفول الحقلى *
Figure	القوام
Fine	غرامة
Fish-pond	بركة أسماك
Fissure	صدع = شق
Flag	فتور
Float	الفليئة الطافية (صيد السمك)
Fluent	فصيح
Flustra	المرتبكات * (حيوانات بحرية بدائية)
Flute	النأى = الفلوت
Fly-orchis	شجر ذباب السحلب *
Fly-wheel	العجلة الهوائية *
Foolscap	ورق كبير القطع (مقياس ١٦×١٣ بوصة)
Footstool	مستقر للقدم *
Foot-rule	مسطرة قدمية الطول *
Foreboding	هاجس
Forefather	الأب الأعلى = السلف
Form	صيغة

Formal	منهجي = رسمي = متكلف
Fossils	مستحاثات = أحافير
Fossil bones	العظام الأحفورية
Fox – terrier	كلب أرضي ثعلبي *
Fragment	شظية
Frank	صريح
Frank	دمغة = تمغة
Fraudulent	مخادع
Fretful	نكد الطباع
Frizzled	مجعد (الشعر)
Fucus loreus	طحلب الفقوس المضلع *
Full-bottomed	مكتمل التنلى *
Funeral	جنازة = مأتم
Futurity	المستقبل
Gaiters	طماق = غطاء للحذاء
Gallery	صالة عرض
Game	الطرائد = الطيور المصيدة
Gardener	بستاني

Gemmules	بريجمات = براعم صغيرة
Genealogy	علم الأنساب
Generalise	يعمم
Generous	سخي
Genesis	النشوء = التكوين
Genial	لطيف
Gentleman	رجل محترم *
Genus (Pl. Genera)	طبقة
Geology	الجيولوجيا = علم طبقات الأرض
Germinate	ينبت
Gesture	إيماء = إيماة
Get up	استذكار = اكتساب معرفة
Ghosts	أشباح
Giddiness	دوار
Gist	فحوى
Glacial period	العصر الجليدي
Glacir	مجلدة (جمعها مجالد) = نهر جليدي
Glacier-lake (theory)	نظرية البحيرة الثلجية

Globular bodies	الأجسام الكروية
Goldfinch	طائر الحسون الذهبي
Gospels	رسائل الإنجيل (العهد الجديد)
Grandfather	الجد
Great grandfather	والد الجد
Grandson	الحفيد
Great grandson	ابن الحفيد
Gravil-pit	حفرة مليئة بالحصي
Gravity	ثقل = جاذبية الأرض
Green house	بيت النباتات الزجاجي *
Grenadiers	رماة الرمانات
Grind	يطحن
Grumble	يتذمر
Habit	عادة = سلوك
Habits of life	السلوكيات الحياتية
Half-bred	نصف أصيل
Hall	قصر = قاعة = رواق
Hammer	مطرقة = شاكوش

Harangue	يحاظر = يخطب
Hare	أرنب وحشى (مشقوق الشفة)
Harmonise	يتوافق = ينسجم
Haven	ملاذ
Hazel	شجر البندق
Heath	نبات الخلنج
Hedge	سياج
Hemipterous insect	حشرة نصفية الأجنحة
Hermaphrodite	خنثى
Heterostylism	تغاير قلم السمة *
Hilly	شديد التحدّر = كثير التلال
Hindoos	الهندوسيون
Hinge	مفصلة
Hoax	دعابة خادعة *
Holly	نبات البهشية = عود الخير = شرابة الراعى = طيم
Homology	تماثل
Honours	الدرجات الشرفية = درجات الشرف
Hook	كلاب = خطاف = عقيفة

Horn beam	شجر الدردار المستدق *
Host	مضيف
Hot-house	البيت الدافئ (للنباتات)
Howl	ولولة
Hum	صوت همهمة
Human	بشر = بشرى
Humane	شفوق = رحيم
Humble bee = Bumble bee	النحلة الطنانة
Hunt	يستخدم
Husband	اقتصاد = عناية
Hybrid	نغل (جمعها أنغال)
Hydropathic treatment	علاج تجريبي بالمياه
Hypothesis (Pl. Hypotheses)	فرضية
Icebergs	الجبال الثلجية الطافية
Ideal	مثل أعلى = مثالي
Idiosyncrasy	خصوصية = خاصة
Ignoramus	جهول
Ill	مريض = عليل = سقيم = ردىء

Illegitimate	نغل = خارج عن المؤلف = غير قانونى
Illustrations	رسومات (أو أمثلة) توضيحية
Immortal	خالد = لا يموت
Imperitive	ملح = ضرورى = أساسى
Impressed	مطبوع
Impaling	يخزق = يخزق
Impudence	صفاقة = وقاحة
Incipient	ابتدائى = أولى
Incorporated	مجسد
Inculcation	طبع = غرس
Indignant	ساخط = ناقم
Individuality	الشخصية الفردية = شخصية
Indomitable	لا يقهر
Industry	مثابرة = كد
Inferior	أقل فى المستوى
Ingenuity	إبداع
Ink	المداد = الحبر
Innate	متأصل = أرومى

Inquest	نَحْقِيق
Insanity	فَقْدان العَقْل = الخبل
Inscribe	يَكْتُب = يَنْقُش
Insectivorous	مَلْتَهَم للحشرات
Institution	مُؤَسَّسَة
Intellectual	فَكْرِي
Intellectual employment	مَشْغُولِيَة عَقْلَانِيَة *
Interbreeding	اسْتِيلاد بَيْنِي * = تَهَاجِن
Intercourse	اتصال = تَعَامَل = عِلَاقَة = جَمَاع
Interest	اهْتِمَام
Intolerance	التَعَصُّب = عَدَم التَّقْبَل
Intrinsic	جَوْهَرِي = دَاخِلِي
Intuitive	بَدِيهِي
Invalid	عَاجِز
Invertebrate	الْحَيَوَانَات الَّلَافَقَارِيَة = الَّلَافَقَارِيَات
Involved	مَلْتَوِي = مَعْقَد
Irksome	مُؤْرَق = مُضْجِر
Irrefragable	لَا يَمْكِن دَحْضَه

Isolation	الانعزال = العزل
Ivory	عاج
Jar	جرة (زجاجية) = مرطبان
Journal	يوميات = سجل
Juniper	شجر السرو الجبلى = العرعر = شيزى
Keystone	المرتکز = حجر العقد
Kindred	مشتق
Knapsack	جر بنديّة = حقيبة ظهر
Knee-breeches	بنطال يصل إلى الركب
Lake	بحيرة
Lament	يتفجع
Lamentable	مؤسف
Lamenting	التفجع
Languish	يضمنى = يهن = يغتر = يضعف
Larch	شجر الأرز = الأرزية من الفصيلة الصنوبرية
Larva (Pl. Larvae)	يرقة
Larval	يرقانى
Latent	كامن = دفين

Lateral	جانبي
Lava	حمم بركانية
Lawn	المرج المعشوشب *
Lawn-tennis	لعبة كرة المضرب على أرض معشوشبة *
Leap-year	سنة كبيسة (انتقالية) *
Ledger	سجل
Lenient	متساهل
Lengthy	شديد التطويل = مطول
Lethargic	كسول
Liberal	متحرر
Liberty	حرية
Lichen	الأسنة = حشائش البحر = الحزاز
Lichemologist	عالم في حشائش البحر
Licinus	خنفس ليسيني #
Lime tree	شجر الزيزفون
Limpet	البطلينوس (حيوان رخوي يلتصق بالصخور)
Linum flavum	نبات الكتان الأصفر *
Litany	ابتهال

Literary	أديب واسع الاطلاع
Literary honour	الشرف الأدبي
Literature	الأدب
Little go	الامتحان الابتدائي للدرجة
Liveliness	حيوية
Lobelia	نبات التبغ (الدخان) الهندي
Lodgings	غرف مستأجرة
Lower animals	الحيوانات المتدنية (المستوى)
Low-spirited	منخفض المعنويات
Luncheon	وجبة الغداء
Lurking	يتربص
Lythrum	نبات الحناء = الفرندل
Make-shift	استخدام بديل مؤقت
Mankind	الصنف البشري *
Mantel piece	رف المدفأة
Manor	عزبة
Marble	بلية: كرة صغيرة من الزجاج أو الرخام
Marine	بحري

Marked	موسوم = عليه علامة
Marriage	اقتران
Pairing	التزاوج =
Marshalling	الانتظام = الترتيب
Mate	الماتى: شراب يشبه الشاي فى أمريكا الجنوبية
Materia Medica	علم المواد الطبية
Maternal uncle	الخال
Mathematics	الرياضيات = الحسابيات *
Maxim	مثل سائر
Mayor	العمدة
Measuring glass	معيار زجاجى = قنينة معايرة
Medal	وسام = نوط
Melancholy	سوداوى = كئيب = حزين
Memories	ذكريات
Mental	ذهنى
Merit	فضيلة
Metaphor	مجاز * = استعارة
Metaphysics	ما وراء الطبيعة = الغيبيات

Methodical	منهاجى
Micrometer	أداة قياس دقيق جداً = ميكرومتر
Microscope	المجهر = الميكروسكوب
Microtome	قاطع مجهرى *
Might	جبروت = قوة
Migrate	يرتحل
Mimosa = Acacia	شجر السنط = الخرنوب المصرى
Mind	ذهن = ذهنى
Minerals	المعادن
Minerology	علم المعادن = المعدنيات *
Miniature	صورة مرسومة صغيرة جدا (على عاج) = منمنمة
Minister	الوزير (المفوض)
Miracle	معجزة
Miser	بخيل
Mixed sciences	العلوم المختلطة *
Mock-solemn	متسم بالجلال *
Modern	عصرى

Modified	معدل
Mollusca	رخويات
Monograph	دراسة منفردة
Monopolise	يحتكر
Moral	أخلاقي
Moral judgement	القرار الأخلاقي *
Moralist	متخصص فى علم الأخلاق
Morality	المبادئ الأخلاقية
Morain	ركام: تراب وحجارة مجروفة بنهر جليدى
Mortals	البشر = المعرضون للموت والفناء
Moss off	إزالة الطحالب *
Moth	حشرة العثة (جمعها عث)
Mould	الثرى = التراب
Mound	رابية
Mourning	حداد
MS. Journal	دفتر يوميات بخط اليد
Mucus	مخاط
Mule-track	درب للبالغ

Multifarious	عديد التنوع
Multiplied	متعدد (الطبقات)
Mural tablet	لوح جدارى
Musk-orchis	شجر مسك السحلب
Mutable	قابل للتغيير أو التحول أو القلب = غير ثابت
Naivete	السذاجة
Marrative	قصة = جكاية
Natatory	سباحى
Natural history	التاريخ الطبيعى
Natural philosophy	الفلسفة الطبيعية
Natural Selection	الانتقاء الطبيعى *
Naturalist	ممارس للعلوم الطبيعية
Naughty	شقى = مشاغب
Neottia	شجر النيوتيا #
Neutralise	يعادل
Nickname	اسم كنية
Nipple	حلمة (التفجير) *
Nominal	اسمى

Novelist	روائى = قصصى
Nursery	مشتل زراعى
Oak	خشب البلوط أو السنديان
Obituary	تأبين
Occult	خفى = سرى
Odds and ends	نثرىات = أشياء متنوعة
Ode	قصيدة غنائية
Offspring	الذرائى (جمع نرية)
Oi polloi	العامة
Old testament	العهد القديم
Omnipotent	واسع القدرة
Omniscient	عليم بكل شىء = واسع المعرفة
Open	منفتح
Oppressed	ضيق الصدر
Orchids	السحلبيات = الأوركيدات
Orchis	السحلب
Organic being	كائن متعضى
Organisms	الكائنات الحية

Origin	نشأة = أصل
Originality	الأصالة = الإبداع
Ornithology	علم الطيور = الطيوريات
Ornithologist	متخصص فى علم الطيور
Orthodox	المتدين التقليدى = مستقيم التدين
Outline	الشكل الكفائى
Overwork	يتعدى الطاقة فى العمل *
Ox (Pl. Oxen)	ثور (جمعها ثيران)
Oyster	محارة
Palaeontology	علم المستحاثات = علم الأحافير (ليس الحفريات = Excavations)
Palpitation	خفقان (قلبى)
Pampean formation	التكوين البامبيانى (علم طبقات الأرض)
Pamphlet	كتيب = كراسة
Panagaeus crux-major	خنفس البانغوص الصليبي العظيم *
Panagaeus quadripunctatus	خنفس البانغوص رباعى الرقطات *
Pangenesiis	شمولية التكوين:

نظرية داروين التى تقول بأن جميع خلايا الكائن الحى، تقذف جسيمات ناقلة للوراثه، تطوف فى أرجاء الجسد، وتتوالد بالانقسام، وتتجمع فى بويضات، تتضمن نتيجة لذلك، جسيمات مستقاة من أجزاء الوالد كلها

Pant	يلهث
Parapet	حاجز = سور منخفض
Parasitic	متطفلة
Parentage	الأصل الأبوى
Parenthesis	جملة اعتراضية
Parish church	الأبرشية الكنسية *
Parishioner	التابع للأبرشية
Parliament	البرلمان = مجلس نواب الأمة
Parsonage	منزل كنسى = بيت الكاهن
Partridge	طائر الحجل
Passions	أهواء
Patriotic	محب لوطنه = وطنى
Peal	جلجلة الأجراس
Pebbles	حصى
Pecuniary	مالى

Peer	ند
Pendulous	متدلى
Penuriousness	البخل = التقتير
Perception	الإدراك الحسى
Perched	جائم
Perfidy	خيانة
Periodicals	النشرات الدورية = الدوريات
Permanence	الاستدامة = الدوام = الثبات
Peroration	الخطاب الختامى
Perseverance	المثابرة = الدأب
Personality	الشخصية
Personify	إضفاء الصفات البشرية
Pet	حيوان مثلل أو أليف
Philanthropy	الخير الإنسانى
Philosophical	منطقى = فلسفى
Photograph	صورة ضوئية
Phrases	شعارات
Phrenology	علم الفراسة الدماغية دراسة شكل الجمجمة لاستخلاص الشخصية والملكات الذهنية

Physics	الفيزياء
Pin	دبوس
Pinch	قَبْضَة = قَبْصَة
Pink (colour)	لون قَرْنَفَلِي
Pirouetting	يُحْجَل بِقَدَمٍ وَاحِدَةٍ *
Pistil	المدقة: عضو التأنيث في الزهرة
Pittance	حد الكفاية = الكفاف
Pitty	رحمة = شَفَقَة
Pleasures	المتع الحسية
Plot	الحبكة (لل قصة)
Plough boy	صبي الحرث
Plume	ريشة
Pococurante	غير مبال
Pose	تكلف = وضع خاص
Politeness	كياسة
Pollen	غبار الطلع = لقاح
Pollen-grains	حبوب اللقاح

Polyanthus	النجس (نبات)
Ponder	التأمل
Pomtobdella muricata	الراتنجيات المسطحة الأرجوانية *
Poorly	متوَعك
Portico	الزواق المعمد = المدخل ذو العمدان
Portrait	صورة مرسومة لإنسان
Posthumous	بعد الوفاة
Power	قدرة = قوّة
Preach	يعظ
Prejudice	الحكم المسبق
Premise	فذلكة = مقدمة منطقية
Preordained	مقدر
Presentment	العرض
Preserve	يبقى على = يحتفظ
Pretence	تظاهر
Prim	أنيق
Primrose = Primula	زهرة الربيع (نبات) = كعب الثلج = الزهر مزمووم الشفة *
Primula = Primrose	زهرة الربيع

Principles	القواعد = الأسس
Priority	الأُسْبُقِيَّة = الأولوية
Privet	شجر النوار الأبيض = ياسم = فاغو
Professed	معرّف به
Pronounce	ينطق
Proofs	التجارب الطباعية
Proof-sheets	صحاف التجارب الطباعية
Propagate	يكثر = يتكاثر = يتناسل
Prose	يخطب (نثرا)
Protoplasm	الجبلة الأولى = البروتوبلازم
Protractor	منقلة: أداة لقياس الزوايا
Provoke	يستفز
Public	عمومي = شعبي
Puff	نفثة
Pure business	أعمال بحتة *
Purport	الفحوى = المعنى = المضاد = المضمون
Purse	كيس النقود
Pursuit	يتابع = يتتبع

Pus	صديد
Quagmire	مستقع
Qualifying clause	الفقرة الوصفية *
Quality	خاصية
Queer	غريب
Quickest	نبات الزعرور البرى
Quiz	يمازح = يمتحن
Quote	يستند = يقبّس عن = يستشهد
Race	عرق
Raid	يشن غارة = يغير
Raillery	المزاح
Rainbow	قوس قزح
Ramble	ينجول
Ratchatching	الإمساك بالفئران
Rationalism	المذهب العقلانى: القائل بأن العقل هو المرشد الوحيد
Razor	موس = محلاق
Realm	سلطان
Reasoning	الترزن = وزن الأمور *

Rebuke	يوبخ
Reclamations	تصويبات
Recollection	استرجاع = استجماع
Recollections	استجماعات = ذكريات
Recorder	مسجل
Recreation	الاستجمام
Redeemer	المخلص = الفادي
Reed	بوص
Reef	حيد (جمعها حيود)
Relic	تذكّار = أثر
Religion	المعتقدات الدينية = الديانة
Remedy	وسيلة علاج
Remittance	تحويل مالي
Remonstrance	احتجاج
Remorse	تأنيب الضمير = الندم
Repose	استكانة
Reproach	تأنيب
Reprove	يؤنب = يوبخ

Repugnant	مَقِيَّةٌ = كَرِيهَةٌ
Reserve	التَّحْفِظُ
Retiring	مَنْطَوِيٌّ
Retribution	عِقَابٌ
Retriever	كَلْبٌ مُسْتَرْجِعٌ
Revelation	وَحْيٌ = إلهَامٌ
Revenge	اِنْتِقَامٌ
Reverie	خِيَالٌ أَوْ اسْتِغْرَاقٌ حَالِمٌ
Review	اسْتِعْرَاضٌ
Reviewer	مُسْتَعْرِضٌ
Pevile	يَلْعَنُ
Revise	يَنْقَحُ = يَعْدِلُ
Reward	ثَوَابٌ
Rhythmical	مُتَوَاتِرٌ = مُتَكَرِّرٌ بِانْتِظَامٍ = إِيْقَاعِيٌّ
Ride	يَمْتَطِيٌّ = يَرْكَبُ (الْجِيَادَ)
Robust	شَاقٌ = قَوِيٌّ
Romp	يَهْرَجُ = يَصْخَبُ
Rote	الْحَفِظُ الصَّمُّ = الْاسْتِظْهَارُ بَدُونِ فَهْمٍ

Rough land	الأراضى الوعرة
Routine	وتيرة
Rubbish	نفايات
Ruddy colour	متورد اللون
Rustic	ريفى = خشن
Sacred	مقدس
Sacredness	قدسية
Sagacious	فطين
Salvation	الخلاص = إنقاذ
Sand-walk	الممشى الرملى *
Saucers	الصحاف = الأطباق
Savage	همجى = وحشى
Savant	عالم
Scale	مقياس مدرج = ميزان
Scarlet	لون سكارلاتينى :
أحمر يميل إلى البرتقالى - وهو اسم قماش بهذا اللون	
ومن الأخطاء الشائعة ترجمته إلى قرمذى = Crimson	
Sceptical = Skeptical	شكوكى = متشكك

Scepticism = Skepticism	النزعة الشكوكية = التشكك
Scissors	مقص
Scored	مثلوم = ممزوز = مخدوش
Scorn	ازدراء
Scoundrel	وغد
Scrape	يقشط
Screw out	يلولب إلى الخارج *
Scribble	الكتابة بلا اعتناء
Scruple	وسواس
Scrupulous	متحوط = محوط بالشكوك
Seal	ختم (للإغلاق)
Seasoned	متبل
Section	قطاع
Security	ضمان
Seed	بذرة
Seedling	نبتة
Selection	الانتقاء *
Self-annihilation	الإنكار الذاتى

Self-fertilised	ملقح ذاتياً
Sense of honour	الحس الشرفى *
Sensible	متعقل
Sensuous	حسى
Sentient	واع
Sequester	يصادر
Serjeant-at-law	محام من الطراز الأول
Sexes	الشقان الجنسيان *
Sexual selection	الانتقاء الجنسي
Shame	الخزى
Shamming	خجول = مخجل
Sharp-wit	ذكاء حاد
Shaw	أجمة = دغل
Shell	صدفة = قوقعة
Shod	مبيطر : مزود بكعب أو حدوة
Shrubbery	الشجيرات
Sickness	دوار = اعتلال
Sigh	تحسر

Simultaneous	متزامن = فى نفس الوقت
Sin	خطيئة
Singular	فريد = استثنائى
Siskin	طائر السسكين (طائر كالحسون ولكنه حاد المنقار)
Skeleton	هيكل (عظمى)
Skim	يتصفح
Slavery	الاسترقاق = العبودية
Slap	لطمة = صفة
Slips	قصاصات
Slur	قذف فى حق
Snipe	طائر الشنقب
Snuff	السعوط = النشوق
Sociability	الاختلاط مع الآخرين
Sofa	الأريكة
“Soirees”	أمسيات = ليالى
Soul	روح
Sounding	مرنان

Sow	يزرع (البذور)
Spanish chestnut	شجر الكستناء الإسباني
Species (Pl. Species)	نوع حي
Speculation	تخمين = تأمل
Spell	هجاء = تهجئة
Spill	لغافة ورقية
Spiranthes	الزهرة المستدقة * (من السحليبات)
Spire	شكل لولبي
Spirits	أرواح
Spirituos	روحي
Spitz dog	كلب مستدق الخطم *
Spontaneous	تلقائي = عفوى = ذاتى
Spring	ياى = زنبرك
Squeak	يصرخ بصوت حاد
Squirrel	سنجاب
Stamen	السداة (جمعها أسدية): العضو الذكري فى الزهرة
Stammering	التلعثم = التهمة = التمتمة
Stamp	طابع (بريد)

Startle	ينزعج = يجفل = يروع
State of Nature	الحالة أو البيئة الطبيعية
Statistics	إحصائيات
Stature	القامة
Stealtgily	بانسلا
Steam-engine	محرك بخارى
Steep	شديد الانحدار
Stem	ساق (النبات)
Sterile	عقيم
Sterility	عقم
Sticking – plaster	شريط لاصق
Stone	حجر: وحدة وزنية بريطانية تساوى ١٤ رطلا
Stoop	يحدوب = يحنى ظهره
Strain	توتر
Stratum (Pl. Strata)	طبقة (أرضية)
Stray	شارد
String	خيوط

Strip	شريط
Study	غرفة المكتب
Stupid	غبى
Style	أسلوب
Sub-classing	التشعب = التقسيم إلى طوائف
Sublimity	التسامى = الرفة
Sub-order	رتبة فرعية *
Subsidence	هبوط = انخساف
Suicide	الانتحار
Sundew	نبات الندى = ورد الشمس = الدروسيرة
Super-natural	خارق للطبيعة
Surly	فظ
Surprised	مبهوت
Survival of the Fittest	البقاء (على قيد الحياة) للأصلح *
Sweets	حلويات = الأشياء حلوة المذاق
Swimming	سباحة = مصاب بدوار
Swindler	محتال
Swinging	متأرجح

Sympathetic	ودى (من الشائع قصر ترجمتها على "متعاطف")
System	المنظومة (الجسمانية)
Systematic	نظامى = تصنيفى = ترتيبى
Temperance	كبح الشهوات
Tempered	ممزوج
Tenacious	عنيد
Tendril	محلاق (جمعها محاليق)
Tentacle	مجس
Terminal	طوفى
Terms	علاقات متبادلة
Terrier	الكلب الأرضى *
Testament	العهد (الجديد)
Textbook	كتاب مرجعى
Theorise	يضع نظرية
Theoriser	باحث فى الجانب النظرى = منظر
Thiest	مؤمن بالله ومنكر للوحى
Thyme	نبات الزعتر = الصعتر = الريحان من الفصيلة الشفوية

Toilsome	شاق = منهك
Tone	نبرة
Track	درب
Transactions	محاضر الجلسات
Transmutation	التحول = التبدل
Trap- dyke	خندق ترابي (الطراب = صخربركاني)
Trawl	يجرف قاع البحر (بالشباك)
Tray	صينية (جمعها صواني) = طبق تقديم
Treasurer	أمين الصندوق
Tree-frog	ضفدعة شجرية *
Trial	محاولة تجريبية
Trifling	تافه
Trimorphic	ثلاثي الشكل
Tropical	استوائي
Trotting	هرولة = خبب
Trouble-some	مزعج
Tuft	خصلة (شعر)
Tune	نغم

Tutor	مدرس = مرشد = مدرب
Twining plant	النباتات الملتفة
Typhoid	مرض التيفود
Typhus fever	الحمى التيفوسية
Tyrant	طاغية
Unanimous	إجماع
Unanswerable	قاطع = لا راد له
Undemonstrative	متحفظ (فى التعبير عن المشاعر والعواطف)
Untenable	متعذر الدفاع عنه
Upright	عمودى = قائم الزاوية
Vanity	الخيلاء = الزهو
Variability	التغاييرية = القابلية للتغاير أو التمايز
Variation	التغاير * = التمايز *
Variety	ضرب (حى)
Varying	متغاير *
Vehement	عنيف = متطرف
Veneration	تجبل
Verandah	الشرفة

Vernier	مقياس صغير منزلق
Verse	المقاطع الشعرية = الشعر
Vestige	مقدار ذرة
Vexed	يغيظ
Vibrations	الذبذبات
Vigour = vigor	عنفوان
Vile	رديء
Virtuoso	باحث مدقق
Vista	مجاز (الذى يرى المشهد من خلاله)
Vivisection	تشریح الحيوانات الحية
Volcanic	بركاني
Volute	حلزوني
Vow	عهد = وعد
Voyage	رحلة (بحرية)
Waiter	النادل
Wastes	الأرض البور
Water-cure	الشفاء بالماء
Waterproof (the)	المعطف الواقى من الماء

Wearisome	مرهق
Well	بئر
Wheelchair	كرسى ذو عجلات
Wig	شعر مستعار
Wild	جامح
Wine	النبىذ
Wit	سرعة بديهية
Wonder	تعجب
Wood	غابة
Wood-cutter	قاطع الأخشاب = الحطاب
Woodpecker	ناقر الخشب (طائر)
Wordiness	(الإسهاب = كثرة الكلام
Wormlike	شبه دودى *
Wrangler	الرياضة البحتة * درجات الشرف فى الرياضيات (كامبريدج)
Wrinkled	مغضن = مجعد
Wrist	معصم = رسغ
Yeoman	إقطاعى = مالك أرض = قيم
Yield	يدر = ينتج

Zeal

حماس

Zoology

• علم الحيوان = الحيوانات

Zygaena

• متماثلات الأصل

مسرد بالعلماء والثقافات الوارد ذكرهم بالكتاب

Agassiz, Alexander	ألكزاندر أجاسيز (تاريخ طبيعى)
Ainsworth	أينزورث (جيولوجى) نشر كتابا على رحلاته فى آشور
Audubon	أودوبون (تاريخ طبيعى - طيور)
Babbage	باباج
Austen Miss	الآنسة أوستن (كاتبة روائية)
Balfour	بالفور

مؤلف كتاب "علم الأجنة" Embryology

Bacon	بيكون (الفيلسوف المشهور)
Barlow, Mrs.	السيدة بارلو (من معارف والد داروين)
Barlow, Nora	نورا بارلو (حفيدة تشارلس داروين)

أصدرت الفقرات المستقطعة من قصة حياته فى ١٩٥٩

Beaumont, Elie de	إيلى دى بومونت (عالم فى طبقات الأرض)
Bird, Miss	الآنسة بيرد
Boulton	بولتون (مهندس مشهور)
Brown, Robert	روبرت براون (تاريخ طبيعى)

مؤلف "تاريخ الحضارة" History of Civilisation

Bulwer, E. Lytton, Sir	السيد إلبتون بولور (كاتب قصصى)
Butler, Dr.	الدكتور بتلر (صاحب المدرسة الداخلية لداروين)
Byron	بايرون (شاعر)
Carlyle	كارليل (مؤرخ)

مؤلف "تكريات" Reminiscences

Case, G. Rev.	المجلد ج . كاس
(قس - ناظر المدرسة الصباحية التى كان فيها داروين فى طفولته)	
Castlereagh, Lord	اللورد كاستليرى (الوزير المفوض فى "ريو" Rio)
Coldstream, Dr.	الدكتور كولد ستريم (زميل دراسة - حيوانيات)
Coleridge	كوليريدج (شاعر)
Columbus	كولومبوس (الرحالة المشهور)
Cotton, Mr.	السيد كوتون (طبقات الأرض)
Darwin, Caroline	كارولين داروين (الابنة الثانية لدكتور داروين)
Darwin, Catherine	كاترين داروين (الأخت الصغرى لتشارلس داروين)
Darwin, Erasmus, Dr.	دكتور إراسموس داروين (جد تشارلس داروين)

مؤلف Zoonomia

Darwin, Erasmus Alvey	إراسموس أَلْقَى داروين (الصغير)
أخو تشارلس داروين الأكبر	
Darwin, Francis	فرانسيس داروين (ابن تشارلس داروين)
Darwin, Emma	إيما داروين (زوجة تشارلس داروين)
Darwin, Frank	فرانك داروين (ابن تشارلس داروين)
Darwin, Marianne	ماريان داروين (الأخت الكبرى لتشارلس داروين)
Darwin, Richard	ريتشارد داروين (جد أعلى .. توفي ١٥٨٤)
Darwin, Robert	روبرت داروين (حوالي عام ١٧٠٠)
Darwin, Robert Waring Dr.	دكتور روبرت وارينج داروين (طبيب - والد تشارلس داروين)
Darwin, Susan	سوزان داروين (الابنة الثالثة لدكتور داروين)
Darwin, William	وليام داروين (جد أعلى - عام ١٥٠٠)
Darwin, William Richard	وليام ريتشارد داروين (ابن ريتشارد داروين)
Darwin, William William	وليام وليام داروين (ابن وليام ريتشارد داروين)
Darwin, William, the third	وليام داروين الثالث (ولد في ١٦٦٥)
Dawes. Mr.	السيد داويس (عميد هيرفورد - تعليم الفقراء)
Day	داي (روائي - متخصص في علم الأخلاق)

De Candole, M.	م. دى كاندول (تاريخ طبيعى)
Dohrn, Dr.	الدكتور دوهرن (تاريخ طبيعى)
Duncan, Dr.	الدكتور دانكان (أستاذ علم المواد الطبية - إنبرة)
Earle, Erasmus	إراسموس إيرل (والد زوجة وليام داروين)
Edge worth, Mr.	السيد إيدجورث (من معارف إراسموس داروين)
Elliot	إليوت (مصور ضوئى)
Eliot, George	جورج إليوت (كاتب روائى)
Eyton	إيتون (صديق)
Falconer	فالكونر (تاريخ طبيعى)
Farrer, Mrs.	السيدة فارير (مغنية مشهورة)
Farrer, Thomas, Sir	السير توماس فارار (صديق لداروين)
Fitz-Roy, Captain	القبطان فيتز روى (قبطان السفينة البيجل)
Fitzwilliam	فيتزوليام (رسام مشهور)
Forbes, E.	إ. فوربس (إنسانيات)
Fox, W. Darwin	و. داروين فوكس (ابن العم الثانى لداروين)
Fry	فراى (مصور ضوئى)
Garnett	جارنت (زميل دراسة ابتدائية)
Gaskell, Mrs.	السيدة جاسكيل (كاتبة روائية)

Geikie, Mr.	السيد جيكي (علم طبقات الأرض)
Goethe	جوثة (عالم فيزياء - الضوء)
Grant, Dr.	دكتور جرانت (زميل دراسة - حيوانات)
Gray	جراي (شاعر)
Grote	جروت (مؤرخ)

مؤلف كتاب "التاريخ" History

Gulley, Dr.	دكتور جالي (صاحب مؤسسة للعلاج بالمياه)
Hackel	هاكل (تاريخ طبيعي - ألماني)
Hacon, Mr.	السيد هاكون (المحامى الخاص بداروين)
Hardie	هاردي (زميل دراسة - نباتيات)
Haughton, Prof.	الأستاذ هوتون (تاريخ طبيعي)
Henry and Parkes	هنري وباركيس

مؤلفا "التساؤلات الكيميائية" Chemical Catechism

Henslow, Prof.	الأستاذ هنسلو (عالم نباتيات)
Herbert, John Maurice	جون موريس هيربرت (قاضى)
Herschel, J. Sir	السير ج. هيرتشيل

مؤلف "مقدمة لدراسة الفلسفة الطبيعية" Introduction to the Study of Natural Philosophy

Hilderand, F., Dr.	دكتور ف. هيلوبراند (عالم ألماني - تاريخ طبيعي)
Hill, Major (lord Berwick)	الماجور هيل (لورد بيرويك) (صديق)
Homer	هومر (شاعر إغريقي - الأوبيا)
Hooker	هوكر (عالم نباتيات)
Hope	هوب (أستاذ الكيمياء - إننبرة)
Horace	هوراس (شاعر)
Horner, Leonard, Mr.	السيد ليونارد هورنر
عضو جمعية إننبرة الملكية Royal Society of Edinburgh	
Humboldt	هامبولدت
مؤلف "حكايات شخصية" Personal Narratives	
Huth, Mr.	السيد هوت
مؤلف "زواج الأقارب" Consanguineous Marriage	
Huxley, Prof.	الأستاذ هوكسلي (عالم التاريخ الطبيعي)
Innes, Brodie, Mr.	السيد برودي إنز (كاظم أبرشية "داون")
Jameson, Prof.	اميسون جال الأستاذ
مؤسس الجمعية السيلينية Plinian Society	
Jenyns, Leonard	ليونارد جينينز (تاريخ طبيعي)
Jenyns, Soame	سوم جينينز (عالم تاريخ طبيعي - أسماك)

Jones, Bence, Dr. دكتور بنس جونز (طبيب معالج لداروين)

Kingsley كينجسلى (تاريخ طبيعى - أسماك)

Krause, Ernst, Dr. دكتور إيرنست كراوس

مؤلف " حياة إراسموس داروين " Life of Erasmus Darwin

Lamarck لامارك (تاريخ طبيعى)

Lane, Dr. دكتور لان (معالج تجربى بالمياه)

Lushington, Veron, Mrs. السيدة فيرنون لاشينجتون (عازفة موسيقية)

Lavater لافايتز (كتاب عن علم الفراسة)

Leighton, W. A. Rev. المبجل و. أ. ليتون (قس - زميل دراسة لداروين)

Linnaeus, Carl (Von) كارل فون لينوس (رائد التصنيف الحيوى)

Litch Field, Henrietta هنرييتا ليتشفيلد

مؤلفة كتاب "إيما داروين" Emma Darwin

Lyell لايل

مؤلف "أساسيات علم طبقات الأرض" Principles of Geology

Macaulay ماكولانى (مؤرخ)

Macgillivray ماكجيليفراى (أمين متحف إدنبرة)

مؤلف كتاب عن طيور اسكتلادة

Mackintosh, J. Sir سير ج. ماكينتوش (من كبار المثقفين)

Mahon, Lord	لورد ماهون
Malthus	مالثوس (مؤلف كتاب عن التعداد السكاني)
Martineau	الآنسة مارتينيو (كاتبة)
Meteyard, Miss	الآنسة ميتيارد (كاتبة)
Miller, Prof.	الأستاذ ميلر (علم طبقات الأرض - المعادن)
Milton	ميلتون (شاعر)

مؤلف ديوان "الفردوس المفقود" Paradise Lost

Mitsukuri, Prof.	الأستاذ ميتسوكوري (مدرس فرانسييس داروين)
Motley	موتلي (مؤرخ)
Muller, Fritz	فريتز موللر (تاريخ طبيعي - حشرات)
Muller, Herman	هيرمان موللر (تاريخ طبيعي - حشرات)
Murray, John	جون موراي (ناشر كتب)
Newport	نيوبورت (تاريخ طبيعي)
Norman, E., Mr.	السيد إ. نورمان (كاتب المخطوطات اليدوية لداروين)
Owen, Captain	كابتن أوين (صديق)
Paget, James, Sir	السير جيمس باجيت (طبيب)
Paley	بالي

مؤلف "إبراهيم المسيحية" Evidences of Christianity

وڪاتب "الفلسفۃ الأخلاقية" Moral Philosophy

Pelham, William, Sir	السير وليام پلھام (قائد فرقة من الخيالة)
Peneden, Van, Prof.	الأستاذ فان بينيدين (رئيس الجمعية الملكية البلجيكية)
Phillips, Spencer, Mr.	السيد سبنسر فيليبس
	(قام بشراء منزل دكتور ر.و. داروين)
Piombo, Sebastian del	سيباستيان ديل بيومبو (فنان)
Ramsay	رامسى (تاريخ طبيعى)
Reynold, Joshua, Sir	السير جاشورا رينولد (مؤلف كتاب عن الفن)
Richardson, Dr.	دكتور ريتشاردسون (طبيب معالج بالمياه)
Richter, Hans	هانس ريختر (عازف بيانو)
Sanderson, Dr.	دكتور ساندerson (عضو الجمعية الملكية)
Scott	سكوت (شاعر)
Scott, Walter	مالتر سكوت (كاتب روائى)
Scott, Walter, Sir	السير مالتر سكوت

رئيس جمعية إدنبرة الملكية Royal Society of Edinburgh

Sedgwick	سيد جويك (عالم فى طبقات الأرض)
Shakespeare	شكسبير (الشاعر الإنجليزي المشهور)
Shelburne, Lord	لورد شيلبورن (من معارف دكتور داروين)

Shelley شيلي (شاعر)

Shuttleworth. J. Kay, Sir السير ج. كاي شاتلورث

أحد أعضاء الجمعية الطبية الملكية Royal Medical Society

Spencer, Herbert هيربرت شبنسر (إنسانيات)

Sprengel, C.K. س.ك.س.برنجل (تاريخ طبيعى)

مؤلف Das entdeckte Geheimniss der Natur

Stanhope, Lord لورد ستانهوپ (مؤرخ)

Stephens ستيفنس

مؤلف "رسومات الحشرات البريطانية" Illustrations of British Insects

Stuart. Sobieski Ch E. ش. إ. سوبيكى ستوارت

كونت ألبانى Count d'Albanie

Sullivan, Admiral الأدميرال سوليفان (صديق)

Sydney Smith سيدنى سميث

Thomson ثومسون (شاعر)

مؤلف "فصول" Seasons

Thompson, H. ه. ثومسون (زراعى كبير - عضو برلمان)

Tollett, Ellen إلين توليت (صديق)

Turner تيرنر (رسام إنجليزى مشهور)

Turner	تيرنر (صديق)
Tyler	تايلر (إنسانيات)
Vandyke	فاندايك (مصور ضوئي)
Virgil	فيرجيل (شاعر)
Wallace, Mr.	السيد والاس (عالم تاريخ طبيعي - الملايو)
Wallich, Dr.	دكتور واليش (هاو للتصوير الضوئي)
Waring, Robert	روبرت وارينج (والد زوجة وليام وليام داروين)
Waterton	واترتون (رحالة مشهور)
Way, Albert	ألبرت واى (عالم آثار)
Wedgwood, Hensleigh, Mr.	السيد هنسلى ويدجوود (خال تشارلس داروين)
Wedgwood, Josiah	جوشيا ويدجوود (واك سوزانه زوجة تشارلس داروين)
Wedgwood, Josiah	جوشوا ويدجوود (خال تشارلس داروين)
Wedgwood, Kitty	كيتى ويدجوود (أخت زوجة تشارلس داروين)
Wedgwood, Susannah	سوزانه ويدجوود (زوجة تشارلس داروين)
Whewell	هويويل (عالم رياضيات)
Whewell, Dr.	الدكتور هويويل (مؤرخ)
White	هوايت

مؤلف "سيلبورن" Selborne

Whitley

ھویتلی (عالم ریاضیات)

Whitley, C., Rev.

المبجل س. ھویتلی

کاهن "دیرھام" (Durham)

Words Worth

وردزورث (شاعر)

مراجع الترجمة

المورد: قاموس إنجليزي - عربي

منير البعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت.

قاموس إلياس: إنجليزي - عربي

دار إلياس العصرية للطباعة والنشر - القاهرة.

قاموس النهضة في اللغتين الإنجليزية والعربية

إسماعيل مظهر - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

مختار الصحاح

الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي

دائرة المعاجم - مكتبة لبنان - بيروت.

المعجم العربي

مجمع اللغة العربية - القاهرة.

المعجم الكبير

مجمع اللغة العربية - القاهرة.

معجم البيولوجيا، في علوم الأحياء والزراعة

مجمع اللغة العربية - القاهرة

معجم الجيولوجيا

مجمع اللغة العربية - القاهرة

معجم المصطلحات الطبية

مجمع اللغة العربية - القاهرة

معجم المصطلحات العلمية

محمود عبد الرحمن البرعى - عبد العزيز محمود - هانى البرعى -

حسن ربحان - مكتبة الأنجلو - القاهرة.

قاموس المصطلحات العلمية

دار أطلس للطباعة - القاهرة.

قاموس شهاب العلمى

الأستاذ الدكتور / سعد شهاب - دار الكتاب الجامعى - القاهرة.

قاموس المصطلحات العلمية

مطبعة أطلس - ١٩٧٣

المعجم العلمى المصور

الدكتور / أحمد رياض ترك - ١٩٦٣

قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالاتفاق مع دائرة المعارف البريطانية

قاموس علم الأحياء المصور: إنجليزى - عربى - إنجليزى

إعداد / أحمد شفيق الخطيب - عام ١٩٨٩ - مكتبة لبنان - بيروت.

معجم مصطلحات علم الأحياء

نبات - حيوان - تصنيف - وراثه

كمال الدين الخناوى - عام ١٩٩٠ - المكتبة الأكاديمية - القاهرة.

دليل مصطلحات العلوم البيولوجية

اتحاد البيولوجيين العرب - القاهرة - كلية العلوم - جامعة القاهرة.

دليل مصطلحات علم الحيوان

د. عطا الله خلف الدوينى - د. حلمى ميخائيل بشاى

عام ٢٠٠١ - دارا لمعارف - القاهرة.

معجم الحيوان

الفريق / أمين المعلوف - عام ١٩٠٨ - دار الرائد العربى - بيروت-
لبنان.

المعجم المصور لأسماء النباتات: "Polyglottic"

أرميناك ك. بديفيان (١٩٣٥) - مكتبة مدبولى (١٩٩٤) - القاهرة.

تصنيف النباتات الزهرية

دكتور محمد أحمد حمودة - دار الخليل للطباعة - القاهرة.

معجم إنجليزى - عربى فى العلوم الطبية والطبيعية

دكتور محمد شرف - عام ١٩٢٨ - وزارة المعارف العمومية-
القاهرة.

معجم المصطلحات الطبية والعلمية الحديث

دكتور ميلاد بشاى - مطابع السجل العربى - القاهرة.

القاموس الطبى الوجيز: إنجليزى - عربى

دكتور محمد فوزى جاب الله - دار الكتاب الجامعى - القاهرة.

معجم ألفاظ علم بنيان جسم الإنسان والتشريح

باللغتين الإنجليزية والعربية: الدكتور شفيق عبد الملك - القاهرة.

موسوعة علم الإنسان

المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية

تأليف: شارلوت سيمور - سمث

ترجمة تحت إشراف: محمد الجوهري - عام ١٩٩٨، المشروع القومى.

للترجمة - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة.

أصل الأنواع: تشارلس داروين

ترجمة مجدى محمود المليجى

عام ٢٠٠٣ - المشروع القومى للترجمة - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة.

نشأة الإنسان والانتقاء الجيسى: تشارلس داروين

ترجمة مجدى محمود المليجى (ثلاثة مجلدات)

عام ٢٠٠٥ - المشروع القومى للترجمة - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة.

طرق وأسس علم تصنيف الحيوان

أرنست ماير - إ. جوريتون لينسلى - روبرت ل. يوسنجر

ترجمة: د. يحيى محمود عزت - د. على على المرسى

مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.

قاموس علم النفس: إنجليزى - عربى

الدكتور حامد عبد السلام زهران - عالم الكتب - القاهرة.

معجم علم النفس والتربية

مجمع اللغة العربية - عام ١٩٨٤ - القاهرة.

The New Century Dictionary of the English Language

Edited by H. G. Emery & K. G. Brewster, (Two Volumes),

D. Appleton - Century Company, New York - London.

New Webster's Dictionary of the English Language

Consolidated Book Publishers, Chicago, New York.

A Dictionary of Modern English Usage

By H. W. Fowler - Oxford University Press.

Everyman's English Pronounciny Dictionary

Daniel Jones - Everyman's Reference Library

Thesaurus of English Words and Phrases

By Peter Mark Roget, 1873, Longman, Green, and Co., London.

Cassel's New French Dictionary

Cassel & Company LTD, London.

Cassel's Spanish - English, English - Spanish Dictionary

Cassel & Company LTD, London.

Harrap's Shorter French and English Dictionary

Edited by J. E. Mansion, George G. Harrap & Co. LTD,

London – Toronto – Wellington – Sydney.

Illustrated Polyglottic Dictionary of Plant Names

By Armenag K. Bedevian. 1935

Madbouli Book-shop (Cairo).

Black's Medical Dictionary

By John D. Comrie

Adam & Charles Black, London.

Larousse, Dictionnaire encyclopedique

Librairie Larousse – Paris.

Chamber's Biographical Dictionary

Edited by David Patrick & Francis Hindes Groome, 1908

W. & R. Chambers, LTD., London & Edinburgh.

Larousse Encyclopedia of animal life

Forwarded by Robert Cushman, 2nd ed., 1968, American
Musium of Natural History.

Paul Hamlyn, (London, New York, Sydney, Toronto).

The Popular Natural History

By Rev. J. G. Wood. 1904

George Routledge & Sons, London.

Kingdom of the Beasts

By Julian Huxley, 1956, Thames and Hudson (London).

Purnell's Prehistoric Atlas

P. Arduint and G. Teruzzi, 1982, Purnell Books, Paulton, Bristol

The Encyclopaedia Britannica

"A Dictionary of Arts, Sciences & General Literature", Ninth ed.,
MDCCCLXXV, 1895, Adam and Charles Black: Edinburgh.

Nelson's Encyclopaedia

Thomas Nelson & Sons, London, Edinburgh, Dublin, Lssds, Leipzig &
New York.

Pear's Shiling Cyclopaedia

1898 – A. & F. Pears, LTD – London.

Newne's Pictorial Knowledge

Editor: R. H. Poole, George Newnes LTD – London.

The University Atlas

By Harold Fullard & H. C. Darby,

George Philip Printers, LTD, London.

المؤلف فى سطور:

السفر فرانسيس داروين (١٨٤٨ - ١٩٢٥)

* ولد "فرانسيس داروين" فى ١٦ أغسطس عام ١٨٤٨ بمنزل والده الكائن ببلدة "داون" - بمقاطعة "كنت" بإنجلترا وكان الابن الذكر الثالث والطفل السابع لداروين و زوجته "إما".

* بدأ "فرانسيس" دراسة الرياضيات فى "كلية الثالوث" Trinity بجامعة "كيمبريدج" ثم غير مسار دراسته إلى العلوم الطبيعية و حصل على شهادته فى عام ١٨٧٠، وانطلق بعد ذلك لدراسة الطب فى كلية "سانت جورج" بلندن، وحصل على بكالوريوس الطب و الجراحة عام ١٨٧٥، لكنه لم يمارس مهنة الطب .

* اشترك "فرانسيس" مع والده فى التجارب المتعلقة بحركة النباتات، وخاصة فى مجال "الانحناء الضوئى" Phototropism واشترك معه فى تدوين كتاب " القدرة على الحركة الموجودة فى النباتات " the Power of Movement in Plants ، الذى نشر عام ١٨٨٠ .

* انتخب "فرانسيس" زميلا للجمعية الملكية فى ٨ يونيو ١٨٨٢ ، وهو نفس العام الذى توفى فيه والده، ثم انكب على تدوين كتابه الحالى عن "حياة وخطابات تشارلس داروين"، الذى نشر فى عام ١٨٨٧ .

* تم الإنعام عليه بلقب فارس (سير) فى عام ١٩١٣ .

* توفى عام ١٩ سبتمبر عام ١٩٢٥ عن عمر ٧٧ عامًا.

المترجم فى سطور:

الأستاذ الدكتور/ مجدى محمود المليجى

- أستاذ متفرغ بكلية الطب- جامعة عين شمس.
- تخرج فى كلية الطب- جامعة عين شمس فى ١٩٦٢، وتم تعيينه معيداً بها فى ١٩٦٣، وتدرج فى الوظائف بها إلى أن حصل على لقب أستاذ الطب الشرعى والسموم فى عام ١٩٨٤.
- عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة فى الطب الشرعى والسموم بالجامعات المصرية.
- شهاداته وإنجازاته العلمية تبدأ من دبلوم طب صناعات (طب عين شمس)، دبلوم العلوم الطبية الفنية، فى الطب الشرعى والكيمياء الطبية الشرعية (طب عين شمس)، دبلوم الأمراض الجلدية والتناسلية (طب القاهرة)، دكتوراه الفلسفة فى العلوم الطبية (طب عين شمس)، عضوية كلية الأطباء الملكية (إنبره).
- قام بالعمل والتدريس لمدة خمسة أعوام، فى مجال الأمراض الجلدية، فى كل من مستشفيات جامعات ليدز ومانشستر، من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٢، وما زال يمارس هذا التخصص فى عيادته الخاصة بالقاهرة، منذ عودته من بعثته.
- شغل منصب الطبيب الشرعى لدولة الإمارات العربية المتحدة، لمدة ثلاث سنوات من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٦، مع التدريس للهيئات القضائية والشرطية الموجودة هناك.

- قام بالتدريس لمادة الطب الشرعي، في أكاديمية الشرطة المصرية.
- قام بالتدريس لمادة الطب الشرعي، في معهد طب الطيران والفضاء بالقاهرة.

**** الكتب التي قام المترجم بترجمتها إلى اللغة العربية:**

- * أصل الأنواع (نشأة الأنواع الحية) - "تشارلس داروين" - ٨٨٤ صفحة المجلس الأعلى للثقافة (جمهورية مصر العربية) - عام ٢٠٠٣.
- * أصل الإنسان والانتقاء الجنسي (٣ مجلدات) - "تشارلس داروين" - ١٧٤١ صفحة - المجلس الأعلى للثقافة (جمهورية مصر العربية) - عام ٢٠٠٥.
- * التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوان - "تشارلس داروين" - ٧٢٦ صفحة المجلس الأعلى للثقافة (جمهورية مصر العربية) - عام ٢٠٠٥.
- * قصة حياة تشارلس داروين - "قرانيس داروين" - ٣٥٠ صفحة - تمت ترجمته في عام ٢٠٠٦ - لم ينشر بعد.
- * رحلة السفينة البيجل (٣ مجلدات) - "تشارلس داروين" - ١٢٠٨ صفحة - تمت ترجمته في عام ٢٠٠٦ - لم ينشر بعد.
- * داروين والتطور للصغار - "كريستان لوسون" - ١٤٦ صفحة - تمت ترجمته في عام ٢٠٠٧ - لم ينشر بعد.
- * دليل المراهقين إلى الجلد البافع - "راي سيموندس" - ١٢٨ صفحة - دار إلياس العصرية للطباعة والنشر - عام ٢٠٠٧.
- * دليل المراهقين إلى النمو والتطور - "جين فورد" - ١٢٨ صفحة - دار إلياس العصرية للطباعة والنشر - عام ٢٠٠٧.

- * من الميكروسكوب إلى أبحاث الخلايا الجذعية- "سالي مورجان"- ٦٥
صفحة - دار إلياس العصرية للطباعة والنشر - عام ٢٠٠٧.
- * سلسلة الدورات الخاصة بالكرة الأرضية- ٦ مجلدات (حياة النبات- حياة
الحيوان- الماء- الصخر- الفصول- الطعام)- ٢٠٠ صفحة - مكتبة ماك
ميلان مصر- عام ٢٠٠٧.
- * سلسلة الكائنات الآلية والآليات- ٦ مجلدات (كيف تعمل- في العمل واللهو-
الصورة والخيال- المعرضة للخطر- الخاصة بالفضاء- الطبية والعلمية)-
٢٠٠ صفحة - مكتبة ماك ميلان مصر- عام ٢٠٠٧.
- * سلسلة علماء يعملون- ٦ مجلدات (علماء: العلوم الطبية الشرعية-
الأحيائيات البحرية- الطبقات الأرضية- الآثار- الفلكيون- الأرصاد
الجوية)- ٢٠٠ صفحة - مكتبة ماك ميلان مصر- عام ٢٠٠٧.
- * سلسلة الوظائف الخطيرة- ٣ مجلدات (عمال الارتفاعات الشاهقة- الغواصون-
رواد الفضاء)- ١٠٠ صفحة - ماك ميلان مصر- عام ٢٠٠٧.
- * سلسلة الألعاب الرياضية- ٢ مجلد (كرة القدم- كرة السلة)- ٦٦ صفحة -
ماك ميلان مصر- عام ٢٠٠٧.

* * *

التصحيح اللغوي: موسى عجلان

الإشراف الفني: حسن كامل

تعاقت أعداد تقدر بالآلاف أو الملايين من البشر على الحياة على سطح كوكبنا الأزرق، وعاشوا واندثروا بدون ترك أى أثر عليها، سوى إفراقاتهم وشروهم. ولكن من ضمن هذا القطيع برز عدد قليل منهم، كانوا قادة ومفكرين ومصلحين وعلماء، هم الذين استطاعوا بإنجازاتهم، أن يحققوا التقدم الذى وصل إليه الصنف البشرى، ومن ضمن هؤلاء الخالدين، وأصحاب العلامات على الطريق، هو عالمنا "تشارلس داروين". ولقد أثرى البشرية بأبحاثه وأفكاره التى تضمنتها كتبه، والتى هى الأساس فى فهمنا للعلوم الحيوية بكل تشعباتها، ولكن لكى نستطيع التذوق بصدق ما تحويه، فلا غنى عن الاطلاع على التفاصيل الخاصة بسيرته الحياتية، وهى التى تصادف أنه قام بكتابتها بنفسه، كذكرى لأولاده، ف وقعت بين أيدينا، علاوة على ما قام أولاده، وخاصة فرانسيس، بإضافته من تاريخ للعائلة، واسترجاعات شخصية لهم عن حياتهم مع والدهم. فجاء كل ذلك مجلداً معبراً بصدق وصراحة، عن الشيء الذى يميز المبدعين، عن باقى البشر.